المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية اللغة العربية
قسم الدراسات العليا
فرع [أدب]

أدب الرحلة الحجازية عند الأندلسيين من القرن السادس حتى سقوط غرناطه

أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في الأدب العربي

إعداد الطالب

عبدالله بن عثمان الياقوت

الرقم الجامعي ١ - ٨٨٢٩ - ٤١٨

إشراف الأستاذ الدكتور

محمود حسن زيني

١٤٢٢هـ - ٢٠٠١

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

جامعة أم القرى

كلية اللغة العربية

نموذج رقم : (٨)

إجازة أُطروحةٍ علميّةٍ في صيغتها النّهائيّةِ بعدَ إجراء التّعديلات :

الاسمُ الرُّباعيُّ : عبدالله عثمان إبراهيم الياقوت الرّقم الجامعيّ : (١-٩٢٩-٨٨-٤١٨)

كلّيّة : اللغة العربيّة **قسم** : الدّراسات العليا العربيّة فرع : الأدب

الأُطروحةُ مقدّمةٌ لنيلِ درجة : الدّكتوراه **في تخصُّص** : الأدب

عنوانُ الأُطروحةِ : أدب الرحلة الحجازية عند الأندلسيين من القرن السادس حتى سقوط غرناطة

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين،والصّلاةُ والسّلامُ على أشرفِ الأنبياءِ والمرسلين،وعلى آله وصحبه أجمعين ؛ وبعد :

فبعد إجراء التّصويبات المطلوبة التي أوصتْ بها اللجنةُ التي ناقشتْ هذه الأطروحةَ بتاريخ : ٤ /٢ /١٤٢٣ هـــ ، توصي اللجنةُ بإجازتها في صيغتها النّهائيّة المرفقة

والله الموفّق ،،،،

أعضاء اللجنة :

المشرف : أ.د. محمود حسن زيني المناقش الدّاخليّ : أ.د. حسن محمد باجودة المناقش الخارجيّ : أ.د. محمد أحمد هيكل

التوقيع : التوقيع : التوقيع :

يعتمد : رئيس قسم الدّراسات العليا العربيّة

أ.د : سليمان بن إبراهيم العايد

التّوقيع :

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَاتَعْمَى الأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾

سورة الحج آية [٤٦]

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص الرسالة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد : فهذه رسالة مقدمة إلى قسم الأدب بكلية اللغة العربية بجامعة أم القرى لنيل درجة الدكتوراه وهي بعنوان : (أدب الرحلة الحجازية عند الأندلسيين من القرن السادس حتى سقوط غرناطة ، وقد اقتضت طبيعة هذا البحث أن يحتوى على ثلاثة أبواب.

تناول الباب الأول : الرحلة الحجازية عند الأندلسيين فقسمته إلى ثمانية فصول تناول:

الفصل الأول أهمية الحجاز في صدر الإسلام، والفصل الثاني أهمية الرحلة الحجازية عند الأندلسيين وأثرها على الحركة الأدبية ، وتضمن الفصل الثالث مفهوم الأندلسية، أما الفصل الرابع فتناول مخاطر الرحلة الأندلسية، والفصل الخامس آثار الرحلة الحجازية وأبعادها، أما الفصل السابع للحديث عن القيمة الأدبية والعلمية للرحلات الأندلسية ، أما الفصل الثامن تناول كتاب الرحلة الحجازية وآثارهم.

الباب الثاني : تناولت المحتوى الأدبي للرحلة الحجازية ، فقسمته إلى فصلين ، تناولت في الفصل الأول الشعر :

شعر الرحالة ابن جبير ، وموضوعات شعره ، والرحالة البلوى وخصائص شعره والمعاني التي يدور حولها شعره ، أما الفصل الثاني فقد خصصته لدراسة النثر عن الرحالة ابن جبير، ودراسة نثر القاضي أبي بكر بن العربي ، والقلصادي وفنون نثره ، الرعيني ، ونثر أبو مراوان الباجي الأشبيلي .

الباب الثالث : تناول البناء الفني للرحلة الحجازية وقسمته إلى خمسة فصول الفصل الأول للحديث عن مكونات البنية الوصفية ، والفصل الثاني لأدب الرحلة بوصفه فناً متميزاً أما الفصل الثالث فقد احتوى على الصورة الشعرية لأدب الرحلة وأتبعته في الفصل الرابع الحديث عن البنية اللغوية ، أما الفصل الخامس فتناولت فيه الفنون البديعة وأتبعته بالنتائج والتوصيات وكان من أهم النتائج التي توصلت إليها :-

١ - ظهور أثر الغربة في نفوس الرحالة الأندلسيين من خلال شعرهم وتأثيرها في التعصب لأندلسيتهم بصورة واضحة .

٢ - أسلوب الرحالة اتسم في معظمه بوضوح الفكرة وجمال التعبير وبساطة الجملة.

٣ - استطاعت ألفاظ الرحالة الأندلسيين وصورهم ومعانيهم أن تحمل رؤية واضحة إلى حد ما عن أوضاعهم وارتباطهم بذوق عصرهم .

٤ - اعتزاز الرحالة الأندلسيين بحضارتهم الإسلامية وثقتهم بها وبأصالتها وذكرهم مساوئ الحضارات الأخرى وهنا ما يميزهم بغلبة الحس الإسلامي .

عميد الكلية	المشرف	الباحث
د. صالح جمال بدوي	أ.د. محمود حسن زيني	عبد الله عثمان الياقوت

شكر واعتراف بالجميل

الحمدُ للَّه على نعمه التي لاتُحصى ، والشكُر له على منّه بأن يسر لي سبُلَ هذه الدراسة فله الحمد في الأولى والآخرة ، وله الحمد حتى يرضى وله الحمد والشكر بعد الرضا .

وإذا كان شكر المتفضل المنعم واجباً ، فشكر الناس من شكرالله ، لذا فإني أعيد الفضل إلى أهله ، فأتقدم بخالص شكري وعظيم امتناني **لأستاذي الكبير الفاضل سعادة الأستاذ الدكتور / محمود حسن زيني**

الذي كان لتوجيهاته وكلماته مايشحذ همتي كلما خانني العزم يشجعني مانحاً إياي الكثير من وقته الثمين في سخاء وعطاء نادرين ، فاكتسبت منه علماً وأدباً وتواضعاً ، فله الشكر خالصا .

والله أسأل أن يبقيه ذخراً ومناراً للعلم والمعرفة ومثالاً يقتدى به وأن يمد في عمره ويمتعه بالصحة والعافية .

وأشكر كذلك كل من أخذ بيدي في طريق البحث الطويل والشاق ، وأخص بالذكر الأستاذ الفاضل الدكتور حسن الوراكلي كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى جامعة أم القرى وإلى عميد كلية اللغة العربية سعادة الدكتور صالح بدوي ولسعادة رئيس قسم الدراسات العليا الدكتور الأستاذ سليمان العايد ولكل الإخوة في الله الشكر والثناء ،،

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

المقدمة

تمهيد إلى مقدمة

لم يحظ أدب الرحلات الأندلسية والتراث الأندلسي عموماً بما يستحقه من البحث والدراسة فلا نعدو الحقيقة إذا قلنا إن هذا الجانب من أدبنا العربي ويا للأسف لاقى من الإهمال الشيء الكثير على الرغم من أنه تراث جدير بالبحث والإبراز وقد أوضح أ .د حسن الوراكلي ذلك فقال « الأدب الأندلسي لم يلق من الباحثين العناية الكافية التي تتناسب مع ماهو عليه من الجودة والقوة ، فهو لايزال بحاجة إلى الدراسات الجادة التي يكشف عن أسرار وكنوز هذا التراث الذي خلفته حضارة الإسلام التي عاشت ردحاً من الزمن في الأندلس »[1] .

وإن العناية بتراثنا الأندلسي هوحفظ لثقافة أمتنا الإسلامية وتميزها الحضاري . وقد نوه الأستاذ عبدالحميد المالكي بهذا التراث في معرض إنحائه باللائمة على أبناء جلدته لإعراضهم عن تراثهم ويدعوهم إلى أتخاذه مصدراً لفكرهم وثقافتهم فيقول « ونحن بحكم التخلف الثقافي الذي عشناه طويلاً ابتعدنا كثيراً عن تراثنا الفكري الأصيل » مدفوعين بالرغبة الملحة في اللحاق بالدول التي ظننا أنها قطعت شوطاً غير قصير في ركب الرقي والحضارة ، ولم نحاول أن نزيل غبار التخلف عن تراثنا الأصيل ونتخذ منه

---

(١) انظر مقالة (تراث المغاربة في الجامعة السعودية) أ . د حسن الوراكلي ، ص ٩٠ .

مصدراً لفكرنا فهو الملائم لخصائصنا الثقافية والمنسجم مع بيئتنا الإسلامية»[١] .

وقد ساهم الأندلسيون في كل الفنون وتقدموا على من سواهم في تلك الحقبة الثمينة من الزمن ، فكان منهم المفسرون الكبار وكان من بينهم المحدثون والفقهاء الذين بلغوا الذروة في علوم الحديث والفقه والسيرة وغيرها من العلوم المختلفة ، لقد كانت رحلاتهم من الأندلس وإليها حافلة بالبطولة ، مليئة بالتضحيات والبطولة وكان أدب رحلاتهم مركز إشعاع حضاري يضيء الطريق للسائرين .

وإن العناية بتراث والأندلسيين قد (أسدت إليه خدمات جلّى إذ بعثته من مرقده ، وإذ عرفت به إذ دعت إن تصريحاً أو تلميحاً إلى استثمار مكوناته الإيجابية في ربط حاضر الأمة بماضيها من جهة وربطه هو بأصله المشرقي من جهة أخرى ، كل ذلك برؤية تعمق الوعي بالهوية الإسلاميةالتي تصل بين أبناء الأمة مع المشرق والمغرب بعرى عقدية ووشائج ثقافية لاتخلق ولاتبلى على تطاول الحقب والعصور »[٢] .

لقد كانت العلاقة الوثيقة بين الأندلس والحجاز فكراً واحداً وأدباً واحداً

---

(١) انظر الآراء التربوية لابن حزم الأندلسي وتطبيقاتها ، عبدالحميد المالكي ص ١٧ .

(٢) انظر مقالة أ . د حسن الوراكلي تراث المغاربة ص ١٣٧ - (فنحن نعلم مافعلت بنا المدنية والحضارة الغربية الحديثة ،وكيف باعدت للأسف بيننا وبين صفاء نظرتنا الإسلامية ، وكيف شكلت نفوس جيلنا في مدارس التعليم الحديثة بنظمها ومناهجها المستعارة ، ففصلت بيننا وبين ثقافتنا الإسلامية الأصيلة) تراث المغاربة .

رغم تباعد هذه الأقطار ، وكان دليل على ذلك « المدائح النبوية من القصائد التي ترسل مع الرحالة الأندلسيين من الذين لايستطيعون الرحيل وهي ظاهرة في الأندلس ونجد أنفسنا أمام حضارة إسلامية أصيلة تعكس البيئة الأندلسية »(١) .

وأدب الرحلات الأندلسية هي رسالة مجد خالدة يقرأها من هو جدير بالمجد الخالد ويستشعر الحياة فيها (٢) .

لقد كان التراث الأندلسي عن ثمانية قرون حافلاً بالإنجازات الثقافية والعلمية والأدبية لإنه تراث أبائنا وأجدادنا المسلمين ، وهذا التراث مازال مخطوطاً في المخطوطات أو مترجماً إلى لغات أسبانية وإيطالية و انجليزية وغيرها وكم وجدنا من الرحالة الأوربيين من اعتنى برحلتهم ودراسة آدابها ،

---

(١) رئيس مجمع اللغة العربية في الأردن أ . د . عبدالكريم خليفة في أثناء زيارتي له في الأردن بتاريخ ٧/٧/ ١٩٩٩م .

(٢) وإنني أتوجه إلى الله بالدعاء الخالص لاستاذي المشرف على الرسالة الأستاذ الدكتور محمود حسن زيني حفظه الله ورعاه الذي وجهني إلى اختيار هذا الموضوع ، بعد أن كان موضوعي السابق بعنوان « الجوانب الإسلامية والإنسانية في شعر عمر بهاء الدين الأميري « دراسة فنية تحليله » وبعد أن شرعت في الكتابة فيه سبعة شهور أكتشفت ان رسالة دكتوراه في جامعة الأمام محمد ابن سعود الإسلامية قد تمت مناقشتها بعنوان « شعر عمر بهاء الدين الأميري » دراسة وتحليل للباحث خالد الحليبي وقد اتصلت بالباحث واطلعت على الرسالة واخبرت أستاذي المشرف بذلك فنصحني بعدم الاستمرار في الموضوع وأشار علي بموضوع « أدب الرحلة الأندلسية إلى الحجاز » جزاه الله عني خيرا وأن ينفعني الله به ومن هذا الأدب لعلي أصل رحماً مقطوعة ، وأقدم بعض الخدمة لتراث الفردوس المفقود .

أما الرحالة المسلمون ، فلم نجد من كتب عن (أدب الرحلة الأندلسية) إلا في صفحات قليلة في المصادر الأندلسية أو التاريخية ، وذلك أن المصادر التي أرخت لهم قليلة جداً خاصة أصحاب الرحلات منهم . ولذلك كان من الأولى . دراسة أدب الرحلة عندهم وتقديمه للباحثين والإطلاع على كنوزه والتنبيه عليها .

إن أدب الرحلة الأندلسية نثره الفني وشعره هو الوسيلة التعبيرية الأولى لكتابته وإبداعه وذلك لتدخل مجموعة من الاعتبارات الثقافية والتاريخية لتحديده .

لقد دأب الأندلسيون طويلاً على الإعجاب بالمشرق والحنين إليه ، فهو في نظرهم وطنهم الأول ومهد حضارتهم الإسلامية ومصدر زادهم الروحي والثقافي ، فأخذ كل أندلسي يشعر بأنه جزء من هذا المشرق ، يحن إليه وظل هذا الشعور قوياً في أعماق الأندلسيين على امتداد الزمن وامتداد التواصل مع المشرق حتى أخر عهد المسلمين ، وظل الأندلسيون يحفظون لبلاد الحرمين إجلالاً كبيراً وتقديراً عظيماً .

وأدب الرحلة عند د / « ناصر الموافي «وثيقة حية ونتائج معابعة ، وفوق ذلك يمكن اعتبارها وثيقة نفسية رائعة في استنباط الحقائق عن النفس البشرية التي يمثل الرحال أحد نماذجها البارزة والنماذج الرفيعة من هذه الوثائق النفسية تكتسب صفة الخلود لأنها سترتفع عن كونها ذات طابع فردي خاص لتصبح ذات طابع إنساني عام »[1] .

---

(١) الرحلة في الأدب العربي (حتى نهاية القرن الرابع الهجري) ، د . ناصر الموافي ص ٥١ .

إن أفضل أجزاء الرحلة هي تلك التي تصف الرحال وأدبه من شعر،

ومن العوامل التي نجدها أن بعض الرحالة لم يدونوا رحلاتهم بأنفسهم بل عهدوا إلى بعض معاصريهم بتدوينها ، تاركين لهم الحرية لنسج تفاصيل أخرى ومن الأسباب غير الموضوعية قيام بعض اللاحقين باختصار النصوص وتجريدها بكل مايمت إلى الأدب والإبقاء على ماهو علمي بالإضافة إلى أن بعض النصوص ضاعت كاملة وأخرى فقدت بالحذف .

وتقاعس بعض الباحثين المعاصرين ويالـلأسف تجاه هذا الفن عندما ترجموا نصوص هذا الأدب من لغات أخرى ترجمة غير دقيقة أساءت إليه أكثر مما خدمته قاطعين كل صلة بهذه النصوص . وكل هذه العوامل السابقة تضافرت لتقدم صورة مشوهة لهذا الفن رغم أنه مادة متعددة الجوانب .

موضوع البحث يمكن حصره في دراسة وافية عن الرحالة الأندلسيين كمثال ابن جبير ، والبلوي ، والقلصادي ، وابن جابر الوادي آشي ، والرعيني ورحلاتهم ، وحصرها في نصوص مضمون الرحلة والشكل الذي صدرت به ودراسة الشعر والنثر .

والحقيقة أن هذا اللون الإبداعي قد عرفه الأدب العربي قديماً وحديثاً فلو قمنا بجرد لفهارس المخطوطات العربية لعثرنا على كمية من الرحلات الأندلسية التي تعتبر شواهد على عصرها بحيث عمل أصحابها على تدوين مشاهداتهم وتقييد شهاداتهم في البلاد التي نزلوا فيها .

وقد وجدت بعض الباحثين من تنوعت أقلامهم في دراسة الرحلات تاريخياً وجغرافياً كما أوضحت في السابق ، حيث إن الجانب الأدبي والفني من الرحلة لايوجد الا في القليل النادر في هذا الجانب ، من الكتب التاريخية التي تهتم بهذا المجال . فمن المشارقة [1] الأستاذ زكي محمد حسن وكتابه «الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، ومحمد الخضر حسين وكتابه : «أدب الرحلات عند العرب في الشرق ، والأستاذ أحمد رمضان أحمد في كتابه « الرحلة والرحالة المسلمون » ثم كتاب (أدب الرحلات وتطوره في الأدب العربي) لأحمد أبو سعد وكتاب (أدب الرحلة : تاريخه وأعلامه) لجورج غريب ، (والرحلة إلى الغرب والرحلة إلى الشرق) لناجي نجيب ، وكتاب (أدب الرحلة عند العرب) لحسين محمود حسين ، وكتاب (أدب الرحلات) لشوقي ضيف (وأدب الرحلة في التواصل الحضاري ، سلسله ندوات جامعة المولى إسماعيل ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية - مكناس المغرب) (وأدب الرحلة في العصر المريني) للحسن الشاهدي (والرحلة في الأدب المغربي) فاطمة خليل ، (والرحلة في الأدب العربي

---

(١) مجلة الفيصل مقال للدكتور سيد حامد النساج تحت عنوان دعوة لدراسة أدب الرحلات في تراثنا العربي ص ٩١ عدد ١٨٦ السنة (١٦) يونيو ١٩٩٢م .

حتى نهاية القرن الرابع الهجري) د . (ناصر الموافي ، وأدب الرحلات دراسة تحليلية من منظور إنثوجرافي) (د . حسين محمد فهيم عن سلسلة عالم المعرفة الكويت) .

ومن الذين عنوا بالرحلات من الجانب التاريخي وتحقيقتها الشيخ محمد المنوني والأستاذ الدكتور عبدالسلام الهراس ، والدكتور محمد ابن شريفة ، ود . حسين مؤنس ، ود . عبدالعزيز الساوري ، د . الطاهر أحمد مكي ، والشيخ الدكتور محمد الحبيب بلخوجة ، ود. محمد الكتاني والدكتور عباس الجراري والأستاذ الشيخ عبدالله كنون ، والشيخ حمد الجاسر رحمه الله ، ود . محمد رجب البيومي والتأثر ، ود . مصطفى عليان ، و د. عباد الثبيتي ، وأ . د .حسن الوراكلي ، و د . عبدالوهاب فايد . إلى جانب الندوات والمحاضرات .

غير أن الملاحظ في الكثيرمنهم أنهم لايعرجون على كل الرحالين الأندلسيين وإن حاولوا فبشكل سطحي ، بل وجدت البعض من يقفون عند أشهرهم اسماً ، وأبعدهم صيتا ألاوهو ابن بطوطة الذي ارتبطت شهرته برحلته الطويلة زمنياً والبعيدة مكانيا ، والتي احتوت على الحكايات العجيبة والأخبار الطريفة ما عجل بشهرتها منذ عصرها إلى اليوم ، وقد ترجمت إلى عدة لغات أجنبية .

وجعل صاحبها من رواد هذا الفن ، وفي هذا يقول الدكتور سيد حامد النساج : « لايكفي أن نقف في الحديث عن أدب الرحلة عند ابن بطوطة [١] ثم يضيف قائلاً « لقد لاحظت أن جمهور المثقفين بعامة و الجمهرة العربية القارئة بخاصة ، لايعرفون عن الأدباء الذين كتبوا عن رحلاتهم إلا ابن بطوطة لأن عددا من المؤرخين والباحثين والدارسين الذين التفتوا إلى هذا اللون من الكتابة لم يقفوا إلا عند رحلات ابن بطوطة ، ومن ثم دارت مؤلفاتهم حولها ، نشير على سبيل المثال إلى (ابن بطوطة ورحلاته) للدكتور حسين مؤنس ، ورحلة ابن بطوطة تقديم كرم البستاني (ابن بطوطة في العالم الإسلامي ابراهيم العدوى ، وإذا ما اطلعنا على الدرسات الأندلسية في هذا المجال فإننا لانرى إلا اليسير حول الرحلة الأندلسية في المصادر المختلفة .

---

(١) مجلة الفيصل مقال للدكتور سيدحامد النساج ،تحت عنوان (دعوة لدراسة أدب الرحلات في تراثنا العربي ، عدد ١٨٦ ص ٩١ ، السنة ١٦ يونيو ١٩٩٥م .

فإن الرحلات للبقاع المقدسة تتسع آفاق ارتسامها إلى شمال أفريقيا مروراً بمصر وانتهاء بالحرمين الشريفين وكانت هذه المناطق تمثل الخط الذي يسير فيه الجميع من أيام بني مرين حتى منتصف القرن ١٣هـ وذلك فإن منهجية هذه المؤلفات حتى هذا اللون الأدبي تتميز بتسجيل ارتسامات في مساره الطويل ذهاباً وإياباً فتصف البلاد والسكان والمعالم والعادات في عروض ، وتطول أو تقتصر حسب خطة الرحلة ، وينوه فيها المؤلف بأسماء الذين يتعرف عليهم من رجال العلم ، في لوائح أو تراجم وجيزة أو مطوله مضافا لذلك عروض الإجازات المتبادلة في نصوصها ، فضلا عن وصف المشاهد الإسلامية الكبرى وخصوصاً في الحرمين الشريفين وفي هذا الإتجاه يتحدث بعض الرحالين عن الخزائن التي زاروها في طريقهم ذهاباً وإيابا وهو واقع أبي سالم العياشي ومحمد بن عبدالسلام الناصري ، وأحمد الفاسي وسواهم وبين هؤلاء من يعلن عن اكتشاف نوادر وذخائر كانت مجهولة .

« ولما كانت طرابلس الغرب مكان استراحة للركاب الحجازية في تشريقها وعند تغريبهاجاءت كتابات الرحلات تسلسل منها وصف تاريخي لهذه المنطقة في فترة تناهز ثلاثة قرون »)[١] .

وتبين الرحلات الأندلسية دورها في ربط الصلات الثقافية بين شمال أفريقيا والمشرق وأيضاً في وصف الطريق جغرافياً وتاريخيا وحضارياً وروحياً ويضاعف من أهمية هذه المعلومات أن معظمها مما أهمله تاريخ المناطق التي تصفها الرحلات .

---

(١) مقال في مجلة المناهل المغربية « الرحلات المغربية الحجازية » محمد المنوني ، العدد ٥١٨ المجلد٥٦ ، اغسطس ١٩٩٤ ، ص ١٦ .

أنواع الرحلة :

تتنوع الرحلة باعتباردوافعها وأغراضها[1] فنجد الرحلة الحجازية التي يكون هدف صاحبها مقتصراً على أداء فريضة الحج وزيارة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم . ومنها الرحلة العلمية ذات الغرض العلمي والمتجلى في لقاء الشيوخ والعلماء والأخذ عنهم ، والتتلمذ عليهم وربط الصلة بسندهم ، ومنها السفارية وهدفها سياسي حيث يكون الرحالة سفيراً لبلاده ، إلى جانب هذه الأنواع الرحلة السياحية او الاستكشافية التي تتخذ من السياحة في الأرض والتعرف على المجهول أساساً لها كما هو الحال بالنسبة لابن بطوطة ومن خصوصيات أدب الرحلة عموماً أنها تتخذ الوصف عمادها والأخبار أساسها ونقل الواقع الحقيقي حتى لتكاد وأنت تطالع رحلة من الرحلات كأنك في ذلك العصر الذي كتبه فيه وعلى أرض تلك البلاد التي تنقل إليك أخبارها وأمام أولئك القوم الذين تحكى عنهم، تسافر مع الرحالة من غير مطية ، وتجوب معه البلاد للتعرف على الماضي من خلال مايبدى لك .

لم يكن الرحالة ناقلاً للأخبار واصفاً للمشاهد والآثار فحسب ، بل كان ناقداً بصيراً بالأمور ، خبيراً بعللها ، يستطيع بحسه ينفذ إلى خبايا الأشياء وخفاياها ، فتأتى تعليلاته دقيقة ، وتصحيحاته مضبوطة مع الحديث الذي ينقل إليك خبره، حيث إنه يدرك بالنظرة القصيرة مايتعذر على المتأمل .

---

(١) دراسات مغربية ، للأستاذ / المرحوم محمد الفاسي ، ص ٦٨ .

وإلى جانب صفتي المؤرخ والناقد فقد كانت صفة الجغرافي ملتصقة به، وصفة عالم الاجتماع من أهم مميزاته ، يعين مواقع البلدان في رحلته ويصف المسالك والطرق وينقل أخبار القوم مقدماً تحليلاً لنفسياتهم وتفكيرهم ونمط عيشهم ذكراً لحياتهم الحضارية، هدفه من ذلك نقل شهادة صادقة عن واقع عصره ومحيط رحلته ، معتمداً في الأصل على المشاهدة المباشرة والمشاهـــــدة العينية .

إضافة إلى هذه الصفات غالباً مايكون الرحالة عالماً كبيراً وفقيهاً متبحراً ، له إلمام بعلوم القرآن والحديث ، ودراية باللغة والأدب ، إلى جانب مايتفرع عن هذه الأصول من فروع وهذا مايجعل الرحلة ميداناً رحباً منفتحاً على جميع العلوم والمعارف ، فيجد المؤرخ ذاته ، ويستنبط منها عالم الاجتماع أحكامه ، ويقتبس منها الجغرافي تصويباته ، بينما يجد فيها الأديب نفسه، والناقد والمفسر غذاءه والمحدث مبتغاه ، والقارئ لذته .

والحقيقة التاريخية تؤكد أن هذا النوع من الأدب لم يكن حكراً على قوم دون قوم أو موقوفا على أناس من الأقطار في العالم الإسلامي دون آخرين بل هو عام مشترك ، وتدعو إليه العزيمة القوية لمجابهة أخطار السفر وأهوال الرحلة وهذا التخصيص من سمات الرحالين مشارقة ، ورغم قلة ما بأيدينا من الرحلات والأندلسية الخاصة بالعصور الماضية وهكذا شهد هذا العصر تعاقب سلسلة من الرحلات ذات الوجهة الحجازية والأهداف المتباينة لقدتم تسجيل رحلة ابن جبير .

ورحلة البلوي «تاج المفرق في تحلية علماء المشرق » ٧١٣هـ ، وآخرهم رحلة القلصادي ٨٩١هـ .

والملاحظ بخصوص الرحلات الأندلسية المذكورة رغم خلوها من وصف مناطق الأندلس وحالاته الاقتصادية والإجتماعية والسياسية والفكرية والثقافية ، فإنها لم تخل من تسجيل وصف للمحيط الذي وطئته أقدام أصحابها وهو وصف مستمد من الواقع باعتبارأن عملية التدوين كانت تنطلق مع انطلاق الرحلة وتعتمد على المشاهدة والاتصال المباشر ولا تعدوها إلى الخيال .

لقد سبق أن أشرت إلى أن غياب دراسة وافية ومستفيضة عن الرحلات الأندلسية كان من أهم الدوافع في اختيار الموضوع ، خاصة عدم وجود ترجمات واسعة عن الرحالة الأندلسيين وكتب الطبقات وإنني في هذه الدراسة أحاول أن أسلك مسلك الاجتهاد العلمي المنبثق عن نصوصهم المثبته في صلب رحلاتهم أولاً ، والتي تتبعتها في بطون بعض المصادر القديمة ثانياً .

وقد اعتمدت في هذه الدراسة على المنهج التحليلي الذي يعتمد استقراء النصوص ومن مستلزمات هذا المنهج تقسيم هذه الدراسة :

أولاً : القراءة في المصادر والمراجع وكان الهدف منه وضع الرحلة في مسارها التاريخي مع اعتماد السبق الزمني في ترتيب المصادروالمراجع التي أشارت إليها .

ثانياً : العناية بترجمة فعلية للرحالة وقد اعتمدت في بناء هذه الترجمة على جمع تلك المعلومات والإضاءات البسيطة المتناثرة في تلك

المصادروالمراجع عن تاريخ مولدهم ونشأتهم .

ثالثاً : دراسة المحتوى الأدبي للرحلة الحجازية فيما يتعلق بالسفر وموضوعاته والنثروموضوعاته ،ودراسة البعد الثقافي والعلمي ومايتعلق بهـذا البناء .

رابعاً : دراسة البناء الفني للرحلة الحجازية شكلاً ومضموناً ، دراسة الأسلوب الفني في تدوين الرحلة الذي لم يخل من طابع العصر تأثراً وتأثيراً ، والأنماط الأسلوبية والأشكال التعبيرية ممايبرز أقتدار كتابها في مجال النثر الفني شأنهم في ذلك شأن علماء عصرهم .

ومن هذه الدراسة التي تعددت محاورها بين قيمتها الأدبية وأثرها في المؤلفات اللاحقة عليه ومن اعتمد عليها من الرحالة ومن أعجب بقيمتها الأدبية فعمد إلى تخليصها .

الباب الأول
الرحلة الحجازية عند الأندلسيين

الفصـــل الأول :

أ – الرحلة في الإسلام .

ب – مكانة الحجاز في صدرالإسلام .

الفصل الثـاني : أهمية الرحلة الحجازية عند الأندلسيين واثرها على الحركة الأدبية .

الفصل الثالث : أ – مفهوم الأندلسية

ب – الشخصية الأندلسية .

الفصل الرابع : مخاطر الرحلة الأندلسية .

الفصل الخامس : آثار الرحلة الحجازية وازدهارها

– ازدهار الرحلة .

ب – فوائد الرحلة .

الفصل السادس : تطور الرحلة الحجازية وأبعادها .

الفصل السابـع : القيمة الأدبية والعلمية للرحلات الأندلسية .

الفصل الثامـن : كُتاب الرحلة الحجازية وآثارهم .

الفصل الأول

أ - الرحلة في الإسلام .

ب - مكانة الحجاز في صدر الإسلام .

الفصل الأول

أ - الرحلة في الإسلام

الرحلة في الإسلام

حث الإسلام على الارتحال ودعا إلى السفر والسياحة في الأرض طلباً للعلم والمعرفة ، والتفقه في الدين ، مما جعل السفر تراثاً يتصل بالتاريخ الإسلامي لدى جميع الشعوب الإسلامية ، فقد انتشر الإسلام في ربوع الأرض وازدهرت الرحلات في عصر مابعد الفتوحات الإسلامية ، ونشطت باتساع رقعة العالم الإسلامي ، وتنوع منابع المعرفة .

لقد حث الإسلام على العلم وأصبح العلم في عرف المسلمين فريضة ، وطلبه عبادة ، والبحث عنه جهاداً ، وقد اتسع مفهوم العلم عند المسلمين ليشمل نواحي الحياة كلها ، فإن المسلمين كلفوا بالسعي إليه والرحلة في طلبه ، وتبعاً لنوعية الغاية التي يرحل من أجلها المسلم « فقد أصبحت الرحلة أمراً واجباً »[1] « والرحلة في طلب العلم ظاهرة قديمة ، نشأت بنشأة الحضارات الكبيرة التي تفاعلت سلماً وحرباً ، وتبادلت فيما بينها عوامل التأثير والتأثر ، فكل حضارة لاحقة تأخذ من أصول وروافد حضارة سابقة »[2] .

« وكثيراً ما كان القيام بفريضة الحج نقطه انطلاق للرحالة الحاج يندفع بعدها إلى السفر في البلاد المختلفة وتفقد عادات أهلها واستقصاء أحوالهم ، وبالإضافة إلى نشر الإسلام وأداء فريضة الحج كانت هناك عوامل مساعده

---

(١) المرشد الأمين ، رفاعة الطهطاوي ، ج٢ ص ٧١٦ .

(٢) المنجد في اللغة والأعلام ، ص ١٢ .

على الرحلة كالتجارة ونقل البريد وجباية الخراج وما إلى ذلك » [١] وقد ورد ذكر الرحلة في القرآن الكريم في قوله تعالى ﴿ **لإيلف قريش إلفهم رحلة الشتاءوالصيف** ﴾[٢] (فلقد كان أهل مكة يألفون الرحلة والأسفار بغرض التجارة وقد زادت رغبتهم في التنقل والارتحال بعد انتشار الإسلام لأغراض شتى بعضها ديني وبعضها اجتماعي ، ونزولا على النصوص التي تندب إليها ، ومن نافلة القول نذكر بأن الإنسان في رحله دائمة في هذه الحياة الدنيا منذ أن كان جنيناً إلى أن يقضي نخبه في كدح دائم وكفاح مستمر) [٣] .

وقد دعا الإسلام إلى الرحلة وتكررت دعوة الله لعباده بالمشي في مناكب الأرض ، ليروا عجيب صنعه وباهر قدرته من الآيات والبينات ما أودعه فيها من معادن ونبات ، وفضلا عن النظر إلى آثار الأمم الماضية لكي يستطيعوا الوقوف من خلال ذلك على صنع الله الذي يجريه في الكون من نحو إهلاك الظالمين ، وتمكين الصالحين واستخلافهم يقول تعالى : « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد

---

(١) الرحلات في التاريخ الإسلامي ، د . عيسى فتوح ، ص ١٩٠ ، مقال مجلة التربية ومنظمة الثقافة لدول الخليج .

(٢) سورة قريش آية : ١ .

(٣) الرحلة في الإسلام ، أنواعها ، وآدابها د . عبدالحكم عبداللطيف الصعيدي ، ص ١٥ .

خوفهم أمنا يعبدونني لايشكرون بي شيئاومن كفر بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون ﴾[١]

وقد دعت الآيات الكريمة إلى السير في الأرض قال تعالى ﴿ قد خلت من قبلكم سنت فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عـقبة المكذبين﴾[٢]

وقال تعالى ﴿ قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ﴾ [٣] .

وقوله تعالى : ﴿ قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عقبة الذين من قبل كان أكثرهم مشركين ﴾[٤] وقوله : ﴿ وهو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور ﴾ [٥] .

ويهدف الإسلام من وراء دعوته إلى السير في الأرض وأن يتسلح المرء بالنظر الدقيق والرؤية الموضوعية للأشياء حتى يستطيع استخلاص الدروس الحقيقية المتجرده والعبر الواقعية قال تعالى ﴿ ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله ﴾[٦] .

فلا غرو أن يسافر الراحلون من بلاد إلى أخرى بحثاً عن العلم والأدب الذي له الدورالكبير في تهذيب النفوس وإصلاحها ، لم يدع الإسلام وسيلة

---

(١) سورة النور آية ٥٥ .

(٢) سورة آل عمران : أية ١٣٧ .

(٣) سورة العنكبوت : أية ٢٠ .

(٤) سورة الروم : آية ٤٢ .

(٥) سورة الملك : آية ١٥ .

(٦) سورة النساء : آية ١١٠ .

من وسائل الرقى إلا نبه عليها وندب إلى العمل بها ، وهذا شأنه في الرحلة ، فقد دعى إليها رامياً لأغراض سامية منها طلب العلم ومنها الاعتبار بالأمم السابقة وغيرها من الأغراض وقد بدأت الرحلة في أيام الإسلام والرسول صلى الله عليه وسلم بين أظهر الناس ، فقد كانت تأتية الوفود جماعات وأفراداً من الذين أسلموا للتفقه في الدين ، وكان الأعرابي يأتي الرسول صلى الله عليه وسلم بكل خشونه البداوة يجلس بين يديه ويحثو على ركبتيه ويقول للنبي صلى الله عليه وسلم : يارسول الله إني أعرابي جاف فعلمني [١] .

فقد أرسل الرسول صلى الله عليه وسلم نفراً من أصحابه القراء إلى الأمصار لتفقيه الناس في الدين ، وسار على نهجه الخلفاء الراشدون وفدوا إلى الأقاليم عدداً من القراء ، وكان الخليفة عمر بن الخطاب يأمر الناس في بلادهم أن يقابلوا مبعوثيه من القراء أيام الجمعة بالمساجد ليأخذوا عنه احكام الدين [٢] .

وهكذا أصبحت عواصم الأقاليم المفتوحة مدارس علمية يقبل عليها المسلمون الجدد طالبين للقرآن والحديث والفقه، قال قيس بن عباد : «دخلت المدينة ألتمس العلم والشرف » [٣] .

وأعقب القراء والفقهاء الذين انتشروا في المدن ، وكان لهم المساجد حلقات تعليمية ويأتيهم الناس من داخل المدن ومن خارجها سائلين ومتعلمين

---

(١) تاريخ أبى زرعة الدمشقي ، أبوزرعة ، ج١ ص ٣١٢ ، تحقيق شكر الله الفوجاني .

(٢) الحضارة العربية الإسلامية ، د . علي حسن ص ٣٣٣ .

(٣) تذكرة الحفاظ ، الذهبي ، ج١ ، ص ١٣ .

وكان الأئمة الأربعة على رأس هؤلاء الفقهاء الذين شدت إليهم الرحال، وضربت إليهم أكباد الأبل سعياً في طلب العلم ، وهكذا أصحبت المدينة المنورة مع الأمام مالك والكوفة مع الأمام أبي حنيفة ، ومصر مع الأمام الشافعي وبغداد مع الأمام أحمد بن حنبل ، مدناً علمية ودينية تغزوها أفواج الرحالة من المسلمين .

ولم تقتصر الرحلة على مجرد التفقة لغرض ديني يستهدف تصحيح العقيدة وحسن العباده يستوي فيها العامة والخاصة ،وإنما امتدت لتشمل أفراداً متعلمين في مجالات مختلفة دينية وأدبيه وطبيعية وغيرها يرحلون إلى شيوخ اعلام يأخذون عنهم العلم والخبرة، كل في مجال تخصصه لغرض علمي أو ثقافي ومن هنا تأخذ الرحلة مفهومها الخاص .

والرحلة بهذا المفهوم بدأت بزمن مبكر طلباً للحديث ، فالقرآن قد كتب وجمع في مصحف وأخذ به الخليفه عثمان واستنسخه المسلمون ، لكن الحديث لم يكن قد جمع وكتب بعد ، وإنما حفظ في الصدور وتفرق به الحافظون ورواته ، وتوفي منهم الكثير وكان لابدمن الرحلة إلى من وجد منهم لا أخذ ماعندهم من حديث بقصد جمعه وتدوينه وتصحيح سنده أو متنه ، وكان الشافعي يقول لا أحمد بن حنبل : « يا أبا عبدالله أنت أعلم بالحديث مني ، فإذا صح الحديث فأعلمني حتى أذهب إليه شامياً كان أم كوفياً أم بصرياً »[1] .

---

(١) شذرات الذهب في اخبار من ذهب ، ابن العماد الحنبلي ، ج٢ ، ص ١٠ .

وانتشر الرحالة في هذا المجال العلمي الدين ، ولقب أصحابه بالسائحين، ومن أوائل الذين رحلوا للحديث الشريف بصفة خاصة ولعلوم الدين بصفة عامة ، سعيد بن المسيب قال عن نفسه « إن كنت لأسير في طلب الحديث الواحد مسيرة الأيام والليالي »[(١)] ورحل جابر بن عبدالله الأنصاري إلى أنس بن عبدالله مسيرة شهر في طلب حديث واحد ،ورحل عتبة بن الحارث إلى مكة والمدينة في مسألة واحدة ، ورحل مسروق بن الأجدع م ٦٣ هـ رحل من مكة إلى الكوفة ثم إلى البصرة في آية فسأل عن الذي يفسرها ، فأخبر بأنه في الشام ، فتجهز إلى الشام حتى سأل عنها قال عنه الشعبي م / ١٠٣ هـ «مارأيت أحداً أطلب للعلم في الآفاق من مسروق »[(٢)] وقال مكحول : «طفت الأرض كلها في طلب العلم »[(٣)] والأرض كلها التي تكلم عنها كانت تمثل العالم الإسلامي المطروق في عصره .

سن الرحلة :

كان الرحالة من المسلمين يرحلون في طلب العلم في أعمار مختلفة فبعضهم رحلوا صغاراً في رعاية آبائهم ، ولم يكن هؤلاء الصغار مجرد مصاحبين كنفر من الأصل، وإنما كانوا - كل بحسب مستواه - كالكبار متعلمين باحثين عن شيوخ العلم راغبين في اللقاء بهم والأخذ عنهم

---

(١) تاريخ أبي زرعة الدمشقي ، أبوزرعة ، ص ٣٤٤ .

(٢) الحث على طلب العلم والاجتهاد في جمعه ، أبو هلال العسكري ،تحقيق مروان قباني ص ٦١ .

(٣) تذكرة الحفاظ ، الذهبي ، ج١ ص ١٠٢ .

والإجازة منهم كمارحل الشباب والكهول والشيوخ ، ولكن السن الغالبة التي تعبر عن الوسط العمري للرحلة إنما هي سن الشباب حيث تتضافر عوامل عدة مواتية على قيام الرحلة منها :

اكتمال النضج الجسمي والعقلي والنفسي الذي يؤهل الطالب لتحمل مشاق الرحلة ، والقدرة على التكيف في ظروف مغايرة مع أفراد من بيئات وثقافات مختلفة ،وتكوين ثروة تعين على الرحلة وتكاليفها أو تدبيرعمل يعيش منه طوال سنوات الرحلة ، وقد لخص ذلك ابو حنيفة في وصيته لتلميذه أبي يوسف حيث قال «واطلب العلم أولاً ، ثم اجمع المال من الحلال ، ثم تزوج ، فإنك إن طلبت المال في وقت التعلم عجزت عن طلب العلم (وألهتك الدنيا والزواج والأولاد .. واشتغل بالعلم في عنفوان شبابك ووقت فراغ قلبك وخاطرك » (١) .

ومن خلال النظر إلى المجتمع الإسلامي نجد الصغار والكبار والشباب شاركوا في الرحلة فمن الصغار الذين رحلوا للعلم :

- أبوبكر بن العربي (محمد بن عبدالله) م ٥٤٣هـ ، رحل مع أبيه من الأندلس ، وطاف بكثير من بلاد المشرق في مصر والشام ومكة وبغداد وغيرها (٢) .

---

(١) الطبقات السنية في تراجم الحنفية ، تقي الدين التميمي ، تحقيق عبدالفتاح محمد الحلو ، ص١٨٦ - ١٨٧ .

(٢) أحكام القرآن ، ابن العربي (تحقيق علي محمد البجادي) ج١ ، ص ٦ .

- أحمد بن عمر (أبو العباس الأنصاري) م ٦٢٦هـ : « رحل مع أبيه من الأندلس في سن الصغر ، فسمع كثيراً بمكة والمدينة والقدس ومصر والاسكندرية وغيرها من البلاد (وأصبح عالماً) يشار إليه بالبلاغة والعلم والتقدم في الحديث »[١] .

- ابن سيد الناس ، م ٧٣٤ ، من بيت رياسة بأشبيله ، أحضره أبوه وهو في الرابعة من عمرة فأسمعه على الشيخ شمس الدين المقدسي والقطبي والقسطلاني وغيرهما ، ثم رحل إلى دمشق ، وأجاز له جمع جم ، يذكر الذهبي أنه مشيخته تقارب ألف[٢] .

اما عن الشباب الرحالة الذين طافوا كثيراً من عواصم الحضارة الإسلامية للتعلم أو للتوثيق العلمي او للسياحة الثقافية فهم لايحصون عدداً ، نذكر منهم :

- البخاري ، المحدث الشهير م ٢٥٦ هـ ، فقد رحل إلى مكة وأقام بها مدة يطلب فيها الحديث ، ثم رحل بعد ذلك إلى سائر المدن في البلدان وكتب عن أكثرمن ألف شيخ .

- أبو حيان الأندلسي م ٧٥٤هـ تعلم بالأندلس وإفريقيا ومصر ، وأخذ العلم عن أربعمائة وخمسين شيخاً لقيهم في مدن متعددة ، أمامن أجاز له فكثير جداً[٣] .

---

(١) الديباج المذهب في معرفة علماء أعيان المذهب ، المالكي (تحقيق د . محمد أبو النور) ج١ ص ٥ .

(٢) البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع الشوكاني ، ج٢ ص ٢٤٩ - ٢٥١ .

(٣) المصدر السابق ، ج٢ ص ٢٨٨ - ٢٩١ .

- خالد بن عيسى البلوي الأندلسي م / ٧٦٥ هـ أوقيل ٧٨٠ ، قام برحلته إلى المشرق في سنه ٧٣٦ بعد رحلة ابن بطوطة بسنوات قليلة ، وأخذ العلم عن شيوخ كثيرين [١] .

- ابن النجار قام من المغرب برحلة طويلة في المشرق العربي زار خلالها كثيراً من المدن ، واشتملت مشيخته على ثلاثة آلاف شيخ [٢] .

- أبو عبدالله التلمساني العجيسي م ٧٨١هـ ، رحل عن تلمسان إلى كثير من بلاد المغرب والمشرق ، واستمع إلى علماء أفاضل ، وبلغت شيوخه ألفي شيخ [٣] .

- ونلاحظ أن ابن بطوطة وخالد بن عيسى البلوي كانا في الثالثة والعشرين من العمر عند قيامها بالرحلة والقليل من الرحالة كانوا دون العشرين كالبخاري الذي رحل في سن الثامنة عشرة .

وقد تعددت رحلات الأندلسيين إلى المشرق وذلك بسبب تعدد العواصم الثقافية بالمشرق العربي التي حظيت بأعداد كبيرة من العلماء واشتهارها بمذاهبها الدينية وإبداعاتها الثقافية ومدارسها اللغوية والأدبية ، وقد أصبحت الرحلة إليها والنهل من كنوزها وعلوم شيوخها مطمحاً كبيراً

---

(١) تاج المفرق ، البلوي (نشر وتحقيق) الحسن السائح ، ص ١٥ - ١٨ .

(٢) تذكرة الحفاظ ، الذهبي ، ص ١٤٢٩ .

(٣) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاه ، السيوطي (تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم)ج١ ، ص ٤٦ - ٤٧ .

يرغب في تحقيقه الرحاله ولهذا فقد حرصت التراجم التي أرخت لهم على ذكر عبارة أثيرة : « كانت له رحله إلى المشرق وعاد بعلم غزير أو كثير »[١] أو سبب آخر وهو الخروج للحج واداء مناسكه وهذا يتطلب المرور بعدد من البلاد المشرقية وكان الرحالة يلتقى في طريقة للحج بعدد من العلماء سواء حلقاء العلم بالمساجد أو في قاعات الدرس بالمدرس .

مدة الرحلة :

تختلف مدة الرحلة من رحال لآخر حسب الظروف الشخصية لكل فرد ، وحسب الهدف الخاص من الرحلة فقد تدوم بعض الرحلات شهوراً او سنوات ، أو عشرات السنين ، فالأمام البخاري رحمه الله طاف اربعين سنه في العالم الإسلامي وكانت رحلته خاصة بجمع الحديث[٢] وكذا ابوطاهر السلفي تجول في البلاد ثمانياً وثلاثين سنة ، التقى فيها بأكثر من ألف شيخ[٣] وسلام بن يزيد الأندلسي ، رحل إلى بغداد ليأخذ عن الجاحظ

(١) المقتبس من أبناء أهل الأندلس ، ابن حيان القرطبي ، (تحقيق د . محمود علي مكي) ص ٢٢٦ ، وابن الفرضي ، تاريخ علماء الأندلس مرجع سابق ، ص ٤٠٦ - ٤٠٨ .

(٢) عبقرية العرب في العلم والفلسفة ، د . عمر فروخ ص ٩٣ .

(٣) مرجع سابق ، ص ٤٩ .

علمه فأقام عنده عشرين سنه [١] وقد تكون مدة الرحلة فترة متصلة ، إذا ظل الرحال غريباً عن موطنه متنقلاً في البلاد طالباً للعلم ، وقد يقطعها الرحالة بالعوده إلى بلده والإقامة بها للعمل .

ويشعر الرحال بالغربة ، مضحياً بكل عزيز لديه من مثل فراقه الأحبة والأهل وقوه التحمل والسفر السنين وملاقاة عذاب الغربه بنفس راضية ، وقد يضطر الرحالة إلى حمل زاد يعينه ، أو كتب يشتغل بها ، أو قطع من الثياب يبادل بينها في لباسه ، وقد يتحمل تقلب الأجواء بين حر لافع وبرد قارص ، وقد يعاني من وحشة الطريق بلارفيق .

والواقع أن المجتمع الإسلامي الذي قدر العلم واحتفى بالعلماء لم يكن يترك السائحين في سبيل العلم معذبين أومهانين .

(كانت العواصم الثقافية في مختلف الأقطار الإسلامية مترابطة فيما بينها بشبكة طرق جيده ، تسهل حركة الانتقال والسفر في عالم مفتوح تشده أواصر الدين واللغة والثقافة ، وكان من الممكن للرحالة أن يقطع العالم الإسلامي كله من شرقة إلى غربه في أقل من عشرة أشهر) [١] .

---

(١) المحاضرة وأخبار المذاكرة ، ج٨، ص ٢٠٢ - ٢٠٣

(٢) علماء النظاميات ومدارس المشرق الإسلامي ، د . ناجي معروف ، ص ٢٣١ ، .

الفصل الأول

ب - مكانة الحجاز في صدر الإسلام

مكانة الحجاز في صدر الإسلام

للحجاز مكانة متميزة في تاريخ الإسلام ودولته ، ففيه ظهر الإسلام واستقرت فيه الدولة الإسلامية وفيه عاش الرسول صلى الله عليه وسلم كل حياته وقضى الخمسين سنه الأولى من عمره في مكة حيث نزل بمكة الوحي وبدأ الدعوة للإسلام ، ثم هاجر إلى المدينة المنورة التي أصبحت فيما بعد قاعدة الإسلام ومركز المسلمين ، ومنها بدأت الدولة تتوسع حتى شملت الدولة الحجاز معظم جزيرة العرب ، وفي الحجاز تقع الكعبة المشرفة التي يتوجه إليها المسلمون في كافة أرجاء الأرض يومياً في صلواتهم خمس مرات وفيه مكة يحجون إليها من كل بقاع العالم ، كما أن فيه المدينة التي تضم مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعالم المتصلة بالإسلام ومع أن عدداً من العرب خارج الحجاز أسلموا في تلك السنين وأن الرسول صلى الله عليه وسلم كون علاقات سياسية مع قبائل تقطن خارج الحجاز ، إلا أن السلطان الفعلي لدولة الإسلام مع البداية لم يخرج عن الحجاز .

وقد ظل أهل الحجاز على الإسلام بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فلم يرتد أحد من أهل المدينة ومكة كما أن معظم القبائل الحجازية ظلت على الإسلام ولاريب أن موقف أهل الحجاز كان من الدوافع التي حملت الخليفة الأول أبا بكر الصديق على الاعتماد على الحجازيين في القضاء على حركات الردة وإعادة سيطرة الإسلام على الجزيرة وتثبت سلطانه عليها ،

ولابد أن الإيمان العميق لأهل الحجاز هو العامل الرئيسي في عدم ارتدادهم وفي مساهمتهم في القضاء على حركـــات الردة .

ولما خرجت الجيوش الإسلامية لفتح الأقاليم المجاورة للجزيرة ظل أهل الحجاز العماد الأول للجيش ، لأن أبا بكر رفض إشراك المرتدين في جيوش الفتوح وقصر اعتماده على القبائل العربية التي لم ترتد ومن الطبيعي أنه كان من ضمن القلائل التي اعتمد عليها أبوبكر الصديق القبائل العربية التي كانت تقاتل الفرس والروم ثم انضمت إلى الإسلام .

إن الجيوش الإسلامية التي خرجت من الجزيرة في زمن أبي بكر الصديق للفتح وتوسع دولة الإسلام ، كان كل قادتها من أهل الحجاز ، ومن أهل مكة بالذات ، بما فيهم من أسلم بعد الحديبية ، ومن أسلم بعد الفتح .

ولما ولي عمر بن الخطاب رضي الله عنه الخلافة أباح للمرتدين الاشتراك في الجيوش الإسلامية فازداد عدد جيش المسلمين وظل أهل الحجاز يعملون في كافة جبهات القتال من العراق والشام أو مصر استقر هؤلاء الحجازيون في مختلف الأمصار التي شيدها العرب ، حتى لاتكاد تجد مصراً ليس فيه من أهل الحجاز عدد وقد اهتمت كتب التاريخ والتراجم بذكر أسماء وأحوال الصحابة الأولين خاصة من أولى الرأي والخبرة ، وقد ظل معظم الصحابة يقيمون في الحجاز ويمارسون نشاطهم الاجتماعي والاقتصادي والفكري وكانوا يحيطون بالخليفة فيشيرون عليه ، ويقدمون له الاقترحات ويساهمون في توجيه السياسة العليا للدولة الإسلامية ومن المعلوم أن آراءهم

وأفكارهم هي مزيج من خبراتهم المستمدة من أحوال الحجاز مع التوجيهات التي أدخلها الإسلام .

ولما انتقل مركز الخلافة من المدينة المنورة إلى دمشق في عهد الأمويين لم يفقد الحجازيون تأثيرهم كلياً لأن الخلفاء الأمويين هم من أصل الحجاز فإن معاوية مؤسس الدولة الأموية هو ابن أبي سفيان زعيم مكة حتى الفتح الإسلامي ، وأخو أم حبيبة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، كما أن عدداً من الخلفاء الأمويين كمروان بن الحكم وابنه عبدالملك ، وعمر بن عبدالعزيز كانوا قد تولى كل منهم إدارة الحجاز أمداً من الزمن قبل توليه الخلافة ، ولايخفى أن عدداً ليس بقليل من رجال الحجاز كانوا يفدون على بلاط الخلافة الأموية في دمشق لأغراض مختلفة فزادوا من الصلة الوثيقة بين الحجاز والبلاط ، ولابد أن لآرائهم وأفكارهم وملاحظاتهم أثر في الخلفاء .

كان الحجاز عند ظهور الإسلام مركز نشاط تجاري واسع خاصة في مكة [1] .

أما المدينة النبوية فقد كانت لها مكانة خاصة في العالم الإسلامي ولما أسس الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور بغداد اهتم بتقريب أهل المدينة فاستدعى عدداً منهم إلى بغداد بالإضافة العدد الكبير من المسلمين الذين يقصدون مكة لأداء الحج وفيهم العلماء والمفكرون ، وهذا سيثمر كتباً يدون

(١) الحجاز في صدر الإسلام ، د . صالح العلي ، ص ١٥ .

فيه الحجاج ملاحظاتهم ، « فتكثر كتب الرحلات التي مبعثها الحج ، غير أن الواقع غير ذلك ، فإن عدد الرحالة الذين ذهبوا إلى الحج ودونوا أخبار رحلاتهم ... ولعل من أقدم من وصلتنا رحلاتهم من هؤلاء الحجاج هو ابن جبير الذي جاء قليلون جداً ومتأخرون ، في أواخر القرن السادس الهجري »[١]

---

(١) الحجاز في صدر الإسلام ، د . صالح العلي ، ص ٢٦ .

الفصل الثاني

أهمية الرحلة الحجازية عند الأندلسيين وأثرها على الحركة الأدبية

أهمية الرحلة الحجازية عند الأندلسيين
وأثرها على الحركة الأدبية

من قراءة تاريخ العالم العربي والإسلامي نجد أن الأندلسيين كانوا أكثر تنقلاً وترحلا من سائر العرب والمسلمين ، وكانت أغلب رحلاتهم تيمّم وجهها شطر المشرق والأماكن الإسلامية المقدسة ، إذ على الرغم من وقوع بلادهم في أقصى الغرب الإسلامي ، إلا أنهم كانو يتجشمون كل وعر في البر و البحر قصد زيارة مهد الدين والفاتحين الأول والحق أن الدارس المتأمل في التاريخ لأهل الأندلس طيلة الوجود الإسلامي بها ، إذا ماحاول رصد أهم الدوافع والبواعث التي حثت الأندلسيين على سلوك هذا النهج أمكنه القول إنها تكمن فيما يلي :

١ - الذهاب إلى الأماكن المقدسة بالحجاز وأداء مناسك الحج والعمرة والنهل من مناهل العلم المشرقية وهو أبرز دافع كان يحث الأندلسيين على النزوح نحو المشرق بصفة مستديمة ، لذلك « كان الشوق إلى الرحلة مثيراً لفن من الترسل طريف ، إذ كانت رحلات الأندلسيين تحملهم في الغالب إلى الديار المقدسة »[١] .

٢ - بالإضافة إلى وقوع الأندلس في أقصى الغرب الإسلامي شكل باعثاً قوياً

---

(١) تاريخ : الأدب الأندلسي ، عصر الطوائف والمرابطين ، د . إحسان عباس ، ص ٣٠٦ .

للأندلسيين قصد الترحل نحو المشرق حتى يؤكدوا أنهم عرب مشارقة -رغم تعدد عناصر المجتمع الأندلسي كما هو معهود - وإن نأت بهم الديار منأى بعيداً ذلك أن الغربة تدفع الإنسان كثيراً إلى محاولة تحدي عقبات الزمان والمكان للتأكد على الانتماء نحو المهد الأول له فالأندلسيون « من بعدهم عن الحجاز ومنابت أصولهم في الشرق استمدوا مدح الرسول صلى الله عليه وسلم والحنين إلى طيبة وسبقوا المشرقين إليه »[١] ولهم في ذلك الكثير من القصائد التي تناولوها في رحلاتهم تحتوي على قيمة أدبية أثرت الأدب العربي ، وخير مثال على ذلك أبو الحسن محمد بن أحمد المعروف بابن جبير (ت ٦١٤هـ) الذي غادر الأندلس أول مرة قصد أداء فريضة الحجة إلى أن توسع في رحلته فزار أقطار المشرق بل قام برحليتن أخريين[٢] .

وتعد رحلاته الثلاث من أجمل ماكتب في أدب الرحلة العربي قديماً ذلك أنه سجل انطباعاته خلالها ، مما كان له أثر في ظهور أدب الرحلات بالأندلس[٣] ويجدر القول إنه استعمل « طريقة اليوميات » وكتبها بأسلوب

---

(١) الحياة الاجتماعية في الأندلس وأثرها في الأدب العربي وفي الأدب الأندلسي محمد سعيد الدغلـي ، ص ٦ .

(٢) المغرب في حلى المغرب ، لابن سعيد المغربي ٢٠ / ٣٨٤ .

(٣) مقال د . سوادي عيد محمد ، بعنوان (تأثر الفكري الأندلسي بالحركة العلمية في المشرق الإسلامي (مجلة عالم الفكر الكويتية ، ص ٣٠٧ لسنة ١٩٨٢ م.

أدبي بارع ينم عن موهبة أدبية أصيلة [1] وكذا الشأن بالنسبة لأبي محمد العبدري صاحب (الرحلة المغربية) الذي أخذ طريق البر إلى مكة المكرمة وعاد منها إلى الاسكندرية فالمغرب حتى بلغ ساحل المحيط ، في رحلته التي حققها المرحوم محمد الفاسي ، يتميز أسلوبه بكونه متكلفا يحرص خلاله على الغوص بحثاً عن المعاني [2] وهكذا لم تفتر حركة التواصل بين المشرق والأندلس .

٣ - وقد شجع الأندلسيين على كثرة الترحل نحو المشرق هو انعدام مايصطلح على تسميته - آنذاك - بالحدود السياسية في عصرنا هذا ، وتوافر وسائل المواصلات البرية والبحرية وتنظيمها الدقيق رغم ماكان يحدق بهامن أهوال ومخاطر .

وقد كان لهذه الرحلات الجماعية تأثير في طبع المناخ الحضاري والثقافي بسمات أخلاقيات الإسلام المبرزة لملامح الجزيرة العربية ، فإن الهجرات الفردية كان لها أكبر الأثر في تكييف المسيرة السياسية لتاريخ الأندلس .

---

(١) تاريخ الفكر الأندلسي ، لانخيل بالنشيا - ترجمة الدكتور حسين مؤنس ، ص ٣١٦ - ٣١٨ .

(٢) نفح الطيب ، للمقري ، ٢ / ٤٢٢ - ٤٢٣ .

ومثل هذه الظاهرة تؤكد أن الهجرات لم تكن من طرف واحد أي من الجزيرة العربية إلى المغرب فحسب بل كانت كذلك تتم من المغرب إلى أرض الجزيرة العربية وتتمثل جلية في وفود الحجاج وخاصة منهم الطلبة والعلماء الذين كانوا ينهضون بدور التبادل الثقافي بين البلدين ، وغالباً ماكان هؤلاء الحجاج يكتبون رحلات ويسجلون فيها انطباعاتهم عن الديار المقدسة وماشاهدوا فيها من مواقع وبقاع وآثار ، وماكان لهم من اتصالات برجال العلم والأدب ، وما ارتسم في ذهنهم من أحوال الحياة الاقتصادية والاجتماعية مع التعريف بكل مراحل الطريق وما أتيح لهم في المدن التي حلوا بها من وقوف على المآثر وحضور الدروس ولقاء العلماء وقد ترتبت عن أسباب ، في طليعتها إلى الحجاز .

وأهم ظاهرة تميز الفكر المغربي ، هو أخذه بالمذهب المالكي وانضواؤه تحت لوائه . وعلى هذه الرحلة اعتمد ابن خلدون حين أراد أن يعلل لانتشار المذهب المالكي حيث ذهب إلى أن رحلة المغاربة كانت غالباً إلى الحجاز وهو منتهى سفرهم والمدينة يومئذ دار العلم ومنها خرج إلى العراق ولم يكن العراق في طريقهم فاقتصروا على الأخذ عن علماء المدينة وشيخهم يومئذ وإمامهم مالك - فرجع إليه أهل المغرب وقلدوه دون غيره»[١] .

وإذا كان الرحالة قد عرفوا بتسجيل الرحلات وإذا كانت مجالات هذه الرحلات وأهدافها متنوعة ومتعددة فالمغرب يبذل حمياته للأندلس ، ويرد

---

(١) مقدمة ابن خلدون ، ص ٣٧٥ .

عنها غارات الأعداء والأندلس تبذل ثقافتها ومعارفها للمغرب ، وقد فعل الاحتكاك بالأندلسيين الأفاعيل في تقديم الحياة الفكرية بالمغرب ونهضة العلوم والآداب [1] ويعود سبب هذا التأثير إلى أن المغرب ظل مفتوحاً في وجه الثقافتين المشرقية والأندلسية التي يمثل جانب منه الرحلات الأندلسية والمغربية في تكوين وحدة تمخضت بطابعها في تكوين عصراً من أهم فصول التاريخ الفكري .

فلذلك كانت الهجرة نشطة في الاتجاهين ، فقد اجتاز الرحالة بأعداد كثيرة (مضيق جبل طارق) لأخذ العلوم من معاهد الأندلس كإشبيلية وغرناطة وقرطبة وغيرها ، وارتفع عدد المهاجرين لطلب العلم حتى اعتبروا من لم يأخذ من الأندلس ناقص تعليم [2] ولم تكن الهجرة وقفاً على العامة بل هاجر أمراء كذلك لنفس الغاية وكان هؤلاء الطلبة يعودون إلى المغرب وقد تشبعوا بالثقافة الأندلسية العربية واحتكوا بعلمائها وعاشوا أجواءها العلمية ، أما الأندلسيون فقليلاً ماهجروا إلى المغرب وإنما كانت هجرتهم لأسباب سياسية في الغالب باختلاف - هجرتهم إلى الحجاز التي كانت لأسباب دينية وعلمية - وقد رأت (هجرات الأندلسيين عقب الفتنة الكبرى التي عرفتها قرطبة في صدر المائة السادسة [3] وهاجرت طائفة من العلماء

---

(١) النبوغ ج، ١ / ٧١ .

(٢) دراسة في كتاب « فواصل الجمان » للحسن الشاهدي / دعوة الحق يناير ٧٩ .

(٣) النفح ج ٤ / ٥ .

الأندلسيين ، وقد عدد الأستاذ عنان أسماء الذين استقروا منهم ببلاط مراكش أو تصدروا للتدريس بمساجد المغرب [١] .

ونتج عن هذه الرحلات بين الجانبين الأمتزاج ولو أردت تبيانها لتعذر عليك واستحال رد كل منهم إلى ينبوعه في كثير من الأحيان .ومن شدة الامتزاج صعب تميز الأندلسيين من المغاربة أحياناً ، فهذا أبو القاسم محمد الشريف السبتي المغربي اشتهر بالشريف الغرناطي لإقامته بغرناطة ، وأبو الخطاب بن دحية من الذين نسبوا مرة إلى المغرب وأخرى إلى الأندلس وإن كانت مغربيته ثابتة وهذا صحيح بالنسبة لغيرهما [٢] .

وعملت الرحلات الأندلسية على تنشيط الحركة الأدبية بين الجانبين التي كانت تتمثل في هذه الحقبة وإذا كانت هذه المنافسة قد دفعت المغاربة إلى معارضة الأندلسيين الارتفاع إلى مستواهم والوقوف في وجوههم للفوز برضى الخلفاء فإنها قد تمخضت عن نتائج منها منافسة لشعراء الأندلس الذين امتلأ بهم بلاط الموحدين أمثال : محمد بن غالب البلنسي والأصم المرواني وأحمد ابن عبدالملك بن سعيد من غرناطة وابن سيد وأبي بكر محمد بن عبدالله بن ميمون القرطبي وأبي بكر بن مجبر وغيرهم [٣] .

---

(١) عصر المرابطين والموحدين ، عنان ، ٢ : ٦٤٦ .

(٢) الأدب المغربي من خلال ظواهره وقضاياه ، د . عباس الجراري : ١٣٤ .

(٣) إشكالية التأثير ، د . حسن جلاب يونيو ١٩٧٠ ، دعوة الحق ، ص ٩١ .

وأحب أن أشير إلى أن الرحلة الحجازية كان لها أيضاً دورها الهام في الاتصال بين أهل المغرب وإخوانهم في البلاد الإسلامية بالمشرق ، الأمر الذي رسخت معه روابط الدين واللغة حتى بعد ان تبددت الوحدة السياسية ويذكر د. أحمد رمضان : « أن الرحلة كانت أقوى عند الرحالة في عهد التفرق السياسي منها في عهد الوحدة » معللاً ذلك بما أعتاده العالم الإسلامي من حياة اجتماعية ولوناً من التفكير مما يحتم على أفراده الاتصال والتبادل الفكري والأدبي »[1] .

(١) الرحلة والرحالة المسلمون ، د . أحمد رمضان ص ٣١٩ - ٣٢٠ .

الفصل الثالث

مفهوم الأندلسية

الشخصية الأندلسية

مفهوم الأندلس

أ - مفهوم الأندلس :

بين الدكتور أحمد مختار : (أن المراد بلفظ الأندلس أسبانيا الإسلامية بصفة عامة . أطلق هذا اللفظ بادئ الأمر على شبه جزيرة إيبيريا كلها على اعتبار أنها كانت جميعها في يد المسلمين، ثم أخذ لفظ أندلس يقل مدلوله الجغرافي شيئاً فشيئاً تبعاً للوضع السياسي الذي كانت عليه الدولة الإسلامية في شبه الجزيرة ، حتى صار لفظ الأندلس آخر الأمر قاصراً على مملكة غرناطة الصغيرة ، وهي آخر مملكة إسلامية في أسبانيا ، وتقع في الركن الجنوبي الشرقي من شبة جزيرة إيبيريا) [1] .

وكلمة أندلس اشتقها العرب من كلمة « واندلوس » وهي اسم قبائل الوندال الجرمانية التي اجتاحت أوربا في القرن الخامس الميلادي واستقرت في السهل الجنوبي الإسباني وأعطته اسمها ، ثم جاء المسلمون وعربوا هذا الاسم إلى أندلس وبعد سقوط مملكة غرناطة وانتهاء الحكم الإسلامي في أسبانيا سنة ١٤٩٢هـ أطلق الأسبان اسم (أندالوثيا) على الولايات الجنوبية الأسبانية ، وهي المنطقة التي تشمل حتى اليوم ولايات قرطبة وأشبيلية وغرناطة .

---

(١) تاريخ المغرب والأندلس ، د . أحمد مختار العبادي ، ص ١٧ .

ويلاحظ أن حكم المسلمين للأندلس دام أكثر من ثمانية قرون تركوا فيها خلال هذه الفترة آثاراً روحية ومادية وخلقية وكان تأثيرهم واضحاً على جميع مناحي الحياة ويلاحظ بوضوح كل من اتصل بالأسبان وعاش بينهم ، واللغة الأسبانية تحتوي على أكثر من أربعة آلآف كلمة عربية عدا التعبيرات والصيغ العربية الموجودة في تلك اللغة ، وهذا لاتزال توجد عائلات مسيحية أسبانية تحمل أسماء عربية مثل بن حسن وبن أمية ، أما الأسماء والأماكن العربية والمغربية فلاتزال في كل قرية وفي كل ناحية من نواحية الأرض الأسبانية .

في حين قال د . حسن الوراكلي لم ينتهي الوجود الإسلامي في أسبانيا بالغارة الصليبية على غرناطة والاستيلاء عليها عام٨٩٧هـ للهجرة (١٤٩٢م) في الوقت الذي هاجرت فيه جماعات أخرى المقام مطمئنة إلى عهود الأمان التي أعطيت لها من طرف الملكين الكاثوليكيين « فرناندو » و« إيزابيلا » على أن الكنيسة مساندة بالعرش سرعان ماأبانت عن زيف هذه العهود وكذبها وكذلك حين شرعت في اضطهاد المسلمين والتصنيف عليهم وإكراههم على الارتداد عن دينهم واعتناق النصرانية وانطلاقاً من حملات الاضطهاد والتنصير والتي تزعمها ديوان التحقيق الكنسي بعد سقوط غرناطة ، مروراً بحروب الإبادة الشرسة التي كانت جيوش النصارى الحاقدين تباغت بها بين الحين والحين الأقلية المسلمة [1] (وانتهاء بقرار نفيها النهائي

---

(١) (الأقلية الإسلامية في أسبانيا وجيوبها الاستعمارية) - د . حسن الوراكلي مقالة في مجلة المناهل المغربية العدد ٣٥ ، ص ١٥٩) .

الذي تم بين سنتي ١٦٠٤م و ١٦٠٥م ، شهد التاريخ مأساة بقدر ماتطفح فصولها بمواقف الألم والمعاناة والحزن ، فإنها تطفح بمواقف الشجاعة والصبر ، والاستشهاد) [١] .

ومن أهم الآثار الإسلامية الباقية في أسبانيا المسجد الأموي بقيوده المزدوجة في قرطبة ، وهومن أعظم المساجد الإسلامية في العالم وقد تظافر على بنائه أمراء وخلفاء بنى أمية في الأندلس . وبجوار قرطبة نجد بقايا مدينة الزهراء التي بناها عبدالرحمن الناصر لتكون مقر الخلافة الجديدة ، وفي مدينة أشبيلية نجد المسجد الذي بناه الموحدون وقد تحول الآن إلى كنيسة ، إلاأن صومعته أو مئذنته لاتزال باقية شامخة وهي الشهيرة باسم خير الدا ، ومعناها الدوارة من الحفل الأسباني خيرار Girar أي يدور ، لأن الصاعد إلى قمتها يسير على طريق حلزوني واسع بدون درج حتى قيل إن بعض خلفاء الموحدين كان يصعد بداخلها على ظهر فرسه . وفي مدينة غرناطة نجد قصر الحمراء [٢] La Alhambr وهو القصر الملكي لملوك بني نصر أو بني الأحمر في الحقبة الإسلامية الأخيرة في الأندلس ، وهو تحفه فنية رائعة تمثل ذروة

---

(١) (ملامح من صور الموريسكي في الأدب المسرحي الاسباني) مقالة مجلة المناهل - د حسن الوراكلي العدد ٢٨ ص ١٠ .

(٢) سميت بالحمراء لأن الربوة التي قامت عليها هذه القلعة ، تربتها حمراء آللون ولهذا عرفت باسم السبيكة لأنها تكون تحت أشعة الشمس مثل سبيكة الذهب .

الازدهار الفني من حيث نقوشه وأبهائه ونافوراته وحدائقه وقد صوره المستشرق الأسباني غرسيه غومس بالثمالة الأخيرة أو العصرة الأخيرة لليمونه فهي حلوة ومرة في أن واحد .

(أما لفظ أسبانيا فقد كان المراد به شبه جزيرة إيبيريا بوجه عام بما في ذلك الأراضي الإسلامية والمسيحية على السواء ، فهناك أسبانيا الإسلامية أو الأندلس وهناك أسبانيا المسيحية) [1] .

وفي ظل الوضع السياسي للأندلس ، فقد جعل تاريخها الوسيط صراعاً مستمراً بين المسلمين والمسيحين ولهذا اعتبرت الأندلس في نظر المسلمين ثغراً للدولة الإسلامية للجهاد والرباط ، ولقد فرض عليها هذا الوضع أن تجند أبناءها منذ الصغر ليكونوا على أهبة الاستعداد في كل لحظة وفي ذلك يقول الوزير الغرناطي لسان الدين ابن الخطيب « وكانت الصبيان تدرب على العمل بالسلاح وتعلم المثاقفة كما يعلم القرآن في الألواح » وبهذا المعنى نفسه أيضاً أشاد المؤرخون الأسبان بمهارة الأندلسيين في استعمال القوس وتريش السهام وركوب الخيل وغير ذلك من فنون القتال التي تعلموها منذ صغرهم » .

---

(١) تاريخ المغرب والأندلس ، د . أحمد العبادي ، ص ١٨ .

مفهوم الأندلسية

غدت بلاد الأندلس بفتح المسلمين إلى بقعة من العالم الإسلامي ، وانتشرت فيها اللغة العربية ، ولقد ضمت أرض الأندلس أجناساً بشرية مختلفة من أسبان وعرب وبربر وفرس وصقالبة ولكن الثقافة الإسلامية القائمة على الدين استطاعت أن توحد هذه الأجناس، وأن تمنحها روحاً حضارية .

ومع أن الأندلس بقعة إسلامية فإنها - كما يلوح - لم تحظ باعتراف المشارقة وتقديرهم . بل ظلوا طويلاً يقفون منها موقف ازدراء وينظرون إليها نظرة استخفاف ويعدونها - في الغالب - قطراً نائياً عن مركز العالم الإسلامي[1] .

أما الأندلسيون فكانوا في حب دائم إلى المشرق الإسلامي ، وحنين إلى تتبع قضاياه ، ومعرفة كل مايتصل به وتقدير لحضارته وثقافته ، وبذلك نشأت هذه المفارقة : الأندلسيون يتعلقون بكل ماهو مشرقي ، ويرون المشرق منبع كل فضل ، وأفضت هذه المفارقة إلى قلق في نفوس الأندلسيين إذ دفعهم موقف المشارقة المسرف في الانتقاص إلى الإسراف في توكيد ذواتهم ، وإثبات استقلالهم وامتيازهم ، فبرز لديهم نزوع أخذ يشتد ويقوى مع الزمن ويتمثل الأندلسيين في إحساسهم بذواتهم وسعيهم إلى إثبات تفوقهم

---

(١) نفح الطيب ، تحقيق إحسان عباس ، ١ / ٢١١ .

وتأكيد تفوقهم إمام الشعوب الإسلامية لاسيما المشارقة ولذلك من اسباب هذه النظرة وجدنا الرحلات الأندلسية تشق طريقها إلى المشرق .

ويجد المرء نفسه يتساءل عن منشأ الجهل بين علماء المشارقة - فضلاً عن عامتهم - بحال الأندلس والأندلسيين ؟ هل يعني هذا أن العلاقات السياسية والثقافية بين المشرق الإسلامي والأندلس لم تكن نشطة على الدوام ؟ وهل علة هذا الأمر البعد الشاسع بين شطــــري العــــالم الإسلامي ؟

أرى أن الأندلس كان له أهمية خاصه بالنسبة إلى الخلافة الإسلامية ، فقد لاحظ الدكتور حسين مؤنس أن الأندلس لم يكن حتى عصر الخلافة الأموية يبعث إلى مركز الخلافة شيئاً من جبايته أو أمواله على الرغم من عظيم غناه وكثرة غنائمه ويحزم الدكتور حسن مؤنس بـ « أننا سنظل زماناً طويلاً لانفهم السر الذي جعل الخلافة تمضي على هذا النحو من التهاون في شئون الأندلس ، ولسنا نستطيع أن نرد ذلك إلى بعده عن مركز الخلافة لأن الخلافة لم تحاول ولامرة واحدة بسط سلطانها المؤكد عليه ولم تطالب مرة ولو في شيء من اللين بنصيبها من أمواله وجباياته »[1] وينتهي الدكتور مؤنس إلى أن الأندلس لم يكن ولاية تابعة تمام التبعية للخلافة المركزية ولم يكن الأندلس مستقلاً تمام الاستقلال ، وهذا يعني أن الأندلس كان يقابل بقدر

---

(١) فجر الأندلس ، د . حسين مؤنس ، ص ١٢٤ .

عظيم من إهمال المشارقة لأنه شوق الفرع إلى أصله ولهفة الأندلسيين إلى معين الثقافة ومصدر الفكر والأدب ومن ثم كثرت الرحلات العلمية إلى المشرق - منذ فترات مبكرة تقصد ذاك المنبع وتنهل منه الزاد الثقافي الذي كان له أكبر الأثر في تأسيس حضارة الأندلسيين وإغنائها فضلاً عن الصلة الدينية القوية التي تربط الأندلس بالمشرق وتدفع الأندلسيين إلى الرحيل إلى مغاني الحجاز لأداء فريضة الحج .

لقد أضحى المجتمع الأندلسي متعدد العناصر فثمة الأسبان والعرب من الجزيرة العربية وغيرها والبربر ، ثم إن الأسبان أنفسهم لم يكونوا جنساً صافياً بل كانوا مزيجاً من الإيسبريين والقرطاجنيين ، فمن المعلوم أن البحث عن الأصول العرقية أمر في غاية الصعوبة ، إذ ليس ثمة شعب واحد يتميز بالنقاء العرقي الخالص ، ويقول غرسية غومس : « والحقيقة أن تقسيم الناس إلى أجناس متباينة ، إنما هو مجرد وسيلة مقبوله تمكننا من تفسير الظواهر التاريخية ، وأما تعرف أصول هذه الأجناس وطبائعها فأمر عسير لايمكن تفصيلة ، ومايقال فيه أدخل في باب الاكتشاف وليس هناك أعسر من الكشف عن العناصر الداخلية في تركيب دماء الشعوب وطبائعها »[١] .

وعلى هذا فلايمكن أن يكون الأندلسي إسبانياً خالصاً ، أو بربرياً أو عربياً ، أو فارسياً محضاً ، وإنما هو أندلسي ، ذو ثقافة عربية إسلامية وهذا

---

(١) الشعر الأندلسي ، غرسية غومس ترجمة د . حسين مؤنس ٢٩ .

لايعني إنكار خصائصه النفسية التي كانت وليدة وضعه الخاص وبيئته الجديدة ، بل يعني أن الأصل المولد والمجتمع المختلط قد تفاعلا مع الثقافة المشرقيه ليكونا الشخصية الأندلسية .

ولعل هذا الامتزاج بين العرب والأسبان كان عاملاً من عوامل انتقاص المشارقة لهؤلاء الأندلسيين المولدين الذين تجرى في عروقهم الدماء الأعجمبية ويعيشون بين الأعاجم ، حاملين خصائصهم النفسية والعقلية ، ومن هنا نظر المشارقة إلى أولئك الأندلسيين الذين استقروا في ذلك الصقع النائي ، وامتزجوا بأهله .

والذي أراه أن الأندلس شملتها حضارة المشرق فكانت جزءاً من تلك الحضارة ونهلت من معينها ، وأسهمت في إغنائها ، ولكنها استجابت في الوقت نفسه لدواعي المحيط الجديد ومقتضيات البيئة ، فأخذ الشعور بالأندلسية يتعاظم مع الأيام ، وكانت ظروف المجتمع والبيئة تعمق مظاهر مافي الصفات الخلقية والنفسية والعقلية ، في مظاهر الحياة العامة .

ب - الشخصية الأندلسية :

من هو الأندلسي ؟ نقل ابن حزم آراء المؤرخين السابقين والمعاصرين له في تحديد لفظة « أندلسي » فهم متفقون على أن ينسبوا الرجل إلى مكان هجرته التي استقر بها ولم يرحل عنها رحيل ترك لسكناها إلى أن مات .. فمن هاجر إلينا من سائر البلاد فنحن أحق به وهو منا بحكم جميع أولي الأمرمنا الذين إجماعهم فرض اتباعه ، ومن هاجر منا إلى غيرنا فلاحظ لنا فيه ،

والمكان الذي اختاره أسعد به فكما لاندع إسماعيل بن القاسم فكذلك لاننازع في محمد ابن هانئ سوانا »[١] فقد جعل ابن حزم وفاة العلم الفيصل في هذه القضية صحيح إنه شمل بهذا التحديد جميع الذاهبين إلى الأندلس منذ الفتح «وهو بذلك يمنح والأدب الأندلسي صفة من القدم والعراقه ويجعل للأدب الأندلسي بخاصة موروثاً أصيلاً يضيء إليه »[٢] . ولكنه في الوقت نفسه حرم الأندلس من جهود أناس ولدوا ونشؤوا فيها ، وكان لهم نشاط فكري عظيم فيها ، ثم غادروها ووافاهم الأجل خارجها كابن هاني .

ومهما يكن فيمكننا أن نعد كل من عاش على أرض الأندلس وتأثير بيئتها ، وأسهم في إغناء حضارتها بإبداعة أندلسياً ، ونعد نتاجه أندلسياً بقض النظر عن مكان ولادته ووفاته لقد تفاعلت خصائص الشخصية العربية المشرقية مع المحيط الجغرافي والاجتماعي الجديد لتكون شخصية أندلسية متفردة في ملامحها متميزة في مظاهرها .

ومن هنا وصف المؤرخون الأندلس بسمات شعوب عديدة كما صنع ابن غالب في رسالته (فرحة الأنفس) حين أثنى على أهل الأندلس بقوله : « وأهل الأندلس في الأنساب والعزة والأنفة ، وعلو الهمم وفصاحة الألسن ،

---

(١) نفح الطيب للمقري ، ٣ / ١٦٤ .

(٢) تاريخ الأدب الأندلسي ، عصر سيادة قرطبة د . إحسان عباس ص ٤٤ .

وطيب النفوس ، وإباء الضيم ، وقلة احتمال الذل ، والسماحة بما في أيديهم والنزاهة عن الخضوع.. ورقة أحلامهم ونباهتهم وذكائهم وحسن نظرهم ، وجودة قرائهم ولطافة أذهانهم (١) .

لقد أصطبغ المجتمع الأندلسي بلون فارق في مظاهر الحياة العامة وأساليبها وفي العادات والتقاليد فكان له في هذا وذاك طابع اجتماعي متميز عن بقية المجتمعات الإسلامية مع اتحاده معها في الفكر .

وكان للاحتكاك المستمر بين المسلمين والنصارى وكذلك اليهود ، والإختلاط الكبير في شئون الحياة والثقافة أثره في ظهور الجدل بين العقائد على النحو الذي تصوره كتابات ابن حزم ولاسيما كتابة (الفصل في الملل والأهواء والنحل) الذي كان ينقض فيه بن حزم مذاهب الزنادقة وعقائد المجوس كما ينقض عقيدة اليهود وينكر صحة العقيدة المسيحية .

ويوضح التحريف في التوراة وفي الأنجيل بعهدية القديم والجديد ، ويبرهن على أن الدين الصحيح هو الإسلام .

وقد قدم لنا الشعراء في أشعارهم معلومات عن النصارى المستعربين تدل على حرية هؤلاء في ممارسة شعائرهم الدينية وتصور العلاقات المتبادلة عن النصارى المستعربين ، وقد وصف لنا الرحالة الأندلسيون في رحلاتهم جانبا مهما من علاقتهم مع النصارى ووصفاً لحياتهم وسلوكياتهم وتأثيرها نفسياً على الرحالة .

الفصل الرابع

مخاطر الرحلة الأندلسية

مخاطر الرحلة الأندلسية

لقد كان الرحالة الأندلسيون من الطلائع الأولى من المغامرين بأرواحهم وأموالهم ، الذين عاش بعضهم في ضنك العيش ، ولوعة الفراق ، ومرارة البعد ، ومتاعب الطريق ، يوم أن ركبوا البحار، وقطعوا القفار ، وسارت قوافلهم تعد السير قدماً ، نحو منابع الثروة الفكرية الإنسانية في الحجاز، فقصدوا مواطنها بصبر ، وأناة ، وتضحية وإقدام ، وشجاعة ، وشدوا نطقهم للهجرة وراء حدود آفاق وطنهم عبر البحر المتوسط ، أو صحاري أفريقية ، أو رمال البادية والجزيرة وصلوا جبال (فارس) وغابات الهند وأسوار (الصين) وقباب (بخارى) (وسمرقند) (وسيبريا) دون أن يعرفوا السأم أوينالهم الوصب أو يرجعهم شوق الأهل والديار عن مقاصدهم السامية [١] كانت الدروب التي سلكوها في السفر إلى المشرق العربي عبر جبل طارق [٢] (أو الجزيرة الخضراء)[٣] في سفن شراعية على الساحل

---

(١)في رحلة (أبي حامد الغرناطي) وفي مشاهدات (ابن جبير) ، (والبلوي) (وابن سعيد الأندلسي) هذه البطولات الإسلامية .

(٢) الذي سمي بعد ذلك باسم جبل الفتح لان أحد خلفاء بني عبدالمؤمن الموحدي بنى مدينة عليه عام ٥٥٦هـ ووصفة الشعراء وهو أول جبل وصل إليه الفاتح طارق بن زياد وسمي بأسمه .

(٣) الجزيرة الخضراء : وتسمى جزيرة أم حكيم – أقرب مدن الساحل أو إلى الروض المعطاء ص : ٧٥ ، وتسمى الخزيرات في اللغة الأسبانية .

الأفريقي أو (القيروان)[1] التونسية ، ومنهم من يتجه بحرا صوب جزيرة (ميورقة)[2] أو تسير بعض سفنهم نحو صقلية ومنها يقطعون البحر المتوسط قاصدين (الاسكندرية) كما ورد في رحلة ابن جبير الأندلسي .

وربما تتفاوت المدة الزمنية لقطع المسافات طولا أو قصرا ، سرعة أو إبطاء ، ويعود ذلك لما يعتري المسافر نفسه أحياناً من صحة ، ومرض أو من أمان وخطر ، أو قد تلذ له الإقامة في البلد الجديد لبضعة أيام أو يغادره إلى حيث شاءت وجهته .

ولقد سجلت بعض كتب التراجم المخاطر التي يتعرض لها الأندلسيون في طريقهم إلى الحج سواء قطاع الطرق في الطريق الصحراوي والطرق البحرية التي تصادفهم ولنبدأبكلام ابن العربي عن محنته وهو في طريقة إلى مصر حيث قال :

« لما حان وقت إقلاع المركب في البحر إلى ديار الحجاز .. فركبناه وقد سبق في علم الله أن يعظم علينا البحر بزوله ويفرقنا في هوله ، فخرجنا من البحر خروج الميت من القبر ، وانتهينا بعد خطب طويل إلى بيوت بني كعب ابن سليم ، ونحن من السغب على عطب ، من القري في أقبح زي ، قد قذف البحر رقاق زيت مزقت الحجار هيئتها ، ودست الأدهان وبرها وجلدتها ،

---

(١) القيروان : مدينة في تونس بناها عقبة بن نافع سنة ٦٠٧هـ وهي محطة للقوافل ، المنجد ص٤٢٦.

(٢) جزيرة ميورقة : جزيرة اسبانية قريبة من برشلونه فتحها المسلمون سنة ٢٩٠هـ .

فأخذ مناها أزارا واشتملناها لففا ، تمجنا الأبصار وتخذ لنا الأنصار، فعطف أميرهم علينا لعرق كان فيه من الحضر إذ كان نشأ في ديار الإسكندرية ، ودرت عليه هناك الدرة الدينية ، فأوينا إليه فآوانا وأطعمنا الله على يديه وسقانا وأكرم مثوانا وكسانا) [١] .

ومن المخاطر التي تعرض لها الرحالة الأندلسيون الغرق فهذا أحمد بن محمد الغرناطي بعد أدائه فريضة الحج « غرق واستشهد كل من كان معه بالمركب الذي كان فيه وتعلق هو بعود من أعواده وبقي عليه أياماً حتى قيض الله له من التقطه ، وبه رمق ، فعولج حتى ثابت إليه حياته ، وجلا حاله ذلك عن اختلال ذهنه » [٢] وتوفي في حدود سنة ٥٦٣ هـ وقد بلغ تسعين عاما ، وكانت رحلته المشرقية في آخر حياته وواجه أبو البقاء البلوي في رحلته (عدة محن) منها محنته عند عودته إلى المغرب بعد خروجه من الإسكندرية حيث تآمر عليه صاحب المركب ففر تاركاً أبا البقاء وأخاه في العراء فتكبدا شقاء مريرا وجوعاً مؤلما حتى رجعا إلى الإسكندرية ، ومنها محنته بعد خروجه من بجاية التي كانت تحت إمرة أبي زكريا يحيى بن يحيى بن أبي بكر حيث اعترض قافلتهم عربان جبل الزاب ، فوقعت معركة إنهزم فيها أعداؤهم وسلم الله أبا البقاء » [٣] .

---

(١) قانون التأويل ، ابن العربي ، تحقيق محمد السليماني ، ٤٢٨ .

(٢) الذيل والتكملة ، ٥ / ١٤٠ - ١٤١ .

(٣) مقدمة تحقيق تاج المفرق ، خالد البلوي ، تحقيق الحسن السائح ١ / ٥٤ .

وواجه كذلك الرحالة الأندلسي ابو الحسن علي القلصادي (ت ٨٩١) في رحلة ذهابه إلى الحج وهو في الطريق بين طربلس الغرب وثغر الإسكندرية سنه ٨٥١هـ صعوبات وأخطار ذكرها بقوله : « مشقات عظام ، تحار في وصفها المحابر والأقلام ، حتى وقع من كل لأمر الله الاستسلام ، وصار الإنسان ينادي بلسان الحال : « أنا الغريق فما خوفي من البلل » [(١)] .

والأخطار التي واجهها الرحاله الأندلسيون منها ماهو سماوي لاحيلة في دفعة ، ومنها ماهو ناشئ عن انعدام الأمن مما يمكن تلافيه بالحذر ، والاستعداد لمواجهته ، أوبالعدول عن الرحلة .

وقد ذكر د . محمد أبو الأجفان أن مسألة وجوب الحج على أهل الأندلس قد استفتى فيها الفقهاء في القرن السادس الهجري وصدرت فتاويهم موضحة للحكم الشرعي ، وممن استفتى في هذه المسألة الأمير علي بن يوسف بن تاشفيين وكان سؤاله : هل الحج أفضل لأهل الأندلس أم الجهاد في ذلك الوقت افضل ؟

وقد أجاب عن ذلك الفقية الأندلسي الشهير أبو الوليد ابن رشد الجد (ت ٥٢٠هـ) بقوله : فرض الحج ساقط عن أهل الأندلس في وقتنا هذا ، لعدم الاستطاعه التي جعلها الله شرطاً في الوجوب لأن الاستطاعه القدرة على الوصول مع الأمن على النفس والمال ، وذلك معدوم في هذاالزمان وإذا

---

(١) رحلة القلصادي ، تحقيق الدكتور محمد الأجفان ، ص ١٢٤ .

سقط فرض الحج لهذه العلة صار نفلا مكروها لتقحم الغرر فيه ، فبان بما ذكرناه أن الجهاد الذي لاتحصى فضائله في القرآن والسنن المتواترة والآثار أفضل منه » [1] .

وقال معاصره أبوبكر بن طلحة الأندلسي : « قد لقيت في بلاد المغرب وأنا قاصد الحج ما اعتقدت معه أن الحج ساقط عن أهل المغرب ، بل حرام لما يركبونه من المخاطرات » .

وبمثل هذا أفتى معاصرهما الأندلسي نزيل مصر أبوبكر الطرطوشي حوالي (٥٢٠ هـ) قائلاً : « إن الحج حرام على أهل المغرب فمن خاطر وحج فقط سقط فرضه ، ولكنه أثم بما ارتكب من الغرر » [2] .

وعارض ذلك أبوبكر بن العربي ملاحظا ان السفر لاغراض دنيوية لم ينقطع رغم المخاوف ، فكيف يسقط الحج عن أهل الأندلس والغرض منه دينـــــي ودينوي .

وقد سقت هذه الفتاوي لأبين أن الرحلة إلى البيت الحرام وماتكتنفها من مخاطر قد شغلت اذهان العلماء واقتضت الاجتهاد الفقهي ، ورغم ذلك لم تنقطع الرحلة ، وإنما تناقصت ، وقد أكدت كتب التراجم الأندلسية أنها تواصلت واستمرت حتى في آخر حياة الأندلس الإسلامية ، رغم تناقصها .

---

(١) فتاوي ابن رشد ، ٢ / ١٠٢١ ، ورحلات الأندلسيين د . محمد أبو الأجفان (ندوة الأندلس) ص ٣٩٨ .

(٢) المرجع السابق ص ٣٩٨ .

ومع ذلك سجلت لنا كتب التراجم لرحالة أدركتهم المنية قبل وصولهم إلى الديار المقدسة منهم أحمد بن عبدالله المالقي ، توفي بمصر سنة ٦٥٢هـ[١] واحمد بن محمد الأنصاري توفي بالإسكندرية سنه ٦٢٧هـ [٢] وكذلك أبو محمد عبدالله الزيعجي ، رحل من بلنسية بعد استيلاء الكفار على الأندلس، فتوجه إلى تونس ثم سافر إلى المشرق ونزل بدمشق ثم انتقل إلى غزة قاصدة ركوب البحر إلى الحجاز فوافته منيته بها سنة ٨٩٧هـ [٣] .

وصايا إلى المرتحلين :

أثرت عن بعض علماء الأندلس وأدبائه وصايا مهمة ثرية ، بالنصائح والحكم والتوجيه ، تعد من عيون أدب الوصية في تراثنا الأدبي منها وصية أبي عمران موسى بن محمد بن عبدالملك بن سعيد [٤] لابنه أبي الحسن علي الشهير بأبن سعيد الأندلسي وقد كتبها لابنه الذي كان يستعد للذهاب إلى القاهرة ، قال الابن : « رأى أن يكتب لي وصية أجعلها إماما في الغربة فبقي فيها أياما إلى أن كتبتها عنه وكفى بها دليلاً على ما أخذ وعلم [٥] .

آحتوت الوصية نظماً ونثراً وهي مملوءه بالنصائح التي لايستغنى عنها كل

---

(١) الذيل والتكملة ، لكتابي الموصول والصلة ، المراكشي ، ١ / ١٣٨ .

(٢) المصدر السابق ، ١ / ٤٦٩ .

(٣) ثبت البلوي ٢٠٦ .

(٤) ترجمته في نفح الطيب ، ٢ / ٣٣٣ ، ورحلات الأندلسيين ، د . محمد أبو الأحبان في ندوة الأندلس ، القسم الثالث ص ٤٠٠ .

(٥) المصدر السابق ، ٢ / ٣٥٢ .

ابن لتوجه إلى محاسن التصرف ومعالي السلوك في الغربة ، إنها وصية أديب اندلسي هوايته السفر والتجوال حتى قال عنه ابنه في وصفة : « له من النظم والنثر ما تضج الأقلام من كثرته ، ويستمد القطر من درته .. كان أولع الناس بالتجول في البلدان ومشاهدة الفضلا واستفادة مايرى ومايسمع »[1] .

فتلك الوصية التي يقدمها الأب لابنه تبين لنا مدى الشوق ومعاناة للغربة التي يمربها المرتحل في غربته يقول أبو عمران بن سعيد لابنه :

وكلُّ ماكابدتَه في النوى ... إيَّاكَ أنْ يكسَرَ في همتِكَ
فليس يُدرى أصل ذى غربة ... وإنما تعُرَفُ من شيمتِك
وكل مايقُضى لعذر فلا ... تجعلَهُ في الغربة من إربتِك
ولاتجالس من فشاجهلهُ ... واقصدْ لمن يرغب في صنعتِك
ولاتجادل أبداً حاسداً ... فإنَّه أدعَي إلى هيبتك
ولاتكنْ تحقُر ذارتبةٍ ... فإنه أنفع في غربتِكَ
وحيث ماخيَمتَ فاقصد إلى ... صحبة من ترجوه في نصرتك
وللرزايا وثبة مالها ... إلا الذي تدخر من عدتك

يابنى الذي لاناصح له مثلي ولامنصوح لي مثله ، قد قدمت لك في هذا النظم ما إن اخطرته بخاطرك في كل أوان رجوت لك حسن العاقبة إن شاء

---

(١) المصدر السابق ، ٢ / ٣٣٣ .

الله تعالى ، وإن أخف منه للحفظ بالفكر وأحق بالتقدم قول الأول :

يزينُ الغريب إذا ما اغتربْ ثلاث فمنهن حسن الأدب
وثانية حسن أخلاقه وثالثة اجتناب الريب

وإذا اعتبرت هذه الثلاثة ولزمتها في الغربة رأيتها جامعة نافعة ، لايلحقك ، إن شاء الله تعالى ، مع استعمالها ندم ولايفارقك بر ولاكرم ، ولله در القائل :

بعدَ رفيع القوم من كان عاقلاً وإن لم يكن في قومه لحسيب
إذا حل أرضا عاش فيها بعقله وما عاقلٌ في بلدة بغريبُ

وما قصر القائل حيث قال :

واصبر على خلق من تعاشره وداره فاللبيبُ من دارا
واتخذ النّاس كلهم سكناً ومثل الأرضِ كلها دارا [1]

آثر بعض الأندلسيين المرتحلين إلى الحرمين الشريفين المجاورة بقرب الحرم وأثر بعضهم الاستقرار بأماكن أخرى للاستيطان بها ومن أمثله على هؤلاء :

---

(١) نفح الطيب ، ٢ / ٣٥٣ .

- أحمد بن علي الفنكي القرطبي (ت ٥٩٦هـ) استمرت مجاورته ست سنين [١] .

- محمد بن عبدالله المعروف بأبي الفضل المرسي السلمي [٢] ت ٦٥٥هـ تردد إلى مكة مرات وجاور بها كرات .

- إسماعيل بن محمد بن يوسف الأنصاري الأندلسي ، الملقب في البلدان المشرقية برهان الدين سمع بمكة ، وأم بالصخرة المشرفة ، كان فاضلا صالحاً شاعراً ، توفي سنة (٦٥٦هـ) [٣] .

- محمد بن عبدالرحمن بن ابراهيم بن يحيى بن محمد الحكيم ، ويكنى أبا عبدالله ، إشبيلي الأصل ، رحل إلى الحجاز عام (٦٨٣هـ) فحج وزار وتجول في بلاد المشرق ودخل دمشق ثم كر راجعاً إلى المغرب ، ومن شيوخه قطب الدين شيخ دار الحديث بالقاهرة ، توفي سنة (٧٠٨هـ) [٤] .

- محمد بن علي يحيى بن بني علي الشامي الأندلسي الغرناطي ، قدم مصر وأقام بمكة والمدينة ، وكان إماماً فاضلاً عالماً متفننا في العلوم مابين فقه وأصول وأكثر وقراءات ، مولده بغرناطه سنه (٦٧١هـ) وتوفي سنة (٧١٥ هـ) [٥] .

---

(١) الذيل والتكملة ١ / ٣١١ .

(٢) العقد الثمين ، ٢ / ٨١ .

(٣) الوافي بالوفيات ، صلاح الدين الصفدي ، ٩ / ٢١٢ ، والنفح ٢ / ١٥ ، ١٦ .

(٤) الأحاطة ٢ / ٤٤٤ ، النفح ٢ / ٦١٨ - ٦١٩ و ٥ / ٤٩٧ - ٥٠٧ .

(٥) ابن حجر الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة ٤ / ٢١٤ ، ونفح الطيب ٢ / ٦٦١ - ٦٦٢ و ٥ / ٥٩ - ٦٠ .

- يوسف بن علي الغرناطي المعروف بالشامي لقدوم والده الشام ت (٧١٥هـ) بالمدينة ، الذي جاور بالحرمين نحو خمس عشرة سنة ومعظم إقامته بالمدينة [١] وله نظم في المديح النبوي ومن شعره قوله معبراً عن شوقاً إلى المجاورة بالحرمين

[illegible] ومكة بيت الله مني على قرب
فما ضرني أن فاتني رغد عيشه وحسبي الذي أوتيته نعمة حسبي [٢]

- والقاسم بن علي الأنصاري (ت ٦٦٠هـ) بمكة [٣] .
- ويوسف بن عيسى بن عياش التجيبي ت (٧٩٤) جاور سنين كثيرة [٤] .
- أبو محمد عبدالله بن أبي حبيب ، وهو من بيت علم ووزارة وكان بعد هذه المجاورة دخل مصر والعراق وخراسان واستقر بنيسابور وبلخ ، وتوفي بهراة سنة ٥٤٨ [٥] .
- محمد بن عيسى بن المناصف القرطبي ، تفنن في العلوم ، ولي أكبر خطط القضاء ، مثل مرسية وبلنسية ، وهو رقيق الشعر ، متين العلوم فيما يتعلق

---

(١) التحفة اللطيفة ٣ / ٦٨٤ .
(٢) نفح الطيب ٢ / ٥٩ .
(٣) العقد الثمين ٧ / ٢٧ .
(٤) المصدر السابق ٧ / ٤٨٩ .
(٥) نفح الطيب ، ٢ / ١٣٦ .

بالأصول والفروع ، ولي قضاء سجلماسة ، حج وأقام بمصر قليلاً ، وكر راجعاً فمات سنة (٦٥٠هـ) [١] .

- سليمان بن أحمد الينيني ، من أهل الأندلس استوطن المشرق ومدح الملك الكامل [٢] .

- أحمد بن محمد بن أحمد بن نصر بن المعلى أبو جعفر المعافري من أهل مالقة ، كان حافظاً للقرآن الكريم ، ولديه معرفة بأطراف من العلم ، فيه ذكاء وفطنه ، ناظر الفقهاء ، التقى به ابن الشعار الموصلي بحلب ، وهو يتردد إلى مدرسة بني أبي عصروت [٣] .

أما الأندلسيون الذين لم يرجعوا إلى بلادهم بعد رحلتهم إلى الحرمين ، وفضلوا الاستقرار ببلدان إسلامية أخرى ، فهم كثيرون ، ولم يكن قرن من القرون يخلو منهم ومنهم . على سبيل المثال :

- محمد بن أحمد بن الصابوني ، الصد في الإشبيلي ، من أهل إشبيله ،

---

(١) المغرب في حلي المغرب ١٠٥١ / - ١٠٦ .

(٢) النفح ٢ / ٣٨١ .

(٣) عقود الجمان ٢٣١ .

ارتحل إلى المشرق ، وقدم الديار المصرية وتوفي بالإسكندرية سنة (٦٣٤هـ) [١] .

- أبو عبدالله محمد علي البياسي الغرناطي استوطن القاهرة بعد حجه حتى مات بها سنة ٧٠٣هـ [٢] .

- عبدالله بن طلحة اليابري أبوبكر (كان حيا سنة (٥١٦هـ) استوطن مصر [٣] .

- الحسن بن علي بن عضد الدولة بدر الدين بن هود الخزامي : مولده سنه ثلاث وثلاثين وستمائة بمرسية ، حج ودخل اليمن وقدم الشام ، توفي سنة (٦٩٩هـ) ودفن بسفح المقطم [٤] .

- حميد بن أبي محمد عبدالله بن الحسن بن أحمد بن يحيى أبوبكر الزاهد الأنصاري القرطبي ، نزيل مالقة ، التقى بالرضى الشاطبي وأنشده من شعره ، توفي بمصر سنة (٦٥٢هـ) ومولده سنة (٦٠٦هـ) [٥] .

ومن الأندلسيين من تطول مدة رحلتهم ويستقرون بعدة أوطان ثم يدفعهم

---

(١) الوافي ، ٢ / ١٣٥ ، الفوات ، ٣ / ٢٨٤ .

(٢) نفح الطيب ٢ / ٥٩ .

(٣) العقد الثمين ٥ / ١٨٢ .

(٤) الوافي بالوفيات ، الصفدي ٢ / ١٥٦ - ١٥٨ .

(٥) التكملة لكتاب الصلة ابن الآبار ، ٢ / ٨٧٩ .

الحنين إلى العودة إلى الأندلس ، ومن هؤلاء نذكر :

- محمد بن حيون من وادي الحجارة ، سمع بمكة وتردد في رحلته المشرقية نحواً من خمس عشرة سنة ، وتوفي بقرطبة سنة ٣٠٥هـ [١] .

- أبوبكر بن العربي المعافري الإشبيلي (ت : ٥٤٣هـ) وقد دامت رحلته إحدى عشرة سنه ابتدأت سنة ٤٨٥هـ وحج سنة ٤٨٩ هو يقول عن قصده من سفره : (ارتحلت طالب علم وحج) [٢] .

- علي بن محمد يوسف القرطبي ، شاعر مشهور في الغرب والشرق نشأ في قرطبة ، ورحل إلى المشرق ، فطبق ذكره الآفاق ، وانتشرت محاسنه في الشام ، واستقر أمره بحلب ، وكانت وفاته في قلعتها سنه (٦١٠هـ) [٣]

- أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير الأندلسي اكتسب شهرة واسعة برحلته ، أصله من بلنسية فنزل أبوه شاطبة واستوطن عدة مدن منها جيان وغرناطه بعدعودة من رحلته الثلاث التي قضاها في المشرق .

- أبو الحسن علي القلصادي (ت ٨٩١هـ) واستغرقت رحلته خمس عشرة سنه ، عاد بعدها إلى غرناطة واستقر بها [٤] وقد حدثنا في رحلته

---

(١) نفح الطيب ، ٢ / ٥٢ .

(٢) رحلة ابن العربي مقدمة د . محمد السليماني ، تحقيق قانون التأويل ص ٧٨ .

(٣) الغصون اليانعة ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، المضرب ، ١ / ١٣٦ - ١٣٩ .

(٤) رحلة القلصادي ، تحقيق د . محمد أبو الأجفان ص : ٣٢ .

الموصوفة بـ « تمهيد الطالب ومنتهى الراغب إلى أعلى المنازل والمناقب » عن سروره بلقاء جماعة من أبناء بلده بسطة [1] عند قيامه بأداء مناسك العمرة سنة ٨٥١هـ ، فقال : « وقفنا في أثناء هذه العبادة للاجتماع مع بعض أصحابنا من أهل بسطة والتلاق ، ولم نعرف كيف ذهبت تلك الليلة من السرور والفرح إلى أن لاح الفجر [2] .

---

(١) بسطة : بلده تقع شمال شرقي غرناطة بالقرب من وادي آشي ، كانت ذات خصب ونماء سقطت بأيدي النصارى سنة ٨٥٨هـ وتسمى اليوم BAZA (الروض المعطار) :

(٣) رحلة القلصادي ص : ١٣٣ ، والأندلس : قرون من التقلبات والعطاءات (ندوة الأندلس) ص ,٤٠٤ .

الفصل الخامس

أ : آثار الرحلة الحجازية وازدهارها

آثار الرحلة الحجازية وازدهارها

نقصد بالرحلة تلك التي كانت تتجه نحو المشرق والأراضي المقدسة هناك ، ولانعني الرحلات الداخلية التي قام بها أصحابها داخل الحجاز وتنقلوا فيها بين الحواضر العلمية والمراكز الثقافية ، فهذه لانعول عليها في البحث إنما تعول على الرحلات الأندلسية إلى الحجاز وعوامل تطورها .

لقد ازدهر فن الرحلة ابا إلحكم المرني والعهود التي سبقته ، ووجدنا نماذج فريدة في فن الرحلة شرقاً وغرباً لدى الرحالة الأندلسيين ومن غير الممكن الإلمام بكل من رحل من والأندلسيين إلى الحجاز، من هذه الفترة فقد رحل فيها كل من ابن جبير ٥٣٩هـ ، وابن سعيد الأندلسي ، وأبي القاسم التجيبي رحل (٦٩٦هـ) ، ومن الغرب الإسلامي نجد خالد بن عيسى البلوي ورحل عام (٧٣٧هـ) وابن سعيد الرعيني (٧٧٨هـ) وغيرهم من الذين رحلوا ولم تصلنا مدوناتهم ورحلاتهم [١] بالإضافة إلى رحلات أخرى عرفت ازدهاراًوتتابعا أيضاً وهي الرحلات الصوفية الكثيرة كرحلة ابن زكريا يحيى بن محمد بن أبي محمد صالح الماجري (٦٨٤ هـ) ، ورحلة ابن يعقوب البادس (٧٣٤هـ) ، ويذكر لنا ابن بطوطه ، وهو بمكة قائمة أخرى بهؤلاء الذين رحلوا إلى مكة وأثروا الإقامة بها [٢] مما يبين لنا استمرار الرحلات إلى هذه الأماكن .

---

(١) الرحلات الحجازية ، مقال عبدالعزيز بن عبدالله ، مقال ، مجلة دعوة الحق عدد ٥ ، ص ,٢١

(٢) رحلة ابن بطوطة ، ص ١٤٨ - ١٤٩ .

ويجب أن لاننسى ونحن نستعرض رحلاتهم إلى الحجاز أن نذكر أنهم ألفوا في مجال الرحلة ، ولكننا لم نهتد بعد إلى بعض مادونوه ، فابن أجروم تذكر كتب التراجم بأنه رحل إلى المشرق وحج وزار ولقي الشيخ أبا حيان وروى عنه واستجازه فأجازه وصنف مقدمته المذكورة تجاه بيت الله الحرام [١] وابوعلي حسن البادسي يلقي في رحلته إلى الحجاز أعلاما وشيوخاً كثيرين استفاد منهم وحصل على الإجازه عن اغلبهم وهذا يدل على أن هناك رحلات كثيرة تعرضت للتلف والضياع .

ولقد كان للدور الكبير للحكام المرينين في القضاء على قطاع الطرق والمفسدين الذين كانوا ينهبون الحجاج ويعيشون في الأرض فسادا والحق أن قوة بني مرين ضمنت الأمن وأرجعت الطمأنينة وابعدت المفسدين عن القيام بهذا العمل المشين الذي كان أحد أسباب تردد الحجاج في قضاء فرضهم وتعطيل هذا الركن الإسلامي ، لذلك لم يتساهل المرينيون مع هؤلاء المفسدين وعاقبوا كل من يتعرض للحجاج والرحالة بأذى ، فساد شعور بالأمن والطمأنينة وأقبل الكثيرون على تأدية فريضة الحج ، وزيارة البقاع المقدسة ، والذهاب إلى مراكز العلم بالمشرق للاتصال بالعلماء هناك، والنهل من المعارف ، وهكذا رحلوا فرادى وجماعات دون خوف أوقلق ، ولقد أشار ابن خلدون إلى هذا الإقبال على الرحلة نحو المشرق

---

(١) درة الحجال ابن القاضي ، تحقيق محمد الأحمدي ابو النور ٢ / ١٠٩ .

عموما والحجاز خاصة بعد أن زالت الموانع وأمنت الطرق واندحر دعاة الفتنة يقول : « لما استولى السلطان على المغرب الأوسط بممالكه وأعماله وهنأته ملوك الأقطار وأعراب الضواحي والقفار وصلحت السابلة ومشت الرفاق إلى الآفاق استنجد أهل المغرب عزماً في قضاء فرضهم ورغبوا من السلطان اذنه لركب الحاج في السفر إلى مكة ، فقد كان عهدهم بعد بمثلها لفساد السابلة واستهجان الدول »[١] .

والسلطان الذي يشير إليه ابن خلدون هو يوسف المريني (٦٨٥ - ٧٠٦ هـ)الذي اعترف له بالسيادة في كل المغرب ، فزالت موانع السفر ، بل كثيرا من حروب وحملات المرينيين على خصومهم في المغرب العربي كان أهدافها إزالة مايعوق تأدية فريضة الحج ، ومايلحق الضرر بالمسافرين ، وممتلكاتهم .

وهو الهدف نفسه الذي دفع أباعنان المريني ليتجه بعدته وجيشه في حركة نحو قسنطينه والمغرب الأدنى كما أشار إلى ذلك كاتبه ومرافقة في هذه الحركة ابن الحاج النيمري بقوله : « واعلم أن المراد أن تجتمع كلمة الإسلام وتلتئم أجزاؤها احسن الالتئام وتتجلى الدواعي لجهاد عبدة الأصنام ، ويستطاع السبيل لحج بيت الله الحرام وزيارة سيدنا ومولانا محمد خير الأنام عليه افضل الصلاة وأزكى السلام ، وينحسم داء الفتنة

---

(١) تاريخ ابن خلدون ٧ / ٤٦٧ .

وينقضي أمد المحنة ويمحو شر الفساد ،ويرتفع الظلم الذي اعتز به اللئيم فساد ،[1] وبالإضافة إلى تأمين الأغذية وإقامة المنازل والمخيمات على الطريق المؤدية إلى الحجاز ومن في طريقها .

ويكون الركب السائر إلى الحجاز محملاً بالهدايا للحرمين الشريفين ويكون مناسبة لإرسال المصاحف والأموال حتى توقف على المساجد من الأماكن المقدسة كمكة والمدينة والقدس بالإضافة إلى رسائل يبعثها اصحابها مع الركب إلى قبر الرسول عليه السلام مهداة إلى روحه صلى الله عليه وسلم مثل الرسالة التي بعث بها أبوعنان المريني [2] للغاية نفسها وكانت مناسبة ذهاب الركب إلى الحجاز عن طريق مصر تتيح اشتراك المغاربة عملياً في مهرجان المحمل المصري بالقاهرة وذلك بحمل جانب من كسوة الكعبة المشرفة ومرافقته في الطريق من مصر إلى مكة المكرمة وهذا تشريف يعد مفخرة لمن يظفر به ، فالكثير يرافق الركب من أجل نيل هذا الشرف الذي يحرص عليه الجميع ، وظل الأمنية الغالية حتى في الأعصر التي تلت العصر المريني [3] .

ولقد كان لدور الزوايا كذلك الدور الإيجابي في ازدهار الرحلة الحجازية لما عرفت به هذه الزوايا آنذاك من ثراء وغنى ، وما كانت تقدمه للغرباء

---

(١) فيض العباب ، ص ٨٠ .

(٢) كشف الظنون ، ص ٢٧ .

(٣) رحلة العياشي ١ / ١٥٠ - ١٥١ .

والحجاج خاصة من مساعدة كالطعام واللباس ، وأهميتها ترجع إلى أنها في هذا الوقت قد انتشرت في العالم الإسلامي كله مما هيأ للحاج الرحالة كثيرا من متطلباته وهو في الطريق شرقاً وغرباً لأن الزوايا «أصبحت مراكز تستهوي قلوب الناس ومدارس (دينيه) كما أصبحت إلى حد ما دور ضيافة مجانية يقصدها الرحالة الذين يبحثون عن الكمال الروحي »[1]

ولايشترط في الزائر الذي يقصد تلك الزوايا أن يكون متصوفاً زاهداً حتى يطعم ويسقى وتقدم له المساعدات ، ولكننا نتبين من خلال رحلة ابن بطوطة مثلاً أن الزوايا كانت فعلاً دورضيافة مجانية للجميع يكرم فيها الزائر قبل أن تعرف هويته ، وعلى هذا فإن الزوايا لم تكتف بهذا الدور الذي أدته فقط بالنسبة للرحلة ، ولكنها عملت على تشجيع من يذهب للحج بتكريمه بعد رجوعه ، وتقديم مايلزمه من خدمات ، فهناك زاوية بمكناس أطلق عليها زاوية الحجاج لأنها خاصة بهم فأعضاؤها وروادها يجب أن يكونوا قد أدوا هذه الفريضة فلقد كان شعارها الذي كتب عليها يتمثل في أبيات لابن جابر الغساني وهي :

هذا مقامُ الزائرين لأحمدَ ... من جاء بالقرآن والآياتِ
ياليتني أسعى إلى خير الورى ... وأُقبّلُ الآثارَ والجدراتِ
يارَبِّ جاز القائمينَ بحقهِ ... بتوابعِ الاحسانِ والحسناتِ

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية ١٠ / ٣٢٢ .

واغفرْ له ولمــن أراد بنـــاءه والسامعـــين وناظم الأبيات [١]

ولقد كانت العلاقات الطيبة التي ربطت المشرق عاملاً مهماً في ازدهار الرحلة نظراً للتواصل المستمر والدائم بينهما .

أ - ازدهار الرحلة الحجازية :

ولقد كانت العلاقة وثيقة بين المغرب والأندلس في ازدهار الرحلات ولم تتوقف هذه الرحلات الا في فترات انشغال المغاربه بالجهاد في الأندلس، كما وقع في [وقعة طريف] ، ولقد ترجم التعاون بينهما في ازدهار الرحلة والإقبال عليها ماجعل الرحلة تنشط وذلك بسبب الحماية التي يتحدث عنها كل من عاد من الحج مع الركب فكثير من المغاربة والأندلسيين كانوا يتحرقون شوقاً إلى زيارة مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وتأدية الفريضة ، ولكن أخطار الطريق ومشاقة تصدهم عن هذا المسعى اما وقد أزيلت الموانع وأعيد الأمن فقد ازادت الرحلات الحجازية في هذه الفترة ، وقد أشار ابن جبير إلى المضايقات فذكر مايعانيه الحاج من الاستغلال في القرن السادس الهجري حيث « لايزال في غرامة ومؤونة إلى أن ييسر الله رجوعه إلى وطنه » [٢] .

لهذا اعتقد الفقهاء ، إسقاط فريضة الحج في هذه الظروف التي كان الحاج يستغل فيها أسوأ استغلال فتسلب منه أمواله بطرق عديدة من المكوس والضرائب وغيرها .

---

(١) جذوة المقتبس : ١ / ٣١٨ .

(٢) رحلة ابن جبير ، ص ٥٤ .

إلا أن ابن جبير يذكر بأن الله من على الحجاج بالعمل الجليل والفعل الجميل الذي قام به صلاح الدين الأيوبي بعد ان أصدر امره برفع المكوس والمغارم عن الحجاج « فانبسطت لذلك النفوس وزاد السرور وزال البؤس » ، وهذا مافعله ابن جبير في قصيدته في مدح صلاح الدين التي ورد فيها قوله:

رفعتَ مغارمَ مَكَّسِ الحجاز بإنعامك الشامل الغامرِ
وأمنت أكناف تلك البلاد فهان السبيل على العابر [١]

وما كاد ينتصف القران الثامن الهجري حتى رأينا الرحلة الأندلسية إلى المشرق تقل شيئاً فشيئاً إلى أن تصل في مرحلة لاحقة نحو التوقف والانقطاع [٢] لذلك يعتبر البعض الجغرافيين أنه بأنتهاء عصر ابن بطوطه تقفل صفحة الرحلات الجغرافية في العصور الوسطى [٣] .

لذلك كانت الرحلة الحجازية من أهم عوامل الترابط بين أنحاء العالم الاسلامي ، دينياً ، وثقافياً ، وسياسياً ، وتجاريا ، وقد شبع عليها ما كان بين نواحي العالم الإسلامي ، لاسيما في فترات القوة ، من وحدة ربطت بين اقطاره المختلفة واتخذت لها مركزاً على وجه الخصوص في بغداد ودمشق والقاهره وغيرها من العواصم الإسلامية الكبرى [٤] .

---

(١) نفح الطيب ٢ / ٣٨٢ .

(٢) مجلة المجمع العلمي العراقي ٢٩ / ١٥١ .

(٣) تاريخ كشف افريقيا ص ٥٢ .

(٤) الرحالة المسلمون في العصور الوسطى ،د . زكي محمد حسن ، ص ٣ .

وذلك أننا إذا استقرينا التاريخ ، تبين لنا أنه لم يحدث قط مثل هذا الضعف ، بل أن الرحلة كانت أقوى في عهد التفرق السياسي لاعتياد [1] العالم الإسلامي درجة من المعيشة ونوعاً من الحياة والتفكير تحتم على أفراده الاتصال والاتجار والتبادل الفكري والأدبي ، لذا لعبت الرحلة دوراً هاماً في حياة المتجتمع الإسلامي .

وقد كانت هناك رحلات عند المسلمين في أنحاء متفرقة من الجزيرة العربية واليمن ، بالإضافة إلى رحلات من أجل طلب العلم ، يتجه فيها الطلاب شرقاً وغرباً للاغتراف من منـــــاهل العلم .

وقد خصص المقري في كتابه « نفح الطيب » بابين لذكر الوافدين من المشرق إلى الأندلس ، ومن الأندلس إلى المشرق ، ومنهم ابن خلدون [2] الذي كان قد استقرت أسرته في تونس وفي سنة (٧٨٤هـ) ورحل من تونس قاصداً المشرق وأقام في الاسكندرية مدة شهور ، انتقل بعدها إلى القاهرة وقوبل هناك بالتبجيل والأحترام ، لعلمه وتواضعه ، ومن خلال استقراء حياة ابن خلدون مايشير في جلاء ووضوح إلى أن العالم الإسلامي ،

---

(١) الجغرافيا والرحلات عند العرب ، نقولا زيادة ، ص ١٥ .

(٢) التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقاً ، تحقيق محمد الطنجي ، ص ٢٤٦ .

لم يكن ليقيم وزناً للقوميات ، ولكنه كان يفتح أبوابه للعلماء المسلمين ، على شتى مواطنهم ومذاهبهم ، فهذا ابن خلدون ، المغربي الموطن ، المالكي المذهب ، يقوم بالتدريس بالمدرسة الصالحية والمدرسة القمحية في مصر ، بل ولم يلبث أن عين قاضي القضاة المالكية في مصر ولقب (بولي الدين) .

ومن الرحلات كذلك ذات القصد العلمي أيضاً رحلة ابن سعيد نور الدين أبو الحسن على القرناطي(٦١٠هـ) ، والذي قضى حياته متنقلا للتزود بالعلم ، فأقام في الأندلس ستاً وعشرين سنة ، زار فيها غرناطة وغيرها ، ثم تنقل مابين المغرب الأقصى ، والأوسط ، وافريقيا ، واقام في تونس ثلاث سنين ، وانتقل بعدها إلى مصر وأقام بها خمس سنوات وزار خلالها الأسكندرية والفسطاط وانتقل بعدها إلى الشام والعراق ، وقد اعجب ابن سعيد في رحلته المكتبات بغداد الشهيرة آنذاك ، قبل أن يمتد إليها الدمار على يد هولاكو [١] وبقي في زيارته لبلاد الشام ، ثماني سنوات عاد بعدها إلى تونس التي قضى فيها عشر سنين ، وافته المنيه (٦٨٥هـ) ونجد وصفاً لرحلة ابن سعيد ، وثبتاً بالعلماء الذين قابلهم في مؤلفاته العديدة التي بلغت ستاً وأربعين مصنفاً [٢] .

وعلى أن اتساع رقعة العالم الإسلامي وقيام العلاقات السياسية بين ممالكه والممالك البعيدة والمجاوره عملت على تقوية جانب الرحلة بالإضافة

---

(١) تاريخ الأدب الجغرافي العربي، كراتشكوفسكي ، ١ / ٣٥٨ .

(٢) ابن سعيد الأندلسي ، د . محسن حامد العيادي ، المقدمة .

إلى الدافع الديني (أداء فريضة الحج) فقد كان الدافع الأقوى لرحلات المشارقة والمغاربه إلى الحجاز ، ولامشاحة أن هذه الرحلات أدت بالتالي ، إلى قيام مراكز علمية مزودة في مكة والمدينة وجده وتونس والقيروان وغرناطة وإشبيلية والقاهرة والاسكندرية وبغداد والبصره والكوفة ودمشق وحلقات الدرس عرفها الإسلام منذ بدايته في المسجد الجامع تطورت مع الزمن حتى صارت المدن الكبرى في الإسلام مركز ومنارة للثقافة .

ولقد كثرت رحلات الأندلسيين إلى الأراضي المقدسة في الحجاز الأندلسيين وكثرت بالتالي مؤلفاتهم ، لذا برع المغرب في هذا النوع من التأليف وهو فن الرحلة الحجازية وأول من أرسى قواعد هذا الفن ، الفقيه ابوبكر محمد بن العربي [١] والذي كانت تنتمي عائلته إلى رجال الدواوين المثقفين في دولة بني عباد في اشبيلية وكان والده من فقهائها [٢] سمع في اشبيليه على علمائها وكانت له مكانة عند آل عباد ، وعندما انقضت دولتهم خرج إلى الحج في سنة(٤٨٥هـ) ، مع ابنه محمد وكانت سنه آنذاك حوالي سبعة عشر عاماً ، فلقي شيوخ مصر ، وقيد الحديث منهم ، ثم ذهب إلى بغداد وعاد إلى مصر فأقام في الاسكندرية حيث توفي

---

(١) هو محمد بن عبدالله بن محمد بن عبدالله بن أحمد العربي المعافري ، المكني بأبي بكر ولد في سنه (٤٦٨ هـ/ ١٠٧٥) في اشبيليته ، وتوفي في فاس سنة ٥٤٣ / ١١٤٨ انظر النباهي تاريخ قضاة الأندلس ، ص ١٠٦ ، وانظر المقرى ، ازدهار الرياض ٣ .

(٢) الديباج المذهب ، ابن فرحون ، ص ٢٩٨ .

والده، ودفن هناك سنه(٤٩٣هـ) ، فعاد إلى الأندلس وسكن بلده اشبيليه .

وقد ولي القضاء في سنه(٥٨٣ هـ) وكان صارماً ، ملتزماً بقاعدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فأوذي لشدته ، ثم صرف عن القضاء ، فتفرغ للعلم ، وكان فقيها ، وشاعراً ، وقد ترك عدة مصنفات فقهيه وأدبية ويحدثنا صاحب « كتاب تاريخ الأدب الجغرافي العربي »[(١)] ، عن فقدان كتابه المعنون (باسم الرحلة أو ترتيب الرحلة) ، الذي ضمنه رحلته إلى المشرق ، وإن حفظ بعضها فيما نقله كل من ابن خلدون والمقري ، خاصة لقاءاته لرجالات العلم في عصره ، فاستطاعت مؤلفاته ان تحفظ لنا صورة للحياة الثقافية والاجتماعية في عصره .

وفي حديثنا عن آثار الرحلة الحجازية يمكننا ان تعتبر رحلة بن جبير النموذج الراقي لذا سعى الرحالة المغاربة إلى تقليده ، فاصبح هذا النوع من كتب الرحلات ، شبه احتكار لهم ، وعدد الرحالة يكاد لايحصر ، إلا أن أهمهم اولئك الذين سجلوا رحلاتهم في كتب خاصة ، بذكر الشيوخ ولتراجمهم والكتب التي درسوها ، أي رحلات فهرسية ،ومثالها رحلة ابن رشيد أو في كتب وصفيه مثل رحلة العبدري [(٢)] ، الذي يعرف مؤلفه باسم

---

(١) تاريخ الأدب الجغرافي العربي ، كراتكشوفسكي ، ١ / ٢٩٨ .

(٢) العبدري ، ينسبه كراتشكوفسكي إلى مدينة بلنسية ، بينما يرى محمد الفاسي ، انه يرجع اصله إلى بلاد دحاحة في المغرب ، واسلافه من العرب القرشيين من بني عبدالدار ، فنزلوا في=

« الرحلة العبدرية » الذي يعرف مؤلفه باسم الرحلة العبدرية والرحلة تعني قصة (المسافر عما جرى له في سفره [1] وهي ترادف لفظة فهرسه « أو برنامج » ومن أمثلتها رحلة ابن رشيد المسماة « ملء العيبة بما جمع في طول الغيبة في الوجهة الوجيهة مكة وطيبة » وتعد من أقدم ماصنف في هذا المجال ، ويرى محمد الفاسي أن هذه الرحلة لايمكن أن تكون أول رحلة

= قبيلة حاحة البربرية ، التي تحيط بمدينة الصوبره في المغرب ، وارجح من جهتي هذا الرأي ، لأن كراتشكوفسكي ذكر أن العبدري ، قبيل مغادرته موطنه إلى المشرق ، ترك أسرته في رعاية قبيلة حاحة ، كما أشار أيضاً إلى أن نسبته تشير إلى أنه ينحدر من صلب بني عبدالدار القرشيين وهؤلاء كانوا قد نزلوا في كنف قبيلة حاحه ، عند قدومهم من المشرق إلى المغرب وقاموا هناك وهم أجداده الأول بالإضافه إلى أن قبرالعبدري ، موجود ببلاد حاحه ويعرف سيدي أبي البركات ، فهذا يؤكد انه كان مغربيا ، كما ذكر محمد الفاسي ، وليس من بلنسية كما ذكر كراتشكوفسكي ، ويذكر الفاسي أن أول من نسبه إلى مدينه بلنسية ، هو أحد المستشرقين الأسبان ، وهو يونس بويكي في طبقاته للمؤرخين الأندلسيين ثم تبعه في ذلك بروكلمان ،مؤرخ الآداب العربية ويرى الفاسي أن الخطا حدث من كون عدد كبير من الأدباء والعلماء من أهل الأندلس ينسبون إلى بني عبدالدار ومنهم العبدري رحل إلى المشرق وألف رحلة كما أن عبدرياً ثالثاً من اهل تلمسان، رحل أيضاً إلى المشرق ،ومما يؤكد مغربية العبدري اعتزازه بالمغرب وأهله ، ولايتعرض مطلقاً لبلاد الأندلس (تاريخ الأدب الجغرافي العربي كيراتشكوفسكي ، ص ٣٦٨ ، ومحمد الفاسي (مجلة دعوة الحق العدد ٢ / ٢٧ (الرحالة المغاربة) .

(١) القاموس المحيط الفيروز آبادي ، جزء الثالث ص ٣٩٤ .

ألفت في هذا المجال ، إذ إنها من النوع المتكامل في هذا الموضوع ، ويرى أنه لابد هناك من محاولات في القرنين الخامس والسادس للهجرة سبقت هذه الرحلة ، ولكنها اندثرت وهذا النوع من تأليف الرحلة لقي صدى لدى الرحالة المغاربة ، فوضعوا مؤلفات على نسق مؤلف ابن رشيد ومنها رحلة أبي القاسم التجيبي المتوفي سنه (٧٣٠هـ) وكانت رحلته سنه (٦٩٦هـ) ، وقد ذكرها ابن حجر بقوله : وهي ثلاثة مجلدات ضخمة ، وقد حذا فيها حذوا بن رشيد وكذلك قد ضمن التجيبي رحلته المشائخ الذين لقيهم في المغرب والأندلس والمشرق ومؤلفاتهم كماكانت رحلة ابن رشيد ، ومن أمثلة رحلة البلوى ، وهو القاضي أبو البقاء خالد بن عيسى بن أحمد بن ابراهيم بن خالد البلوي ، وقد وصفه ابن فرحون بالأدب ، والعلم ، والفضل ، وحسن الأخلق والعشرة ، حج وقيد رحلته ووصف فيها البلاد التي زارها ولقي فيها من العلماء ، وقد اطلع ابن فرحون على رحلته هذه المسماة (تاج المفرق في تحلية علماء المشرق) ونقل عن تراجمها وتاريخ رحلة البلوى كان في سنة(٧٣٢ هـ) وقد انتهى من مؤلفه هذا ، الذي ضمنه شيوخه ، الذين لقيهم في تونس والقاهرة والحجاز في سنه (٧٦٧هـ) .

وبما أن الرحلة كانت في الأصل في طلب الحديث الشريف فمن الطبيعي اذاً ، ان نتوقع أن تكون بداية ذلك في عهد الرحالة الأوائل ، ويحدثنا ابن عبدالبر القرطبي ، المتوفى (٤٦٣هـ) عن رحلة أبي أيوب الأنصاري

الصحابي إلى مصر ، حيث كان عقبة بن عامر ملتمساً منه ان يسمعه ماسمعه من حديث الرسول صلى الله عليه وسلم بشأن ستر المسلم ، إجابة إلى طلبه ، امتطى راحلته وضرب وجه دابته ، إلى المدينة المنورة دون أن يحل رحلة [١] ، ومعنى هذا أن أبا أيوب الأنصاري ، تحشم ماتجشم من عناء الرحلة ، في مثل ذلك الزمن البعيد ، وصعوبة الموصلات التي كانت في السابق بالإضافه إلى خطورة الطريق الموحش الوعر ، وذلك من أجل حديث واحد فلما سمعه وهو على راحلته ، لم يسمح لنفسه بالراحة ، بل عاد إلـــــى حيث جاء .

وهذا يفسر لنا ماقاله سعيد بن المسيب المتوفى سنه (٩٤هـ) من أنه كان يسير في طلب الحديث مسيرة الليالي والأيام [٢] وقد قال أبو العالية الرياحي إنه كان ومن على شاكلته ، من رواة الحديث الشريف ، يسمعون الرواية لحديث ما ، وهم في البصرة من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم ، فلا يرضون حتى يأتوا المدينـــة فيـــسمعـــــون من أفـــواه هــــؤلاء الصحابة .

والكتب المتعلقه بهذا الموضوع زاخرة بالصور الحية ، التي تمثل حرص الأوائل من الصحابة ومن بعدهم من التابعين وتابعيهم على أخذ الحديث

---

(١) جامع بيان العلم وفضله ، ابن عبدالبر ١ / ٩٣ وما بعدها .

(٢) المصدر السابق ، ص ٩٤ - ٩٥ .

الصحيح ، حملهم على الرحله دون نظر إلى مشقتها ، وإلى عدد الأحاديث التي يسمعها الواحد منهم .

وقد جاء في كتاب (الرحلة في طلب الحديث - للخطيب البغدادي) نماذج ، كثيره تشجع طلاب العلم وترغب في طلب العلم وبذل غاية الوسع والطاقة من أجله أسوة بما كان عليه سلفهم الصالح حيث كان الواحد منهم يرحل المسافات الشاسعة ، ويجتاز الغيافي والقفاز ، يأدتم كسر الخبز اليابس ، ويكتفي بالطعام الجلف ، ويلبس خلق الثياب ويعاني الأهوال للفوز بطلب العلم ، بل لطلب مسأله من العلم او لسماع حديث واحد [١]

وقد جمع الإمام البغدادي في كتابه الرحلة أخباراً عجيبه وتحفاً نادرة من أخبار رحلاتهم من أجل الحديث الواحد فقط ، لايطمحون من وراء ذلك إلى جاه أو وظيفة يشغلونها ،ولايطمعون في دنيا يصيبونها طريقهم إلى ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم : « من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة » [٢] .

وقد كانت الرحلة في طلب الحديث من لوازم طريقة المحدثين ومنهجهم في التحصيل العلمي [٣] .

---

(١) الرحلة في طلب الحديث ، للخطيب البغدادي ، ص ٧ - ٨ .

(٢) من حديث صحيح أخرجه الامام مسلم وغيره .

(٣) الرحلة في طلب الحديث للبغدادي ، ص ١٧ .

ب - فوائد الرحلة :

١ - التمكن من الجوانب العلمية : وذلك إن الإنسان يتأثر في البيئة العلمية الجديدة وقد يؤدي ذلك إلى إصلاح آرائه واجتهاداته والإمام الشافعي برهان ساطع على ذلك ، حيث كان له مذهبان قديم جديد وقد سار إليه الشافعي بعد رحلته إلى العراق حيث لقي الإمام محمد الشيباني صاحب أبي حنيفة كما أخبر بذلك ابن خلدون : « إن الرحلة في طلب العلوم ولقاء المشيخة مزيد كمال في التعليم »[١] .

٢ - نشر العلم للعالم :

قد تكون رحلة العالم أو الأديب من أسباب ظهور علمه ، أو أدبه وانتشاره في الأفاق قال الأديب أبوبكر المعروف بابن بقي :

ولي هِمَمٌ ستقذف بي بلاداً … نَأَت إما العراق أو الشآما
ليكما تحمل الركبانُ شِعرى … بوادي الطلح أو وَادِيّ الخُزامَا
وكما تعلم الفُصَحاء أني … خطيبٌ علَّم السجعَ الحماما
وقد أطلعتَهنّ بكل أرضٍ … بدوراً لايفارقّن من التماما

٣ - تنمية الفضائل والكمالات في النفس :

وهذه صفة يتطلع ، إليها الرحالون ، يقصدون أهل الفضل للتأسي بأحوالهم وصفاتهم ، ورحل الإمام الكبير الحافظ يحيى بن يحيى بن بكر التميمي إلى الإمام مالك بن أنس للسماع عنه، وبعد أن أتم ذلك بقي عند

---

(١) الرحلة في طلب الحديث - البغدادي ، ص ٢٤ .

مالك ، وقال : « أقمت لأستفيد من شمائله »[1] .

كما أن الإنسان في الرحلة تتغير مألوفاته . وعاداته ، فيكتسب بمواجهة ذلك أخلاقاً طيبة تغرسها الرحلة في النفس ، مثل خلف الصبر لكثره مايلاقيه الراحل من متاعب .

---

(١) الرحلة في طلب الحديث ، ص ٢٧ .

الفصل السادس

تطور الرحلة الحجازية وأبعادها

تطور الرحلة الحجازية وأبعادها

توجه كثير من الأندلسيين إلى المشرق، ونقلت الكتب المشرقية إلى الأندلس ، فكانت الصلات الدينية والثقافية بين الأندلس والمشرق نشيطة في أغلب الأحوال ، وكان هؤلاء الأندلسيون يقصدن المشرق للتزود من علومه في الفقه والحديث والآداب واللغة والطب ، ولاشك أن الناحية الدينية كانت أكثر أهمية من نواحي الجذب الآخرى إلى الحجاز للمكانة الدينية المتميزة التي حظيت بها المدينتان المقدستان لاسيما مكة المكرمة قبلة المسلمين التي يتجه المسلمون إليها في صلاتهم ، ويقصدها الزوار ، وكذلك المدينة المنورة فقد كان موطن الرسول صلى الله عليه وسلم وفيها قبره الشريف ، وكانت المدينة عاصمة المسلمين أيام الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ، وأيام الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم فكانت الحجاز مركزاً للدعوة الإسلامية.

منها انطلقت الجيوش الإسلامية إلى البلدان المجاورة لها في العهد الراشدي الذي انتهى باستشهاد الخليفة الراشد علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وجاء العصر الأموي لتصبح ولاية من ولايات الدولة الإسلامية ومنارة العلم والعلماء .. فكان المشرق في نظر الأندلسيين موطنهم ومصدر فكرهم ، وكان العالم يكتسب مميزات علمية خاصة برحيله إلى ينابيع العلم الأساسية

في الحجاز، ومن ثم رحل الكثيرون إليه وجالسوا علماءه وأدباءه وأخذوا عنهم علماً كثيراً ، ثم عادوا إلى بلادهم ينشرون ما جمعوه خلال رحلاتهم تلك ، فساهمت هذه الرحلات في نشر الثقافة المشرقية في الأندلس ، وفي إرساء مثل هذه الثقافة وأسسها فنجد مثلاً المقري قد خصص المجلد الثاني من نفحه للحديث عن رحلات هؤلاء الأندلسيين الداخلين إلى المشرق والعلوم التي حصلوها هناك ، ونشاطهم الثقافي في بلادهم حين عودتهم إليها ، وكثيراً ماتردد في تراجم هؤلاء عبارة (وأدخل إلى الأندلس علماً كثيراً)[١].

وقد حقق كثير من هؤلاء الراحلين إلى الحجاز بعد عودتهم مجداً وشهرة لايستهان بها ، فكان من مظاهر الفخر لديهم أن يرووا عن شيوخ المشرق وكبار علمائه ، فقد نال أبو الوليد الباجي بعد رحلته إلى المشرق شهرة واسعة وخطوة عظيمة لدى الحكام والعامة [٢] .

وكذلك لقي القاضي أبوبكربن العربي بعد عودته من المشرق مجداً وتقديراً بالغين [٣] وفي ذلك يقول مباهياً بما حققه هو والباجي من مجد

---

(١)نفح الطيب ، المقري ٢ / ٤٦ و ٤٩ ، ٧١ .

(٢) نفح الطيب، المقري ، ٢ / ٧٤ - ٧٥ .

(٣) المرجع السابق ، ج٢ / ٣٤ .

علمي معلياً جهودهما على من سواهما : « كل من رحل لم يأت بمثل ما اتيت به أناوالقاضي أبو الوليد الباجي »[(١)] .

فإن كانت الرحلة العلمية في البدء مقترنه بأداء فريضة الحج أو التجاره إلا أنها أصبحت فيما بعد ضرورة ولازمة ، خاصة لدى الطلبة القادرين على تحمل أعباء السفر .. وما أن حل القرن الثالث حتى غدت الرحلة العلمية لدى الأندلسيين هدفاً يسعون إليه كأنه « فريضة ثقافية يؤدونها »[(٢)] .

ولذلك تنوعت رحلات الأندلسيين إلى المشرق فكان منها الجغرافية والأدبية ، والدينية وغيرها وإن كان من أبرز الأماكن التي كانوا يشدون إليها الرحال كما ذكر سابقاً الحرم المكي والحرم المدني فتعددت بذلك رحلاتهم الحجازية التي كان لها أكبر الأثر في تيار ثقافتهم ومستوى حضارتهم التي امتدت ثمان قرون عرفت الأندلس فيها حضارة راقية مزدهرة ، وظهرت فيها المصنفات في مختلف العلوم وميادين المعرفة ، ولعل كتب التاريخ والتراجم بشتى مصنفاتها تؤكد شغف الأندلسيين بالعلم والأدب فقد نبغ كثير منهم في علوم عصرهم ، وشيدوا فيها معالم حضارة خالدة وتركوا تراثاً نفيساً لمن أتى بعدهم وكان لرحلاتهم إلى الحرمين دور كبير في نهضتهم لاسيما أنها بدأت في عهد متقدم ، يقول د . محمد أبو الأجفان (وبدأ الأندلسيون

---

(١) ازدهار الرياض ، المقري ج٣ / ٦٣ .

(٢) الحركة اللغوية في الأندلس ، السيد حبيب ،، ص ٥٤ .

يهاجرون إلى الحرمين الشريفين بمكة والمدينة منذ القرن الثاني للهجرة)[1] حيث نأت ديار الأندلسيين عن الحرمين فازداد شوقهم إليها والتهب حنينهم إلى زيارتهما أداء للعبادة ورغبة في الأجر الأخروي واستجابة لقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « لاتشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجد الرسول صلى الله عليه وسلم والمسجد الأقصى »[2] ثم أصبحت الرحلة من أهم عوامل الترابط بين أنحاء العالم الإسلامي ، دينياً ، وثقافياً وسياسياً ، وتجارياً ، وقد شجع عليها ماكان بين نواحي العالم الإسلامي ، لاسيما في فترات القوة من وحدة ربطت بين أقطاره المختلفه واتخذت لها مركزاً على وجه الخصوص في بغداد ودمشق والقاهرة ، وغيرها من العواصم الإسلامية الكبرى[3] .

---

(١) ندوة الأندلس : قرون من التقلبات والعطاءات ، القسم الثاني، ص ٣٨٥ .

(٢) أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه الصحيح : ٢ / ٥٦ .

(٣) الرحالة المسلمون في العصور الوسطى ، د . زكي محمد حسن ، ص ٣ .

الفصل السابع

القيمة الأدبية والعلمية للرحلات الأندلسية

القيمة العلمية والأدبية للرحلات الأندلسية

فن الرحلة قديم في الأدب العربي عبر من خلاله وفي قالبه الأديب العربي عما أحس به وهو يجوب الآفاق مكتشفاً أو متعلما ، وتوصل إلى التعبير عن ذلك بالشعر تارة و بالنثر تارة أخرى ، ورغم أن جل مادونه الأديب العربي من رحلات لم يصل إلينا ربما لأنه ضاع أو لأننا لم نتلمس طريقنا إليه بعد ، فإن ما اطلعنا عليه من هذه الرحلات يعطي صورة واضحة على قدم هذه الرحلات وتنوع وطرقها واختلاف أهدافها وغنى مضامينها [١] بيد أن هذا الفن يرقى إلى القمه في الإبداع ويزداد اتساعا وخصوبة في الغرب الإسلامي عند الأندلسيين والمغاربة بما عرف عنهم من رغبتهم في الأخذ عن الشيوخ وزيارة الأماكن المقدسة وجولاتهم من أجل الأطلاع والبحث[٢] .

ومن هنا يصعب على كل الباحث الإلمام بكل من رحلوا على مدى العصور والأزمنة ، وإن كانت كتب التراجم والسير والتاريخ والأدب تشير في مجال الترجمة للأشخاص أو التعريف بإنتاجهم إلى الكثير من هؤلاء الرحالة ورحلاتهم ، فالمقري مثلاً قد أورد في كتابة « نفح الطيب » مايزيد عن

---

(١) التعريف بأهم هذه الرحلات وأصحابها كتاب « الرحالة المسلمون في العصور الوسطى د. زكي محمد حسن ١٠٧ .

(٢) تاريخ الجغرافية والجغرافيين ، ص ١١ .

ثلاثمائة من الرحالين الأندلسيين الذين رحلوا من أجل طلب العلم وحده وليس بغرض التجارة أو الحج ، ومع ذلك يعترف بقصوره وعجزه عن استيعاب كل من كانت لهم رحلة ، يقول : « إن حصر أهل الارتحال لايمكن بوجه ولا بحال ولابعلم ذلك على الإحاطة الإعلام الغيوب الشديد المحال ، ولو أطلقنا عنان الأقلام في من عرفناه فقط من هؤلاء الأعلام لطال الكتاب وكثر الكلام ، ولكننا نذكر منهم لمعا على وجه التوسط من غير إطناب داع إلى الإملال واختصار مؤد للملام » (١) .

وإذاتيسر للمقري ذكر هذا العدد من الرحالين ، وهو يؤلف كتابه النفح بمصر معتمداً على ذاكرته بعيداً عن كتبه ومصادره (٢) فكيف يمكن أن نتصور المساحة الشاسعة لهذا الحقل الهائل من الأدب والفكر ؟

ولعل الذي ساعد على هذا الاهتمام والرغبة في الرحلة وأهميتها الأدبية كذلك هو الموقع الجغرافي لأندلس ببعده عن الحجاز من جهة وإطلاله على القارة الأوربية من جهة ثانية ولهذا انتظمت رحلات الأندلسيين إلى الأقطار

---

(١) نفح الطيب ، ج٢ ص ٥ .

(٢) المصدر السابق ج١ ، ص ٧١ .

المختلفة وإن كنا وجدنا أن الحجاز يستقطب أكثر الرحالة ويستهويهم ويجذبهم نحوه فقد ذكر ابن خلدون في «المقدمة» بأن الرحلة « كانت غالباً إلى الحجاز ، وهو منتهى سفرهم ، والمدينة يومئذ دار العلم ومنها خرج إلى العراق ، ولم يكن العراق في طريقهم فاقتصروا على الأخذ عن علماء المدينة » (١) .

وقد تتابعت أفواج الرحالة والأندلسيين نحو الحجاز وتكاثرت وفودهم على هذا البلد المقدس ، وتكاد لاتخلو أية ترجمة من الإشارة إلى صاحبها بأنه حج أو رحل إلى الديار المقدسة ولاعجب في ذلك فالحجاز بلد مقدس تحتضن تربته أشرف الخلق جميعهم ، والبيت الذي يتجه إليه كل المسلمين في صلواتهم ، ويطوفون في حجهم .

« وفي منتصف ذي القعدة وصل الأمير سيف الدين ، وهو من الفضلاء ، ووصل في صحبته جماعة من أهل طنجة بلدي حرسها الله ، فمنهم الفقيه أبو عبدالله بن عطاء الله والفقيه أبو محمد عبدالله الحضري والفقيه أبو عبدالله المرسي وأبو العباس ابن الفقيه بن علي البلنسي ، وأبومحمد بن القابلة وأبو الحسن البياري » (٢) .

---

(١) مقدمة ابن خلدون ، ص ٨٠٥ .

(٢) رحلة ابن بطوطة ص ٢٣٤ .

وهو عدد كبير ممن وفدوا على الحجاز من بلد واحد ومدينة واحدة .

وهناك ظاهر مهمة وهي أن بعض الأندلسيين لايكتفون برحلة واحدة إلى المشرق عامة وإلى الحجاز خاصة ولكنهم بمجرد مايصلون إلى بلدهم يسرعون إلى العودة من جديد فهذا ابن جابر الوادآشي أطلق عليه ابن خلدون صاحب الرحلتين ، وهذا ابن جبير قام برحلات ثلاث .

ولشدة التعلق بالحجاز خاصة كان البعض يطيل مقامة هناك ، فيستقر لفترة طويلة بمكة أو المدينة أو بهما معاً ، حتى يشبع رغبته ويروي ظمأه وقد كان التعلق بالمشرق والحجاز خاصة أن اختار الرحالة الإقامة الدائمة والجوار في مكة أو المدينة حيث مَسجد الرسول صلى الله عليه وسلم والكعبة المشرفة ولقد روى يحيى السراج في « فهرسته » قائلاً : «حدثني الفقيه أبو عبدالله الرعيني إذنا في الجملة عن القاسم ابن يوسف التجيبي لإجازة قال لم يزل الفضلاء في كل عصر يقصدون الإقامة بمكة رجاء البركة فيأتونها من كل مصر ، ويرون بها ويحدثون بها الناس » [١] .

وهذا ليس مستغرباً لمالمكة المكرمه شرفها الله في نفوس المسلمين من إجـــلال وتعظيم .

---

(١) فهرسة السراج ، ص ٩٦ .

ومن الذين عرفوا بالمجاورة في الحجاز التي اتخذوها وطنا دائماً وفضلوها على مسقط الرأس أبو القاسم ابن علي بن محمد بن علي الفاسي (٨١١هـ) الذي جاور بمكة المكرمة وأخذ عن شيوخ عديدين[١] الذي جاور الإقامة بالمدينة المنورة ، لأنها مدفن الرسول عليه السلام ، وبلد مالك بن أنس إمام المذهب .

ولم تكن الرحلة دائماً نحو المشرق ، بل وجدنا من المغاربة من اتجه إلى الأندلس إما للعمل أو زيارة الأصدقاء أو الأخذ من الشيوخ أو للإقامة الدائمة وهكذا ترددت شخصيات علمية كبيرة بين المغرب وغرناطة بل إن المغاربه اشتهروا بنسبتهم إلى الأندلس أكثر من شهرتهم بالنسبة المغربية كالقاضي أبي القاسم « السبتي » الذي عرف بالشريف الغرناطي (ت ٧٦٠هـ) وليس من السهل إحصاء كل من رحل إلى الأندلس أو استوطنها فلقد ترجم ابن الخطيب في كتابه « الإحاطة » لأكثر من أربعين من هؤلاء الرحالين المغاربة نحو الأندلس فيهم السفير والعالم والفقيه والقاضي والشاعر من هؤلاء الرحالة وابن جبير والبلوي .

وإذا كانت أعداد الرحالين بهذه الكثرة ، فأين أخبارهم ؟ وأين مادونوه من رحلات يذكرون فيها سماعهم عن الشيوخ كما يتبادر إلى القارئ

---

(١) شذرات الذهب ٧ / ٩٢ .

ووصفهم للبلدان التي حلوا بها ، والتقاليد والمعلومات التي عثروا عليها ؟

وإن الباحث يقف حائرا أمام هذا السؤال وغيره فلا يستطيع الوصول إلى إجابة حاسمة أو اتخاذ رأي ثابت .

فهناك كل منهما له أهمية ومكانته في هذا المجال أولهما أن جل الرحلات أو أغلبها قد ضاع ، أو مازال البحث لم يهتد إليه، وأن ماوصلنا من هذه الرحلات لايشكل إلا نسبة ضئيلة ، من هذا العدد الهائل الذي كتب في هذا المجال والآخر أن هؤلاء الرحالين أحجموا عن التدوين ، فلم يسجلوا ماشاهدوه في تلك البلدان ولم يقيدوا ماسمعوه من أخبار وعلوم وأسانيد عالية ، وهذا غريب لما نعرفه من حرص العلماء على حصولهم على علو السند حرصهم على أنفسهم ، ومانعرفه عنهم أيضاً من اعتزازهم بلقاء العلماء ومشافهتهم ، فكيف يعقل ألا يسجلوا كل ذلك خوف النسيان والضياع ؟

وبالنسبة للأفتراض الأول فإن الباحث يزداد تيقنا بأن عددا ضخماً من المؤلفات والكتب ومنها الرحلات ، تعرض للضياع والتلف ، فكل من اطلع على الحركة النشطة والرحلة المستمرة التي اتسم بها أهل هذا العصر يصل إلى الاقتناع بأن كثيرا من الرحلات مازال مفقوداً فكيف يعقل ألا يدون العالم مايمر به في رحلته الحجازية أو غيرها من مشاهد وأخبار ولقاءات مع العلماء ومايحصل عليه من أسانيد وإجازات رغم الحرص الشديد على السند العالي والأخذ عن الشيوخ فيتجشم من أجلها المشاق والمتاعب ويواجه الأخطار والمصائب .

ولايمكننا أن نتصور العلماء والفقهاء ومن يعدون عليه القوم الذين يشكلون معظم ركب الحجاج لاينفعلون بما يشاهدون أو يسمعون فيدونون مذكرات لتسجيل هذا الحدث الفريد خاصة وأن الكثير منهم كان محملاً بالهدايا إلى ملوك الشرق والغرب ، وأهمها المصحف الذي يتفنن في كتابته وترصيع غلافه بأنوع من اليوافيست والجواهر ، فكيف لايسجل عالم مثل أبي الفضل ابن أبي مدين مذكراته في هذا الشأن وهو الذي حمل كتاب أبي الحسن سنة (٧٤٥هـ) إلى المنصور صاحب مصر [١] .

وإن وجدنا تدوينا لبعض هذه الرحلات فليس المستبعد أن رحلات أخرى لم تصل إلينا .

وإذاً فلا مجال للشك أو الجدال في أن الكثير من الرحلات والكتب قد فقدت أو ضاعت ، فهذا أبوسالم العياشي عثر في مكة المكرمة على رحلة «ابن رشيد» [٢] بخط المصنف وخط تلميذه عبدالمهيمن فأين هذه النسخة ؟ ولعلها تكون هي النسخة الأصل التامة ، وهذا أحمد «المقري» يقول عن النميري «وكان عندي بالمغرب مجلد من رحلته التي بخطه ، وقد أتُى فيه بالعجب العجاب» [٣] فهل هي رحلته الحجازية التي تعتبر الآن ضائعة ؟

---

(١) الاستقصا لاخبار دول المغرب الأقصى ، احمد الناصري ٣ / ٨٣ .

(٢) رحلة العياشي ٢ / ٢٣٨ .

(٣) نفح الطيب ٧ / ١٠٩ - ١١٠ .

وكان هناك اتجاه له أتباعه يرى أن الاشتغال بالتأليف مضيعة للوقت وهو أقل قيمة من الاشتغال بتعليم الطلبة أو الأخذ عن الشيوخ ، يقول محمد بن إبراهيم الآبلي : « إنما أفسد العلم كثرة التأليف » [1] وهذا الاقتناع بمضار التأليف هو سبب عدم وجود تأليف له .

وثمة إلى عامل آخر جعل التأليف في الرحلات خاصة يكاد يكون قليلا هو نظرتهم إلى مايجب الاعتناء به من العلوم والتصانيف ، وكونها يجب أن تكون نافعة للأبدان والأديان لذلك أعتبروا علم الجغرافيا وما ألف حوله علماً لافائدة منه ، وأوضح هذا الرأي محمد بن الحميري في فاتحة معجمه الجغرافي يقول : « ومع هذا فقد لمت نفسي عن التشاغل بهذا الوضع الصاد عن الاشتغال بما لايغني عن أمر الآخرة ، والمهم من العلم المزلف عند الله تعالى وقلت : هذا من شأن البطالين وشغل من لايهمه وقته .. بل أقول أعوذ بالله من علم لاينفع » [2] .

---

(١) أدب الرحلة في العصر المريني ، ج ١ / ص ٥٥ .

(٢) الروض المعطار ص ١ - ٢ .

ولقد رأينا أن هناك رحلات دونها أصحابها في أثناء الرحلة على شكل مذكرات وهو في رحلته حتى لاتغيب عنه أهم الفوائد ولكنه لايخرج رحلته إلى الناس إلا بعد التنقيح والروية ومن هنا قد يتأخر إخراج الرحلة عن زمن القيام بها .

ومن الرحلات ما كتب من الذاكرة ومادونوه قد تعرض للتلف والضياع فلم يكن صاحبها وهو يملي رحلته يتوافر على أصول الرحلة ونصوصها ولعل هذا هو سبب الخلط والتسلسل في الرواية.

ومن الرحالة من لم يدونوا رحلاتهم لأن ذلك مرجعه الحيطة والحذر بل ربما بقيت مذكرات وأصول تلك الرحلات لدى أصحابها إلى أن ضاعت بوفاتهم وأنتهى أمرها معهم .

ومن تلك الرحلات الكثير التي قامت مبادره من غير أصحابها وعرفت طريقها إلى الانتشار ، فرحلة ابن بطوطة لولا عناية أبي عنان وإعجابه وتكليفه لابن جزي بتدوينها وتسجيل مايمليه عليه صاحبها لضاعت ورحلة ابن جبير أيضاً لم ينظمها صاحبها ويجمع شتات أخبارها ونسق مادونه في مذكراتها على الشكل المعروف ، وإنما تصدى لهذا غيره من أعجب بمحتواها

يقول ابن الزبير عن الرحلة وتدوينها : « وليس من تأليفه فيما يذكر لي شيخنا الغافقي إنما قيدهوحاصلها من ذكرالمراحل والانتقادات وأحوال البلاد تقيدا لم يصل به التأليف ، فرتبه بعض من أخذ عنه وأتقنه مؤسسا » (١) .

ولعل الرحلات لها أهميتها الأدبية للرحالة في تغير نمط حياته وتفكيره وإنتاجه ، لأنها ظاهرة طبيعية مميزة له وبتأمل تاريخ العالم العربي الإسلامي نجد أن الأندلسيين كانوا كثيراما يتنقلون ويرحلون ،وكانت أغلب رحلاتهم يتمم وجهها شطر المشرق العربي الإسلامي لكنهم كانوا يتجشمون كل وعرفي البر أو البحر قصد زيارة مهد الدين ، إذا أردنا أن رصد أهم الدوافع التي حثت الأندلسيين على سلوك هذا النهج وجدنا أن وقوع الأندلس في أقصى الغرب الإسلامي شكل باعثاً قوياً للأندلسيين قصد الترحل نحو المشرق حتى يؤكدوا أنهم عرب مشارقة - رغم تعدد عناصر المجتمع الأندلسي كما هو معهود - وإن نأت بهم الديار منأى بعيداً ، ذلك أن الغربة تدفع الإنسان كثيرا إلى محاولة تحدي عقبات الزمان والمكان قصد التأكيد على الإنتماء نحو المهد الأول له ، لقد كان النهل من منابع العلم المشرقية أبرز

---

(١) الاعلام ، للمراكشي ، ج٤ ، ص ١٧٩ .

دافع كان يحث الأندلسيين على النزوح نحو المشرق بصفة مستديمة ، ولذلك « كان الشوق إلى الرحلة مثيرا لفن من الترسل طريف إذ كانت رحلات الأندلسيين تحملهم في الغالب إلى الديار المقدسة » [١] .

وهكذا لم تفتر حركة التواصل بين المشرق والأندلس فأهالي الأندلس يرحلون إلى الشرق حجاجاً أو طلاب علم. وأهالي الشرق العربي يرحلون إلى الأندلس في طلب الحظوة والجاه كما أكد ذلك د . محمد سعيد الدغلي في كتابه الحياة الأجتماعية في الأندلس وأثرها في الأدب العربي [٢] .

ورغم ما يعانية الرحالة من أهوال ومخاطر فإننا نجد التواصل بين المشارقة والأندلسيين مع المغاربة أشد كثافة مما هو عليه الآن . ولعل هذا ماقصده د. عبدالحليم عويس حين قال : « وقد ساعد على نجاح هذه الظاهرة ان حركة الانتقال كانت مباحة بين العواصم الاسلامية على هيئة بحوث علمية ، وتسابق في الحصول على اجازات العلماء والشعراء ، وفي اقتناء الكتب الكبيرة والنادرة » [٣] .

إذا نظرنا في كتب التراجم الأندلسية مثل كتاب (الصلة) لابن الآبار (ت ٦٥٨هـ) والمغرب في حل المغرب لابن سعيد وجدناهم وضعوا تراجم

---

(١) تاريخ الأدب الأندلسي في، عصر الطوائف والمرابطين ، د . ط حسان عباس ص ٣٠٦ .

(٢) انظر كتابه ص ٧٦ .

(٣) ابن حزم وجهوده في البحث التاريخي والحضاري ص، ٣٥ .

كثيرة للأندلسيين رحلوا نحو المشرق ، وليس ذلك فحسب بل إن الحميدي وابن سعيد نفسيهما خير أنموذجين لهؤلاء النازحين حيث عاشا شطرا من حياتهما بالأندلس وأنفقا الشطر الآخر بالمشرق ، وكان هؤلاء العائدون من المشرق يلقون كل حظوة ويحصلون على المنزلة الرفيعة فهذا بقي ابن مخلد (ت ٢٧٦هـ) الذي لقى بالمشرق مائتين وأربعة وثمانين شيخاً ، وألف تآليف لم يؤلف مثلها ويعود إلى الأندلس حاملاً معه مصنف ابن أبي شيبة في الحديث فيعجب به الأمير محمد بن عبدالرحمن (ت ٢٣٨هـ) ويقول لخازن كتبه : « هذا الكتاب لاتستغني خزائننا عنه فانظر في نسخة لنا ويقول لبقي : « انشر علمك وأرو ماعندك »[١] وبلغ حظه من العلم كما قال عنه د. حسين مؤنس في كتابة « شيوخ العصر في الأندلس » ص ٤٥ أنه كون مذهبا خاصاً به ولم يتبع مذهب المالكيين ولا الشافعيين .

وقد قال عنه ابن حزم إنه كان متميزاً لايقلد أحداً[٢] أما أبو الوليد الباجي ، معاصر ابن حزم ، فقد عاد إلى الأندلس وهو يفيض علم (أو

(١) تاريخ علماء الأندلس ، لابن الفرضي ، ١ / ٩١ مقال في ندوة أدب الرحلة في التواصل الحضاري - المغرب ص ٢٩٧ .

(٢) نفح الطيب ، ٣ / ٢٧٤ .

أدبـــــاً وشعراً (١) وقد يصير الأندلسي العائد من (الرحلة المشرقية) منارة علم فتكون له حلقة تستقطب طلاب المعرفة من كل صوب (٢) .

ولم يكن مشاهير علماء الأندلس يرون حرجاً في الأخذ عن هؤلاء العائدين لأنهم في رأيهم نهلوا العلم من معينه ، ومن أمثلة ذلك أن أحمد بن ابن قطبة العذري المحدث رحل إلى المشرق وسمع من الهروي صحيح البخاري عدة مرات ، وسمع من محدثي المشرق ثم عاد إلى الأندلسي فأخذ عنه علماؤها ومن أبرزهم : أبوعمر بن عبدالبر وابن حزم ، وقد جرت عادة أمراء الأندلس وخلفائها أن يحيطوا العالم الأندلسي العائد من المشرق بكل تجلة وتكريم ويسندوا إليه المناصب السامية ، ومن الأمثلة على ذلك أن الفرج ابن كنانة ، الذي كان من الفقهاء المورودين بالأندلس في صدر القضاة ، قدم من رحلته فاستخلفه الأمير الحكم ابن هشام وولاه منصب قاضـــي الجماعـــة بقرطبة (٣) .

ومن الحقائق الأخرى أن الأندلسي الذي كان يقبع في مقر داره بالأندلس، ولايرحل نحو المشرق يعد ذلك منقصه عظيمة في حقه . والدليل على ذلك

---

(١) نفح الطيب ٣ / ٧٧٢

(٢) رحلات الأندلسيين نحو المشرق ، د .عبداللطيف مؤمن ص ٢٧٩ (مقال) .

(٣) رحلات الأندلسيين نحو المشرق ، د . عبداللطيف مؤمن ، ص ٢٧٨ . مقال في ندوة أدب الرحلة في التواصل الحضاري ، المغرب ، سنة ١٩٩٣ .

قول أحمد أمين « وبلغ من إقبالهم على ذلك أن الشخص يعاب بأنه لم يرحل نحو المشرق [1] حتى إن ابن حزم وهو أشهر فقيه ومفكر أنبته الأندلس كان خصومه يغمزونه بهذه النقيصة لكنه تحداهم وسفه أحلامهم ، بل وتحدى كل مايأتي من الشرق كله إجمالاً وتفصيلا ، ولعل بيته الشعري الآتي خير شاهد على هذا الاعتقاد :

وياجوهَر الصين سُحقاً فقد غنيت بيا قوتةِ الأندلس [2]

ولكن كانت رحلات الأندلسيين والمغاربة إلى المشرق نحو طلب العلم وأداء فريضة الحج وعملت على إحداث ترابط متواصل بين المشرق والأندلس رغم بعد الشقة بينهما . ومن شأن هذا الواقع الاجتماعي أن يعمل على تقوية شعور الأندلسيين بأصلهم العربي الإسلامي رغم كونهم محاطين بأمم أعجمية وهكذا (كان تيار هذه الرحلة مطرداً يحمل من يرحلون منه الأندلس إلى المشرق للعلم ، ومن يرحلون من المشرق إلى الأندلس بالعلم)[3] .

ويبدو أن أهم ماحققته الرحلات الأندلسية نحو المشرق يتمثل في كونها عملت على نقل الذاكرة المعرفية المشرقية عامة إلى أهل الأندلس وجعلتهم يعتزون بانتمائهم للعروبة والإسلام رغم أن الموقع الجغرافي حكم عليهم

---

(١) ظهر الإسلام ، أحمد أمين ، ٣ / ٢٤ .

(٢) رسائل ابن حزم ، تحقيق د . إحسان عباس ١ / ٤٢ .

(٣) تاريخ الأدب العربي في الأندلس ، د . عبدالعزيز عتيق ص ١٥١ .

بالإقصاء ولذلك لم تلغ شخصيتهم بين أبناء هذا الوطن الجديد ، وشكل ذلك قوة معنوية ساعدتهم على أن يقاوموا الحقد الإسباني الصليبي حتى في أحلك فترات حياتهم ، وإن المتصفح لكتب التراجم الأندلسية التي تحدثت عن هذه الرحلات يستشف مدى الأثر الذي تركه المشرق في الأندلس ، ويتبين مدى الصلة التي كانت تربط بينهما وإن كانا في الإدارة والسياسة في بعد واختلاف » [١] .

ومن الأندلسيين الذين نقلوا مايتعلق بعلوم اللغة القاضي أبو عبدالله محمد القرطبي (ت ٦٢٠هـ) الذي اشتهر باستيعابه علوم الدين واللغة والسيرة النبوية [٢] يقول عنه ابن حيان بأنه « كان من آدب الناس في زمانه ، وأقومهم على لسان العرب وأحفظهم للغة ، وأعلمهم بالشعر ، رحل إلى المشرق ، وحج ودخل بغداد وروى عن الأكابر ثم عاد إلى الأندلس » [٣] .

وهكذا نجد من العلماء المؤدبيين قد عملوا على نقل التراث اللغوي المشرقي إلى الأندلس حتى تبقى وفيه لاتجاهاته ومدارسه تأكيدا منها على انتمائها نحو المشرق ، وهذا ماقصده الدكتور حكمت الألوسي حينما قال : « وممن اهتم بنقل التراث المشرقي إلى الأندلس خلال هذين القرنين طائفة من

(١) تاريخ النقد الأدبي في الأندلس ، د. محمد رضوان الداية ، ص ٥٢ .

(٢) المغرب في حلى المغرب ١ / ١٠٦ .

(٣) المصدر السابق ١ / ١١٤ .

المؤدبين رحل معظمهم إلى المشرق فاستوعبوا الكثير مما فيه من العلوم والآداب ثم عادوا ليدرسوا ماحصلو عليه في جامع قرطبة »[١] .

ومما لاشك فيه أن هؤلاء العائدين إلى الأندلس قد أثروا في الحياة الثقافية الأندلسية وطبعوها بطوابع مشرقية كما أثروها بما حملوه من نفيس الكتب وجليل العلم والمعرفة ، وإلى هذا يشير د . أحمد هيكل حيث يقول : « من أهم العوامل التي دفعت الأندلس إلى الخطو نحو حياتها الثقافية رجوع أول فوج من الأندلسيين الدارسين في المشرق فقد كان هؤلاء بمثابة أعضاء البعثات الذين يتعلمون خارج بلادهم ، ثم يعودون ليشيعوا ماتعلموا بين أهليهم وفي أرجاء وطنهم »[٢] .

وفي ذلك تطبيق لحديث الرسول محمد صلى الله عليه وسلم حيث يقول : « من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة » رواه مسلم .

ويؤكد ذلك د . عبداللطيف مؤمن في مقال « رحلات الأندلسيين نحو المشرق مقياس الاستيعاب المعرفي » « إن المعيار الذي كان الأندلسيون يقومون به مدى علم العالم أو إبداع الأديب هو ترحله صوب الشرق وتتلمذه على شيوخه وأدبائه ، وإجازتهم إياه لأنه بذلك يحصل على صك اعتراف بأنه عالم الأندلس المبجل أو أديبها المبدع أو مفكرها الألمعي »[٣] .

---

(١) فصول في الأدب الأندلسي د / حكمت الألوسي ، ص ٥٩ .

(٢) الادب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلاقة د . أحمد هيكل ص ٧٥ .

(٣) مقال رحلات الأندلسيين نحو المشرق عن كتاب أدب الرحلة والتواصل الحضاري ص ٢٨٦ سلسلة ندوات - مكناس ، المغرب .

الفصل الثامن

كُتاب الرحلة الحجازية وآثارهم

كُتاب الرحلة الحجازية وآثارهم

إن طبيعة الثقافة الإسلامية التي تثقف بها أهل المغرب والأندلس منذ إسلامهم داعية بالضرورة إلى الرحلة أوالهجرة ، ومشجعه عليها ، وإن إقامة الدولة الإسلامية الأولى كان بفضل الله ثم بفضل هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدنية بل قد سعى الصحابة قبل ذلك إلى الهجرة إلى الحبشة ، بل إن التاريخ الإسلامي ليس إلا تاريخاً بالهجرة قال تعالى : (قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتها جروافيها) [1] .

وقوله تعالى (**ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغماً كثيراً وسعة**)[2] .

وما أكثر ما في القرآن من آيات في هذا المعنى وفيماهو قريب منه ، ذلك أن فتح مكة أنهى الهجرة الدينية وفرضها على المسلمين (لاهجرة بعد الفتح) كما في الأحاديث الشريفة ، لكن الهجرة ظلت جزءاً من البنية الذهنية الإسلامية ، متمثلة في الحج والمجاورة في طلب العلم وفي الفتوح فالرحلة في الإسلام أمر معروف لا بالنسبة للمسلمين فقط بل صار معروفاً أيضاً طال غير المسلمين فقد استغرب أحد النصارى لما رأى أحمد بن قاسم الحجري بمدينة بوردو فخاطبه قائلاً :

---

(١) سورة النساء آية ٩٧ .

(٢) سورة النساء آية ٩٩ .

« يافلان تعجبت منك ، كيف أنت على دين المسلمين ؟ قلت له لماذا ؟ قال عندنا في كتبنا ان المسلمين يزورون مكة ليروا نبيهم » [(١)] (فالرحلة إلى الحج إضافة إلى كونها ركنا من أركان الإسلام فإنها تؤدي كذلك ادواراً أخرى على مستوى الرمز لأنها تمكن من الألتفاف والتضامن وتجسيد القوة) [(٢)] ، ويرى د . شوقي ضيف (أن سيره قوافل الأندلسيين إلى مكة سنوياً لأداء فريضة الحج وزيارة القبر النبوي الشريف هي التي جعلتهم يولعون بالرحلة والأسفار في العالم الإسلامي وما وراءه من بلدان وشعوب في آسيا وأوربا وخاصة في أنحائها الشرقية لاكتشاف المجهول من تلك الشعوب ومابديارهم من ظواهر كونية ، وأيضاً فإن تعدد المراكز الثقافية في العالم العربي وفي الأندلس نفسها منذ عصر أمراء الطوائف حبب الرحلة إلى المشغوفين بالعلم والعلماء) [(٣)] .

---

(١) ناصر الدين على القوم الكافرين ، أحمد قاسم الحجري الأندلسي المعروف بأفوقاي ص ٨٧ .

(٢) مقالة حول أوربا من خلال / رحملات مغربية ، د . عبدالمجيد القدوري ، كلية الآداب مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية [جامعة محمد الخامس ، العدد ١٥ ، السنة ١٩٨٩م جامعة محمد الخامس. المغرب .

(٣) عصر الدول والأمارات في الأندلس ، د . شوقي ضيف ، ص ٥٢٦ .

والرحالة الأندلسيون تعاملوا مع الرحلة كظاهرة إنسانية انطلاقاً من القبلية المتنقلة ومن طبيعة الصحراء التي تدفع إلى الرحلة ، ولكن التطور الحضاري والاقتصادي والثقافي طبع الرحلة بطابع جديد واتسع مجالها فعرف المغاربة أوربا الغربية وهاجروا إلى أفريقيا والأندلس ، وارتبطوا ببعض بلادها بالزواج وهاجروا إلى الشرق العربي وكانت لهم رحلات كثيرة إلى الحجاز .

وفي هذه الحالة فإن مفهوم الهجرة يختلط بمفهوم الرحلة ، وتصير الرحلة المطولة إلى المشرق هجرة إليه ، وقد تستغرق أعواماً طويلة وفي الحقيقة بأن رحلة الأندلسيين وإلى المشرق ليس هجرة إلى الخارج ، بالمعنى الدقيق لهذا اللفظ ، إنها إلى الهجرة الداخلية أقرب منها إلى الهجره الخارجية ، وذلك أن دار الإسلام كانت مفتوحة على مصراعيها دون حواجز سياسية أو قانونية تذكر تعوق الحجاج أو المجاورين أو طلبة العلم والعلماء ، ولم تكن الهجره أو الرحلة تخلق مشاكل اجتماعية أو حضارية أو سياسية لأن المسلم أيا كان فهو جزءاً من دار الإسلام الكبرى هذه ، وكان يحس أن أكبر جواز له وأهم قنصيلة أو سفارة تحميه هي انتماؤه إلى دار الإسلام بل لم يكن غريباً ان نجد العالم يقيم في رواق المغاربة في الأزهر مايشاء من الوقت « بل يشغل مناصب علمية كبيرة ، كأبي الخطاب ابن دحيه (٦٣٣هـ) في القاهرة »[(١)] ولايشعر العالم الإندلسي بنوع من الغربه والشعور بالحزن لأنه اينما اتجه في رحلته فإنه بين أهله واخوانه ، وقد اعتمد الأندلسيون بادئ ذي بدء على التراث الإسلامي بالمشرق ، وكان هذا

---

(١) التعريف بالقادري ابن سودة ، عبدالله محمد بن الطالب بن الحاج السلمي المرداسي ، تحقيق جعفر ابن الحاج ، السلمي ، مطبعة الكتاب العربي ، دمشق ، ١٩٩١م .

الاعتماد أما عن طريق استقدام العلماء المشارقة إلى الأندلس ، وإما عن طريق رحلة الأندلسيين إلى المشرق للتزود بالعلم والتحصيل في مختلف أنواع العلوم والآداب ، وكان أهل الأندلس أحرص الناس على التزود بالعلم ويذكر المقري في كتابه « نفح الطيب » أن الجاهل الذي لم يوفقه الله للعلم في الأندلس ، كان يجهد نفسه ليتميز بصنعه ويربأ بنفسه أن يرى عالة على الناس .. إذ إنهم كانوا يعدون ذلك في غاية القبح والعالم عندهم معظم من الخاصة والعامة على السواء ويشار إليه ويحال عليه وينبه قدره وذكره عند الناس .

ولم تكن بالأندلس مدارس تعين على طلب العلم ، كما كان الحال في المشرق وكان إقبال الناس على شراء الكتب واقتنائها أمراً معروفاً في الأندلس ، ومانعرفه عن ولع الحاكم المستنصر بجمع الكتب أكبر دليل على ذلك وقيل إنه جمع مالايوصف كثرة وتفاسة حتى أن مكتبته بلغت نحو من ٤٠٠ ألف مجلد وإنهم لما نقلوها أقاموا أشهر في نقلها وكان يستحب المصنفات من الأقاليم والنواحي »[١] .

وبذلك يصعب تتبع الرحلات العلمية التي انتشرت في هذا العصر ، إلا أنه من الضروري أن نقول بأن هذه الرحلات كانت إلى المشرق وإلى الأندلس في آن واحد .

---

(١) دائرة معارف الشعب ، الجزء الثاني ، ص ١٩٤ .

(وكان لهذه الرحلات العلمية أثر كبير في ربط الصلات بين علماء المشرق وعلماء المغرب ، فكان علماء المشرق على اتصال مستمر بما يجري في المغرب والعكس صحيح) [1]

ولم تكن هذه الاتصالات بطبيعة الحال ، الاتجسيماً لتلك العلاقة التي كانت تربط بين علماء الأندلس والحجاز ، ومما ساعد على هذه الاتصالات بين المشارقة والأندلسيين الاستقرار السياسي وما كان له من أثر في تنشيط الحركة الثقافية والأتصال بما جد في المشرق اقول إلى جانب كله فإن هناك عاملاً آخر كان له أثر الكبير في ازدهار الحياة الثقافية وهو تشجيع الحكام بكل طبقاتهم ، أمراء وفقهاء ، لطلاب العلم والعلماء وهذا أمر طبيعي فالدولة المرابطيه انطلقت كما هو معلوم من رباط وهو مكان للتربية والتعليم بكل ماتعنية كلمة (التربية) ، لذلك عمل المرابطون على تشجيع الأدباء ورعاية العلماء .

ونشطت الحياة الثقافية والأدبية ، ونشطت حركة التأليف ، فألفت في هذا العصر أمهات الكتب الأدبية والفقهية والحديثية .

ولما كان القرآن الكريم أساس كل دراسة فقهية وغيرها من الدراسات فقد أهتم طلبة العصر بالقرآن والحديث ، فشدوا الرحال في طلب الحديث بحثاً عن أقوم الأسانيد وأعلاها .

---

(١) القاضي عياض الأديب (الأدب المغربي في ظل المرابطين) عبدالسلام شقور رسالة علمية ، جامعة محمد الخامس بالمغرب ، ص ٣٩ .

وقد عرف عن المسلمين في العصور الإسلامية الزاهية برحلاتهم المتعددة والطويلة ، وقدموا خلالها للتراث الإسلامي ثروة عظيمة من المعلومات القيمة التي صارت منبعاً وأساساً للدراسات العلمية والأدبية .

وقد تميزت كتابات الرحالة الأندلسيين بالشمول والسعة والعمق ودقة المعلومات ، ذلك لأن معظمهم كانوا على جانب كبير من الثقافة والعلم ، واعتمدوا على الدراسات المدنية أي السفر والمشاهدة ، والاتصال المباشر لمعرفة حقيقة البلدان والتعرف على خصال الناس ، وأحوال المجتمع .

ولما كان البيت الحرام هو مقصد كل المسلمين ، والكعبة الشريفة من المكانة الروحية السامية في نفوسهم ، وما للرسول صلى الله عليه وسلم من المنزلة العالية عندهم جميعاً ، فقد كانت مكة والمدينة من أولى مقاصد الرحالة المسلمين وكان لهاتين المدينتين الخالدتين النصيب الأوفى في كتابات اولئك الرواد .

فلابدع « إذن أن تستكمل الجزيرة العربية مسارها الحضاري في تاريخ المستقبل لأنها هي النبع الوحيد الذي يفيض ليغمر تواريخ الإنسان في كل مكان وخاصة في المعمور الذي رفرفت عليه ألوية الإسلام

ومن خلال اطلاعي على كتاب الرحلة الحجازية وآثارهم نجد مدى

إسهام الفكر المغربي والأندلسي في إبراز مفاخر تراثنا وسر تقدمنا ومن هؤلاء الرحالين :

- **الفقيه ابوبكر محمد بن العربي** وهو محمد بن عبدالله بن محمد بن عبدالله بن أحمد العربي المعافري ، المكنى بأبي بكر ولد في سنة(٤٦٨هـ) ١٠٧٥م في أشبيله ، وتوفي في فاس سنة (٥٤٣ هـ) [١] والذي كانت تنتمي عائلته إلى رجال الدواوين المثقفين في دولة بني عباد في إشبلية وكان والده من فقهائها اسمع في أشبيلة على علمائها وكانت له مكانه عند آل عباد ، وعندما أنقضت دولتهم خرج إلى الحج في سنة ٤٨٥ هـ/ ١٠٩٢م، مع ابنه محمد وكانت سنه آنذاك حوالي سبعة عشر عاماً ، فلقي شيوخ في مصر ، وقيد الحديث عنهم ، ثم ذهب إلى بغداد وعاد إلى مصر فأقام في الاسكندرية ، حيث توفي والده، ودفن هناك سنة(٤٩٣) ١٠٩٩م، فغادر إلى الأندلس وسكن بلده وترك مصنفات فقهيه وأدبية (وقد دامت رحلته إحدى عشرة سنه ابتدأت سنة (٤٨٥هـ) وحج سنة

---

(١) تاريخ قضاة الأندلس ، النباهي ، ص ١٠٦ ، أزهار الرياض ، ٣ / ٦٣ .

(٤٨٩هـ) وهو يقول عن قصده من سفره : « رحلت طالب علم وحج »[١].

أما كتابه (ترتيب الرحلة للترغيب في الملة) فهو وإن كان من مؤلفات ابن العربي المفقوده فإن صاحبه لخصه في مقدمه كتابه « قانون التأويل » وقد اتجهت عناية بعض الباحثين والمحققين إلى دراسته وتحقيقه . وقد قام الدكتور محمد السليماني بتحقيقة مقدما له بدراسة هامة مثريا نصه بتعاليق إضافية ، ثم حقق مختصراً له الأستاذ سعيد اعراب ضمن كتابه مع(القاضي أبي بكر العربي) وممن نوه بهذا الكتاب ابن خلدون في مقدمته ، ومن المعاصرين الروس كراتشوفسكي في كتابه « تاريخ الأدب الجغرافي العربي » فهو يقول عنه :

« يعتبر ابن العربي أول من وضع أسس الرحلات بالمغرب الإسلامي ، فهو أول مغربي وصف رحلته إلى المشرق وصفاً دقيقاً تتبع مراحلها وذكر المشاهد التي زارها ، ودون الأحداث التاريخية التي عاشها والحركات العلمية والحضارية التي شاهدها .. ولم يقتصر على ذكر الشيوخ

---

(١) رحلة ابن العربي مقدمة الدكتور محمد السليماني لتحقيق « قانون التأويل » ص ٧٧, مابعدها .

ورواياتهم كما فعل أصحاب البرامج والفهارس » [1] .

وقال عنه ابن العماد في شذرات الذهب عندما ترجم له : (رحل إلى الشام وبغداد والحجاز ، ثم عاد إلى بغداد ثم ذهب إلى مصر والاسكندرية ، ثم عاد إلى الأندلس بعلم كثير » وأضاف : « ابن العربي مفرط في الذكاء ، عالم فاقد متبحر قادر على نشر سائر علومه ، مع الأدب وحسن المعاشرة ولين الجانب .

قال السيوطي في طبقات الحفاظ : « برع في الأدب ، وكان ثاقب الذهن كريم الشمائل ، كما كان شديداً في الحق ، ينتصر للمظلوم قد بلغ رتبة الاجتهاد » .

وقد تبحر ابن العربي في المذهب المالكي حتى صار به علماً وبه تبحر في سائر العلوم فوعي الأصول وأحكم الفروع وحفظ قضايا الصحابة والتابعين ، مع دقه النظر في تخريج المسائل [وبصماته واضحة في علوم الدين والدنيا فقد صنف في الحديث والفقه والأصول والتفسير والأدب والتاريخ وكان أبوه من علماء الوزراء) [2] .

---

(١) الأندلس قرون من التقلبات والعطاءات ، ندوة الأندلس ، مقال د . محمد أبو الجفان ص ٤٠٧ .

(٢) قانون التأويل ، القاضي أبي بكر محمد بن عبدالله العربي المعافري الأشبيلي من كلمة المقدمة للشيخ سيد سابق ص ١٤ .

أنتاجه العلمي :

من مؤلفاته العلمية الكثيرة منها :

١ - « الإنصاف في سائل الخلاف » عشرون جزءاً .

٢ - عارضة الأحوذي شرح جامع الترمذي » ومعنى العارضة : القدرة علـــى الكلام .

٣ - العواصم من القواصم .

٤ - أحكام القرآن والإمام القرطبي نفسه مع إقامته يرجع إليه ويعتمد عليه ، (ولو لم يكن لابن العربي من جهد من ثمار إلا تأليف كتاب تفسير القرآن الذي بلغ ثمانين مجلداً لكفاه فخراً ولكن للأسف لم يعثر على أثر)[١] .

٤ - قانون التأويل : وهو يتناول القواعد المنهجية لطلاب العلوم الشرعية ، وكان هذا الكتاب دفيناً في خزانة المخطوطات حتى قيض الله له الشيخ محمد السليماني ، فحققه وعلق عليه وأضاف إليه إضافات تظهر غامضه وتجلي دقائقه وخرج أحاديث وقارن بين الروايات .

---

(١) مقدمة قانون التأويل ، كلمة الشيخ سيد سابق ، ص ١٥ .

ابن جبير

اسمه ونسبه وحياته :

هو محمد بن أحمد بن جبير بن سعيد بن جبير بن محمد بن سعيد بن جبير بن محمد بن مروان بن عبدالسلام بن مروان بن عبدالسلام بن جبير الكناني [١] والكناني نسبة إلى كنانة ، والمنتسبون إلى كنانة من بعض العلماء والفضلاء كثيرون في الأندلس [٢] دخل جده عبدالسلام إلى الأندلس في ولاية بلج بن بشر القشيري سنة ١٣٢ هـ ، ونزل في شدونه[٣] ، ثم إن أهله انتقلوا إلى شاطبة [٤] ثم سكنوا بلنسية [٥] وينتهي نسبة إلى نزار ابن معد بن عدنان [٦] .

ولد محمد بن جبير البلنسي الأصل الغرناطي الاستيطان بمدينة بلنسية سنة ٥٤٠ الموافق ١١٤٥م وتوفي بالإسكندرية ٦١٤هـ/ (١٢١٧م) [٧]

---

(١) الإحاطة في أخبار غرناطة ، ابن الخطيب ، ج٢ ص ٢٣٠ .

(٢) نفح الطيب : ١ / ٢٩١ .

(٣) شدونة : مدينة من مدن الأندلس مائلة إلى القبلة [معجم البلدان باب الشين والذال ومايليهما] .

(٤) شاطبة : مدينة في شرقي الأندلس وشرقي قرطبة / معجم البلدان باب الشين والألف ومايليهما] .

(٥) بلنسية : مدينة في شرقي الأندلس ، وشرقي قرطبة / معجم البلدان باب الشين والألف ومايلهما ، وتاريخ الأدب العربي ، ج٥ ، عمر فروخ ، ص ٦٠٨ .

(٦) تراجم إسلامية شرقية واندلسية ، محمد عبدالله عنان ، ٣٢٨ .

(٧) الرحلة والرحالة المسلمون ، د .أحمد رمضان أحمد ، ص ٣٢٣ وتاريخ . الأدب العربي ، ج١ ص ٦٠٨ .

ودفن على كوم عمرو بن العاص [١] . ويرجح الدكتور شوقي ضيف أن يكون مسجد [سيدي جابر] فيها مسجده وأن يكون العامة حرفوا اسمه مع الزمن [٢] .

وقد اختلف المؤرخون في مولده ، فجعله لسان الدين بن الخطيب في سنة ٥٣٩هـ [١١٤٤م] وجعله المقري ليلة السبت عاشر ربيع الأول سنة ٥٤٠هـ [١١٤٥م] وارتضى معظم المؤرخين قول المقري ، واتفق المؤرخان على أن ذلك المولد كان ببلنسية على مصب نهر الوادي الكبير ، ولكن آخرين قالوا إنه ولد بشاطبة [٣] [وهو رحالة مشهور اجتهد في تحصيل العلوم حتى أصبح أديباً مجيداً ، وكان ذا حس مرهف يقرض الشعر في شتى الأغراض ولاسيما في الحكمة وتجارب الزمان] [٤] [سكن غرناطة ثم مالقه ثم سبته ثم فاس منقطعاً لسماع الحديث ثم رحل من سبتة بعد موت زوجته] قيل لما دخل بغداد اقتطع غصناً نظيراً من بساتينها فذوي في يده فأنشد .

لا نغترب عن وطن	واذكر تصاريف النوى
أما ترى الغصن إذا	مافارق الأصل ذوى [٥]

---

(١) التكملة لوفيات النقله ، ٤ / ٢٨٨ .

(٢) الرحلات ، د . شوقي ضيف ، ص ٧١ .

(٣) مع ابن جبير ، د . حسين نصار ، ص ٢٣٧ .

(٤) دائرة معارف الشعب ، البستاني ، ج١ ، ص ٣٠٧ .

(٥) المرجع السابق ص ٢٢٤ .

علمـــه :

نزل أبوه شاطبة ثم استوطن هو جيان [1] ثم غرناطه ثم فاس فالاسكندرية وأقام في أثناء ذلك بسبته [2] ومالقة [3] وغيرهما حسبما اقتضته الأحوال [4] . وقد كان أبوه أحمد من كتاب شاطبة ورؤسائها وله منزلة اجتماعية مرموقة ، وآراد هذا الأب أن يصوغ ابنه على مثاله فرعاه رعاية تامة فكان له أول أستاذ أخذ عنه العلم ثم دفع به إلى المعلمين المحترفين [5] نذكر منهم على سبيل المثال أبا الحسن بن محمد بن أبي العيش الذي أخذ عنه القراءات [6] وأخذ العربية عن أبي الحجاج بن يبقا ابن يسعون وأخذ العلم بسبته عن أبي عبدالله بن عيسى التميمي السبتي وأجاز له أبو الوليد يوسف بن عبدالعزيز الدباغ [7] وعندما بلغ ابن جبير السن التي يستطيع فيها أن يتفرد بحياته ، ويضطلع بأعبائها . احترف الكتابة وقد نزح في شبابه إلى جيان واستوطنها مدة تزوج خلالها من أم

---

(١) مدينة واسعة بالأندلس / معجم البلدان والباء الجيم والباب ومايليهما .

(٢) سبتة : مدينة لطيفة من مدن المغرب وموقعها على البحر وفيها البساتين وماؤها عذب .

(٣) سورة الأرض لابن حوقل ، ص ٧٩ .

(٤) مالقه : مدينة في الأندلس عامرة تقع على ساحل البحر / معجم البلدان باب الميم والألف ومايليها والذيل والتكملة ، السفر الخامس ، القسم الثاني ، لأبي عبدالله محمد الأنصاري المراكشي ، ص ٥٩٦ .

(٥) بحث د . حسين نصار حول ابن جبير ، مجلة تراث الإنسان ، المجلد الأول السنة الثالثة .

(٦) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، للمقري ٢ / ٣٨٢ .

(٧) الذيل والتكملة السفر الخاص ، ٢ / ٥٥٦ .

المجد عاتكة بنت الوزير أبي جعفر الوقشي ، ثم غادرها إلى غرناطة واستقر بها ، ودرس القراءات والحديث وبرع في الآداب وبرز في الكتابة والنظم ، وكتب لوالي غرناطة ، ونال جاهاً وثراء ، ثم تزهد واعتزم الرحلة إلى المشرف لقضاء فريضة الحج وكان يومئذ في نحو الأربعين من عمره [١] .

شغف بعلوم الدين وله ديوان شعر ورسائل نشرية أشهر كتبه « تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار » ، ثم أطلق عليه اسم [الرحلة] [٢] .

تلقى علوم الأدب والشعر في شاطبة [٣] وأقام في سبتة ومالقة في أوقات مختلفة [٤] . وقد ذكر لنا سلسلة نسبه الرحالة التجيبي[٥] ضمن ترجمته له فقال : « هو الأديب الفاضل الزاهد أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير » .

فعمل لبعض الأمراء من الموحدين الذين كانوا يسيطرون على الأندلس ، في ذلك الوقت ، وكان أشهر من اتصل به ابن جبير هو - أبو سعيد عثمان بن عبدالمؤمن الذي كان والياً على ولاية سبتة

---

(١) تراجم إسلامية شرقية .. وأندلسية ، محمد عبدالله عنان ، ص ٣٢٨ .

(٢) مجلة الفيصل ، العدد ٨٤ ، السنة ١٤٠٤هـ .

(٣) تاريخ الأدب العربي ، عمر فروخ ، ج٥ ، ص ٦٠٨ .

(٤) الذيل والتكملة ٥ / ٥٩٥ ، الأحاطة ٢٣٠ .

(٥) هو أبو القاسم بن يوسف التجيبي السبتي صاحب الرحلة المعروفة باسم مستفاد الرحلة والاغتراب والمولود (٦٧٠ هـ) وهو من أوائل الذين ترجموا لابن جبير .

وطنجة سنة ٥٤٩ [١] ولم تقتصر حياة ابن جبير على الكتابة وحدها بل مارس التدريس في فاس وكان منقطعاً إلى سماع الحديث والتصرف ورواية ماعنده [٢] ولما قام برحلاته المعروفة التقى بكبار العلماء كابن الجوزي في بغداد وصدر الدين محمد بن عبداللطيف الخجندي رئيس الشافعية بأصبهان ، وكثير من العلماء بمكة ودمشق . وقد شهدوا له جميعاً بالفضيلة والعلم [٣] .

أما التلاميذ الذين تأثروا به فهم كثيرون منهم على سبيل المثال : أحمد ابن عبدالمؤمن الشريشي ، شارح مقامات الحريري في المغرب [٤] والحافظات أبو محمد المنذري وأبو الحسين يحيى على القرشي بالقاهرة، وفخر القضاة ابن الجياب وابنه جمال القضاه في الأسكندرية .

وبعد جولاته الطويله في الأقطار الإسلامية ألقى عصاه في الأسكندرية فاقام بها يحدث ويؤخذ عنه وإلى أن لحق بربه سنة ٦١٤هـ [٥] .

أخذ العلم عن أبيه وعن جلة علماء عصره منهم : أبو الحسن علي بن أبي العيش (المتوفى بعد سنة ٥٦٠هـ) [٦] وابن الأصلي وأبو الحجاج

---

(١) مجلة تراث الإنسانية ، السنة الثالثة المجلد الأول ص ٢٣٧ .

(٢) الإحاطة في أخبار غرناطة ، ابن الخطيب ٢ / ٢٣٢ .

(٣) المصدر السابق ٢ / ٢٣٣ .

(٤) مجلة تراث الإنسانية المجلد الأول السنة الثالثة ٢٣٨ .

(٥) الذيل والتكملة الجزء الثاني ص ٦٠٧ والإحاطة في أخبار غرناطة ٢٠ / ٢٣٢ - ٢٣٣ .

(٦) غاية النهاية ٥ / ٥٧٥ .

يوسف ابن يسعون (توفي في حدود ٥٤٠ هـ) [١] وأبو محمد القاسم بن عساكر (ت ٦٠٠هـ) [٢] والتقى في رحلاته بأكثر علماء عصره في مكة المكرمة وبغداد ودمشق وهران [٣] وتتلمذ خلف كثير من المغرب والأندلس من مشاهيرهم الحافظ وأبو محمد المنذري ت ٦٥٦ [٤] صاحب التكملة لوفيات النقلة ، والحافظ أبو الحسين علي القرشي[٥] وأحمد بن عبدالمؤمن الشريشي ت ٦١٩هـ[٦] صاحب الشروح الكثيرة .

عاش ابن جبير في ظل الموحدين وأتيحت له مجالات التعلم والثقافة في أسرته وشيوخ عصره وكانت الدولة الموحدية (٥١٤ هـ - ٦٤٠هـ) قد بسطت يدها على المغرب والأندلس وبلغت أوج عظمتها في القوة الحربية والسياسة والحضارية فاستطاعت أن تضع حداً للهجمات الأسبانية واشتهرت معركة الأرك سنة ٥٩١هـ التي انتصروا فيها ، وقد بدأ تراجع هذه الدولة إثر معركة العقاب (٦٠٩هـ) والتي كانت السبب في سقوط

---

(١) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، السيوطي ٢ / ٣٦٢ .

(٢) نفح الطيب ٢ / ٣٨٣ ، تراجم رجال القرنين السادس والسابع ص ٤٧ .

(٣) الذيل والتكملة ٥ / ٥٩٧ .

(٤) التكملة لوفيان النقلة ٤ / ٤٨٩ .

(٥) نفح الطيب ٢ / ٤٨٩ .

(٦) لإحاطة ٢ / ٢٣٣ ، نفح الطيب ١ / ١١٥ .

دولة الموحدين . وفي المشرق الإسلامي كانت الحروب الصليبية قائمة ، ولما شاع الخبر المبهج بتحرير صلاح الدين لبيت المقدس (سنة ٥٨٣هـ) قام ابن جبير برحلته الثانية .

ازدهرت الأندلس في عصر الموحدين في الحياة الثقافية والشعرية ، وبلغت مكانا عالياً حتى قصدتها سفارات أسبانيا النصرانية والدول الأوربية للصداقة وعقد المعاهدات وطلب المعونة [١] .

وقد أشار بالنشياء إلى نضوج الشعر في عصر ابن جبير ، بل بلغ من كثرة العلماء الذين هنؤوا أبا يوسف يعقوب المنصور بقصائد من الشعر الفصيح أو الرجل الدارج أن أمر بأن لا ينشدوه والا البيتين الأولين من قصائدهم [٢] ومن شعراء عصره : الرصافي البلنسي ت (٥٧٢هـ) وأبوبكر محمد بن عبدالملك بن زهر (ت ٥٩٥هـ) ، كذلك عرف في عصره أبا جعفر ابن سعيد الذي كان شاعراً لعثمان بن عبدالمؤمن وكانت لابن جبير صلات أدبية بشعراء عصره ، وجرت بينه وبين طائفة أدباء عصره مخاطبات ظهرت فيها براعته وإجادته [٣] (وقرأ على ابن بشكوال كتاب الصلة ، وولي قضاء غرناطة وقال ابن الزبير وقفت على جزء ألفه في شيء من أخبار ابن وحالة في أخذه وعلمه [٤] .

---

(١) التاريخ الأندلسي ، ٤٩٩ .

(٢) تاريخ الفكر الأندلسي بالنسيا ، ص ٢٣ .

(٣) الذيل والتكملة لكتابي الموول والصلة ، المراكشي ٥ / ٦٠٧ .

(٤) الإحاطة في أخبار غرناطة ، ابن الخطيب ، المجلد الثاني ، ص ٢٣١ .

شخصيته وأخلاقه :

نعتت كتب التراجم ابن جبير بنعوت كثيرة تنم عن الصلاح والورع والفضل فقالوا : إنه المقرئ والإمام الرئيس [1] والفقيه الزاهد المنقطع إلى الله [2] ووصفه ابن الخطيب بأنه من علماء الأندلس بالفقه والحديث والمشاركة في الآداب [3] وذكر تلميذه المنذري أنه : كان من أهل العلم والديانة والفضل والصيانة [4] ، ومما يؤكد على صفاته المتقدمة القصة التي رواها صاحب الملتمس وجعلها أغرب ما يحكى في المروءة وقضاء الحوائج والسعي في حقوق الإخوان [5] يقول صاحب النفح « كان ابن جبير منهل المروءات عاشقاً في قضاء الحوائج والسعي في حقوق الإخوان المبادرات لإيناس الغرباء وفي ذلك يقول ابن جبير عن نفسه :

يحسَبُ الناسَ بأني متعبٌ ... في الشفاعات وتكليف الورَى
والذي يتعبهم من ذاك لي ... راحةٌ في غيرها لَنْ أفكَرا
وبودي لو أقضي العمر في ... خدمةَ الطلاب حتى في الكرى [6]

والحق إنه شعور إنساني نبيل ، ينسى ابن جبير ذاته ليذوب في خدمة

---

(١) شذرات الذهب ٥ / ٦ .

(٢) رحلة العبدري ص ٢٦ .

(٣) الإحاطة في أخبار غرناطة ٢ / ٢٣١ .

(٤) التكملة لوفيات النقلة ٤ / ٢٨٩ .

(٥) نفح الطيب ٣ / ٢٩٥ .

(٦) نفح الطيب ٢ / ٤٨٨ .

الناس وقضاء حوائجهم حتى يبلغ الحماس عند ابن جبير مبلغاً في إسداء المعروف والعمل الصالح ، وبوده أن يخدم الناس في أي الأوقات .

وكان ابن جبير على جانب عظيم من المزايا العالية والخلق الرفيع فوصفه أحدهم فذكر « بأنه كان أديباً بارعاً ، وكاتباً ، بليغاً وشاعراً مجيداً نزيه الهمة كريم الأخلاق ، أنيق الطريقة في الخط [١] .

ينعته ابن الخطيب فيذكر بأنه (كريم الأخلاق ذو نظم فائق ونشر بديع كلامه سهل مرسل ، ومحاسنه ضخمة ، وذكره شهير وله حكم مستجادة [٢] .

ولم يكن ابن جبير بعيداً عن مجتمعه ، زاهداً في إخوانه وإنما جرت بينه وبين طائفة كبيرة من أدباء عصره مخاطبات ظهرت فيها براعته [٣] .

ومن خلال رحلته وماتبقى من شعره نقف على شخصيته العالم الفقيه المتصل اتصالا مباشراً بمجتمعه ، وأما زهده في أخريات أيامه فلا يمثل سلوكاً معيناً كان يعيشه ثم أقلع عنه ، كما لايمثل إقبالاً على المجون والتهتك وتخلياً عنه فيما بعد ، إنما يمثل زهد الفقيه المتحرج . والأمر يبدو من خلال الأخبار التي رويت عنه والأشعار التي قالها .

---

(١) الذيل والتكملة ، لكتابي الموصول والصله القسم الثاني ، ص ٦١٧ .

(٢) الإحاطة في أخبار غرناطة ٢ / ٢٣١ ، ٢٣٤ .

(٣) الذيل والتكملة ٥ / ٦٠٢ .

ومن الأحداث البارزة في حياته ، حادث شربه ، فقد ذكر المقري أن ابن جبير كتب في شبيبته عن السيد أبي سعيد عثمان عبدالمؤمن صاحب غرناطة ، فاستدعاه لأن يكتب له كتاباً وهو على شرابه فمد يده إليه بكأس فأظهر الانقباض وقال : ياسيدي ماشربتها قط ! فقال « والله لتشربن منها سبعاً فلما رأى العزيمة شرب سبع أكؤس فملأ له السيد الكأس من الدنانير سبع مرات وصب ذلك في حجره ، فحمله [1] منزله وأضمر أن يجعل كفارة شربه الحج بتلك الدنانير ثم رغب إلى السيد وأعلمه أنه حلف بأيمان لاخروج له عنها أنه يحج في تلك السنة فأسعفه وباع ملكاً وتزود به وأنفق تلك الدنانير في سبيل البر [2] فمدلول الحادثة - إذا صحت - كبير وأثرها في نفسه عميق إذ إن شعوره بالذنب دفعه إلى التكفير عن خطيئته وقد كان محرجاً ومضطراً لإطاعة أمير الموحدين ، مخلف بعدها بأيمان غليظة أن يحج ، وباع ملكاً له ، أما تلك الدنانير التي لاتمثل مالا طيبا بحكم اقترانها بالخمرة ، فإنه تصرف فيها ولعل نزعة الزهد رسخت عنده بعد هذه الحادثة ، ولم يلتفت الزهاد لهذه الكبوة التي لم يستطع دفعها عن نفسه

---

(١) نفح الطيب ٢ / ٤٨٧ .

(٢) نفح الطيب ٢ / ٣٨٦ ، والتراث الجغرافي الإسلامي د . محمد محمود محمدين ، ص ١٣٩ .

وإنما ظل ذكره عطراً لدى معاصريه ، وهذا أبو عبدالله ابن الحاج المعروف بمد غليس صاحب الموشحات يثني عليه بقوله :

لأبي الحسين مكارمٌ لو أنهـا عُدّت لما فرَغَت ليوم المحشَـر
وله علَيّ فضائلٌ قد قصّـرت عن بعض نعمَاها عظام الأبحُر [1]

وقال عنه صاحب « نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب أحمد المقري / رحمه الله : « وعني بالأدب فبلغ الغاية فيه » وقال صاحب الملتمس في « حقه الفقيه الكاتب أبو الحسين بن جبير » .

وقد ترجم له خير الدين الزركلي في كتابه (الأعلام) وجاءت ترجمته له موجزة ومركزة وقال إنه توفي سنة (٦١٤هـ) وذكر : أن الرحلة لم يصنف كتابها ابن جبير ، وإنما قيد معاني ماتضمنته وتولى ترتيبها بعض الآخذين عنه وذكر الزركلي بعض كتب ابن جبير ودواوينه [2] .

---

(١) نفح الطيب ٢ / ٤٨٦ .

(٢) الاعلام ، خير الدين الزركلي ج ٦ ص ٦١٤ .

(٣) تراجم إسلامية شرقية واندلسية ، محمد عبدالله عنان ص ٣٢٨ .

وكان حديث كراتشكوفسكي عن رحلة ابن جبير الأولى ، ممتازاً حيث قال «إنه ترك لنا وصفها على هيئة « يوميات ، في كتاب منفرد وضعه بعد رجوعه حوالي (٥٨١ - ١١٨٥م) وأبدى رأيه في أن عنوان الكتاب غير معروف له بالضبط ورجع أن يكون اسمه الأصلي (رحلة الكناني) وليس هذا الترجيح نابعاً من رأيه فإنه قد تابع فيه صاحب كشف الظنون حاجي خليفة [١] .

وروى بعض هذه الحكم فكشف أن كاتبها جارى كتاب عصره في التزام السجع وتمثل بحكمه بقوله « إن شرف الإنسان ، فبشرف من إحسان، وإن فاق فبضل وإرفاق ينبغي أن يحفظ الإنسان لسانه ، كما يحفظ الجفن إنسانه ، فرب كلمة تقال تحدث عثرة لاتقال ، كم كست فلتات الألسنة الحداد » [٢] .

(وكان ابن جبر شاعراً غزير الإنتاج ، وقد ذكر المؤرخون أنه مدح من اتصل بهم من الموحدين ، فالمرجح إذاً أن ذلك كان من أول مانظم ، ولم يصل إلينا شيء من ذلك المدح ، ولكن الرجل أعجب بصلاح الدين الأيوبي منذ وطئت قدماه أرض مصر ، وعثر في كل مكان حل به على أثر من آثارة دال على عدل وحب لرعيته والمسلمين عامة وتيسيره على الحجاج فنظم فيه مدائح وصل إلينا بعضها : وربما كان من أوائل شعره أيضاً مانظمه من

---

(١)ابن جبير في رحلتة عبدالقدوس الأنصاري ، ص ٣٣ .

(٢) مع ابن جبير ، د . حسين نصارص : ٢٣٨ .

ذم الفلسفة والفلاسفة ، وتقبيح آرائهم ، واتهامهم بالخروج على الدين ، فربما كان ذلك الشعر نتيجة خصومة بينه وبين ابن طفيل ، عند اجتماعهما معاً في حاشية الأمير أبي سعيد ، وربما كان نتيجة كراهية الموحدين للفلسفة وانقلابهم على الفلاسفة بعد سنة ٥٥٠هـ [١١٥٥م] .

وطبعه ذي ديDe Coeje طبقة جديدة عام ١٩٠٧م .

رحلتـــــه :

اشتهرت رحلة ابن جبير شهرة كبيرة بين كتب الرحلات ، وخطيت بعناية الدارسين والباحثين فعدت بأجمل وأصدق رحلة في تراث الفكر الأندلسي كله [١] ولم تكن رحلته أول رحلة مدونه في الأندلس إذ أن هذا اللون من الرحلات شاع منذ عهد أبوبكر بن العربي (٤٦٨ هـ - ٥٤٢هـ) ويعد مبتكر هذا اللون في الأندلس [٢] في حين يعتبرابن جبير أعظم رحالة في القرن السادس للهجرة [٣] .

طبعت رحلة ابن جبير للمرة الأولى ففي « ليدن » عام ١٨٥٢م مع مقدمة للمستشرق « وليم رايت » ، ثم أعيد طبعها في لندن عام ١٩٠٧م بعد أن فتحها [دي غويه] وحقق المستشرق [أماري] الجزء الخامس بصقلية وترجمه وإلى الفرنسية ونشره في المجلة الأسيوية عام ١٨٤٠-١٨٤٦م وعلق على ترجمة الشيخ علي الطنطاوي ونشرت بالعربية في أوائل هذا القرن ثم في أوائل النصف الثاني منه مكتبة مصر بالفجالة ، ١٩٥٥ م .وتوفي ابن جبير في الاسكندرية عام ٦١٤هـ[وتعد قصة رحلته من أهم مؤلفات العرب ، وخاصة في تاريخ صقلية [٤] .

---

(١) تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس ص ٤١٦ .

(٢) المصدر السابق ص ٤١ .

(٣) مقال ادب الرحلات في الأسلام ، مجلة الثقافة العربية ، العدد ٩ ، ص ٢٩ .

(4) Voyaqe en : M . Mmari sicile sous le veane , de . Cuiltaane l ebon

ورحل ابن جبير ثلاث رحلات :

الرحلة الأولى :

بدأها من غرناطة في شوال سنة [٥٧٨هـ] منها وعاد إليها في ٢٢ محرم سنة [٥٨١]هـ وهي التي صنف فيها كتابه المشهور[١] واستغرقت عامين وثلاثة أشهر ونصف الشهر والتقى بنخبة من العلماء في الديار المقدسة ثم واصل سيره وبدأ يتنقل من قطر إلى آخر حتى وصل إلى أصبهان فالتقى بالعالم الفاضل - محمد بن عبداللطيف الخجندي رئيس الشافعية [٢] وقد اعجب ابن جبير بخلقة وبعلمه حتى خاطبة قائلاً :

يا من حواه الدين في عصره ... صدراً يحل العلم منه الفؤاد
ماذايرى سيدنا المرتضى ... في زائر يخطب منه الوداد
لايبتغي منه سوى أحرف ... يعتبرها أشر من ذخر يفاد
في رقعة كالصبي أهدى لها ... يد المعالي ملء ليل المداد
إجازة يورثنيها العلا ... جائزة تبقى وتفنى البلاد
يستصحب الشكر خديماً لها ... والشكر للأمجاد أسنى عتاد[٣]

(١) الإحاطة في أخبار غرناطة ، ٢ / ٢٣٢ .

(٢) الذيل والتكملة في أخبار غرناطة ، ٢ / ٢٣٢ .

(٣) نفح الطيب ، ٢ / ٣٨٢ .

وكاتب هذه السطور التي تراهن عبداللطيف الخجندي [١] .

لقد طاف ابن جبير طويلا في هذه الرحلة ، وتعرف على كثير من العلماء ، والزهاد ، ثم رجع إلى وطنه غرناطة سنة (٥٨١هـ)[٢] .

الرحلة الثانية :

بدأها من غرناطة في (١٠ ربيع الأول ٥٨٥) وعاد إليها في (١٣ شعبان ٥٨٧) [٣] فقد قام بهاعندما شاع الخبر المبهج بفتح بيت المقدس ، وسكن غرناطة ثم مالقة ثم سبتة ثم فاس عندما عاد منقطعاً إلى أسماع الحديث والتصوف وتروية ماعنده وفضله بديع ، وورعه يتحقق ، وأعماله الصالحة تذكر .

الرحلة الثالثة :

بدأها من سبتة سنة (٦٠١هـ) وكان قد بلغ الثالثة والسبعين ولم يعد بعدها فأمضى أكثر من عشرة أعوام حتى توفي سنة ٦١٤هـ[٤] وقد بدأ رحلته الأخيره أثر وفاة زوجته عاتكة المدعوة [بأم المجد] في ١٠ شعبان ٦٠١هـ[٥] بنت الوزير أبي جعفر الوقشي وكان كلفاً بها ، فعظم وجده عليها ، فوصل إلى مكة ، وجاوربها طويلاً ثم بيت المقدس ، ثم تجول بمصر ،

---

(١) نفح الطيب ٢ / ٣٨٢ .

(٢) الذيل والتكملة ص ٦٢١ .

(٣) الإحاطة ٢ / ٢٣٢ .

(٤) التكملة ٢ / ٥٩٩ ، وفي تاريخ الفكر الأندلسي ، ٣١٧ ، ودائرة المعارف الإسلامية ، ١ / ١١٦ أن رحلته الثالثة كانت سنة (٦١٤هـ) وهو وهم واضح لأنه وفاته كانت في تلك السنة .

(٥) الذيل والتكملة ٥ / ٦٠٦ ، ونفح الطيب ٢ / ٤٨٩ .

والاسكندرية فأقام بها طويلاً إلى أن لحق بربه [1] ، كما ذكرت سابقاً .

ولقد قام ابن جبير بثلاث رحلات قصد فيها جميعاً الحج وقد وهب الأدب العربي مجموعة من أجمل ما عرف بها أدب الرحلات ، ولم يدون ابن جبيرأخبار هذه الرحلات في رحلته المعروفة ، بل اقتصرها على الرحلة الأولى وحدها .

---

(١) الإحاطة في أخبار غرناطة ٢ / ٢٣٢ .

القلصادي :-

- الرحالة على بن محمد بن علي القرشي [١] السبطي أبو الحسن الشهير بالقلصادي[٢] ولد ببسطه [٣] بالأندلس في بداية القرن التاسع للهجرة (الخامس عشر الميلادي) [٤] فدرس بها وتتلمذ لجلة شيوخها وعلى رأسهم الفقية الإمام علي بن موسى اللخمي المعروف بالقرباقي [٥] وتوفي القرباقي ببسطه في الوباء عاشر صفر عام ٨٤٤هـ ، انتقل القلصادي من إلى غرناطة فأخذ بها عن جلة شيوخها ، ولاسيما

---

(١) هدية العارفين ٥ / ٧٣٧ : الفرشي بالفاء .

(٢) خبطه نيل الإبتهاج ص ٢١٠ « القلصادي بالقاف والصاد واللام المفتوحة وجعله السخاوي في الضوء اللامع ، ج٥ ص ١٤ ، والقصادي بلام ساكنه ، وجاء اسمه في كشف الظنون ط٣ ١٩٤ ، ج٢ ، ص ١٤٨٨ : القلصادي .

(٣) بسطه : مدينة اندلسية في سفح جبل عال بها كيون ماء (صفه الجزيرة من الروقي : ٧٠ عن كتاب رحلة القلصادي ، د . محمد ابو الأجفان ص ٣٠ .

(٤) في الأعلام ج٥ ص ١٦٢ ، يجعل الزركلي مولده سنة ٨١٥هـ / ١٤١٢هـ بينما يعتبره سركيس في مجمع المطبوعات ص ١٥١٩ من مواليد سنة ٨٠٣هـ/ ١٤٠٠م .

(٥) يروي لنا نيل الأبتهاج ص ٢٠٧ ماقال في شأنه القلصادي في رحلته : شيخنا وبركتنا الفقيه الإمام الصدر العلم الخطيب الخطير الكبير الشهير أوحد الزمان وفريد البيان .. الذكر لاحول العرب وانسابها حافظاً للغاتها وآدابها له في العربية أوفر نصيب .

الشيخ ابا إسحق الابراهيم بن فتوح والإمام أبا عبدالله السرقسطي[1] قال القلصادي في رحلته : « لازمت بغرناطة شيخ علماء الأندلس في وقته سيدي ابا الحق بن فتوح ، كانت له مشاركة في العلم مع تحقيقها خصه الله تعالى بفكر نقاد وذهن منقاد فانتفع به الجها بذة ، تخرج على يديه أكثر طلبة الأندلس الأعيان .. ولم يكن في وقت إدراكي له يعتني بالعربية ولا بالتأليف وإنما كتب الاسطر لاب ونظم رجزاً نعى أول عمره وقرأت عليه مقالات أبي رضوان في المنطق .

أما محمد بن السرقسي الغرناطي مخضر القلصادي عليه كتبا متعددة منها صحيح مسلم والموطأ والتهذيب والجلاب والتلقين والرسالة وابن الحاجب الفرعي وخليل وبعض مقدمات ابن رشد .. وتوفي يوم الثلاثاء سابع رمضان ٨٦٥هـ / ١٤٦٠ [2] .

رحلته :

من غرناطه رحل القلصادي إلى الشرق ، قصد الحج ، متوقفاً في طريقة بأهم المدن بالمغرب والمشرق ، فلقي الكثير من علماء عصره وانتفع

---

(١) نيل الابتهاج ص ٣١٤ قال القلصادي في رلحته : « كان من أحفظ الناس لمذهب مالك رحمه الله تعالى ولاكلفة عليه في كتب الفتيا كان فصيحاً في كتبه وجيز العباره له مشاركة في علوم الشريعه .. » توفي يوم الثلاثاء سابع رمضان ٨٦٥هـ ومولده ليلة الثلاثاء ٢٥ ربيع الآخر عام ٧٨٤ هـ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٣١٤ .

بعلمهم وسجل في رحلته أسماء هؤلاء العلماء والعديد من التدقيقات التي تمكننا من ضبط تاريخ هذه الرحلة.

نشاطه العلمي:

ابتدأ القلصادي رحلة علمية تتيح له أن ينهل من مناهل المراكز الثقافية الشهيره في عصره بالمغرب والمشرق، وتهيء له أن يغذي طموحه ويشبع نهمه إلى مزيد المعرفة، ويغترف من ينابيعها الفياضة » [١].

واتجه إلى تلمسان وهي تعيش أزهى أيام حياتها الثقافية، فأخذ عن أشهر أعلامها أبي الفضل قاسم بن سعيد بن محمد العقباني [٢] فقرأ عليه بعض مختصر المرونة لابن أبي زيد، ومختصر خليل وحكم ابن عطاء الله، مع شرح ابن عباد في شرح أصول الدين [٣].

ومحمد بن أحمد بن محمد بن مرزوق العجيس التلمساني في الصوفي فقرأ عليه بعض كتابه في الفرائض وأواخر الإيضاح للفارسي، وشيئاً من شرح التسهيل، وحضر عليه إعراب القرآن وصحيح البخاري والشاطبيين، وفرعي ابن الحاجب، والتلقين وتسهيل ابن مالك والألفية

---

(١) رحلة القلصادي، تحقيق د. محمد أبو الأجفان ص ٣٢.

(٢) نيل الأبتهاج ص ٢٢٣، يقول في شأنه شيخنا وبركتنا الفقيه الأمام المعمر.

(٣) المصدرالسابق ص ٢٩٣.

والكافية ، وابن الصلاح في علم الحديث ونهاج الغزال والرسالة . وتوفي ابن مرزوق يوم الخميس رابع عشر شعبان عام ٨٤٢هـ .

ومحمد بن أمد بن زاغو المتوفي عام ٨٤٩ وأخذ عنه علم الحساب والفرائض ومحمد بن أحمد النجار ، يقول عنه القلصادي : «كانت له مشاركه في العلوم النقلية والعقلية ، قرأت عليه بعضا من مختصر الشيخ خليل الغزالي ، وحضرت عليه تفسير القرآن ومنهاج البيضاوي وجمل الخونجي ، وقواعد القرافي وتنقيحه وبعض الألفية والمرادسي والجمل وشيئاً من المرونة ، وتوفي عام ٨٤٦ هـ/ ١٤٤٢م ومحمد أبوعبدالله الشريف ، فقرأ عليه تلخيص المفتاح وبعض التسهيل لابن مالك ومفتاح الأصول للشريف التلمساني وحضر عليه الألفية وجمل الزجاجي ، وتوفي الشريف عام (٨٧٤هـ)

وممن لقي القلصادي الإمام أبو عبدالله محمد بن إبراهيم بن عقاب الجذامي [1] قاضي الجماعة في تونس ، فحضر عليه التفسير ، وبعض مسلم والموطأ وكتبا شتى من التهذيب ، وسمع عليه رواية جميع البخاري والشيخ الفقيه الإمام النحوي اللغوي أحمد المنستيري [2] .

---

(١) نيل الإبتهاج ، ص ٣٠٨ قال السخاوي : « كان إماما فقيها جليلا رحاله وقال القلصادي : (أوحد زمانه القديم النظراء في عصره وأوانه) .

(٢) نيل الابتهاج ص ٧٩ .

والتسهيل وجمل الخونجي والألفية والمعالم الفقهيه ولقى القلصادي بوهران :

علي بن قاسم الشهير بالحداد [1] ، قال القلصادي في فهرسته : هو الشيخ الفقيه الصدر اجتمعت به بوهران .

ولقى القلصادي بالمشرق نذكر : زين الدين الطاهر بن علي النويري [2] وقد ولي التدريس والإقراء بالجامع الطولوني وقرأ عليه القلصادي شرح الشاطبيه للفاسي توفي الأمام زين الدين في ربيع الأول عام (٨٥٦هـ)

ومحمد بن ابي القسم الفريدي[3] نسبه إلى قرية من قرى صعيد مصر وتوفي بمكة جمادي الأولى عام (٨٥٧ هـ) ، وابن حجر العسقلاني المتوفي (٨٥٢هـ)

فإذا ما تصفحنا التواريخ التي رويناها عن القلصادي نفسه يمكننا أن نحدد رحلته إلى البقاع المقدسة ، فتكون هذه الرحلة في فترة تتراوح بين عام (٨٤٢هـ) ، وعاد القلصادي بعد أداء فريضة الحج إلى غرناطة تفرغ

---

(١) نيل الأبتهاج ، ٢٠٨ .

(٢) المصدر السابق ، ١٣٠ .

(٣) المصدر السابق ، ٣١١ .

للتصنيف فكان « آخر من له التأليف الكثير من أئمة الأندلس وقرأ عليه جمع غفير من الناس وأخذ عنه شيوخ أجلاء منهم :

أبو عبدالله الملالي ، فقال في شأن شيخه ، (كان عالماً فاضلاً صالحاً شريف الأخلاق سالم الصدر ، له تآليف آكثرها في الحساب والفرائض كشرحه العجيب على تلخيص ابن البناء .

ثم حل بوطن القلصادى ما حل من الكوارث الجسام ومن هجوم مملكة أرغون وقشتاله المتحدثين قصد القضاء على آخر معقل إسلامي بالأندلس فسعى القلصادي جهده ، حسب رواية المؤرخين في تخليص بلاده من الشرك ، ولكنني لا أظن أنه ساهم مساهمة فعلية في المعارك حول غرناطه ، إذا كان قد بلغ من العمر عتيا ، فلم يكن ليمكنه أن يخوض ساحات الوغى ، بل قد يكون سعيه اقتصر على تحريك « الهمم وتحريض المقاتلين ومراسلة من لقي من الأعلام بالمغرب والشرق بطلب الإغاثه والنجدة ولعله شعر في النهاية بألم الخيبة وبمرارة الهزيمة ، فرحل فيمن رحل إلى المغرب ثم إفريقية حيث أدركته المنية بباجة منتصف ذي الحجة عام ٨٩١هـ ، ١٤٨٦م أي ست سنوات قبيل سقوط غرناطة بين أيدي النصارى .

وإذا ما نظرنا في تاريخ وفاته الذي دققه واثبته تلميذه البلوي يوما وشهرا وعاما يكون في الإمكان ان نعود إلى تاريخ ولادته كي نبدي رأينا فيه إذ تكون وفاته عن سن بلغت ستاً وثمانين سنة ، ولانتصوره في هذه السن

بعدما رواه المؤرخون من كبير النشاط للدفاع عن وطنه متحملا لمشاق الترحال واتعاب السفر حتى بلاد أفريقية ، ولايسعنا إلا أن نرجح ماذهب إليه صاحب الأعلام من كون أبي الحسن من مواليد سنة (٨١٥هـ)

أهم إنتاجة :

كما علمنا فيما سبق أن تكوين القلصادي كان متنوعاً شاملا ، فأخذ بنصيب وافر من كل الميادين ، وكان لمصنفاته المتنوعة عظيم الأثر في المشرق والمغرب فأخذت عنه ودرست وشرحت ولقد امتاز بحسن الترتيب ، وأهم ميدان اشتهر فيه ميدان الفرائض والرياضيات .

مصنفاته :

ونقف على التنوع والشمول الذين ذكرناهما إذا ما استعرضنا قائمة مصنفاته وقد طبع البعض منها وبقي الكثير مخطوطاً فسجلته الفهارس المشهوره أو اغفل البعض الآخر فنشير إلى مابين أيدينا .

١ - مصنفات الحساب والجبر.

١ - بغية المهتدي وغنية المنتهى في الفرائض [١] .

٢ - غنية ذوي الألباب في شرح كشف الجلباب .

- انكشاف الجلبات عن فنون الحساب : المتحف البريطاني خ ٤١٨ محمد ابن شنب : مجلة حلب ١٩٢٢م.

---

(١) بروكلمان ج ٢ ، ص ٣٤٣ ، مخطوط مدريد ٣٤٠ وطبع بفاس .

- قـانـون الحـسـاب وغـنيـة ذوي الألـبـاب ، في بـرلـين ، ٥٩٩٥ ، الإسكـوريال ٨٥٣٤ .

- رسالة في معاني الكر والبسط .

- شرح الأرجوزة الياسمينيه [١] .

- شرح تلخيص أبناء البناء .

مصنفات في الفرائض :

- الضروري في علم المواريث [٢] .

الكليات في الفرائض مع شرحه [٣] .

- تقريب المورث وتنبيه البواعث ، ذكره القلصادي نفسه في مقدمة بغية المبتدي .

---

(١) بروكلمان ج٢ ، ص ,٦٢١

(٢) الإعلام ، ج٥ ، ص ١٦٣ .

(٣) نبيل الابتهاج ص ٢٠٨ .

- الرحالة خالد بن عيسى بن أحمد البلوي الأندلسي :

« من أهل القرن الثامن حج سنة ٧٣٨هـ ماراً بمصر ثم بالشام فقد ركب من الركب بطريق الحج الشامي فوصل المدينة في ١٩ ذي القعدة سنة ٧٣٧هـ وحج وعاد من المدينة في ٢٤ المحرم سنة ٧٣٨ ماراً بالعقبة فالقدس فالقاهرة ، واسم رحلته « تاج المفرق في تحلية أهل المشرق » وقد وصفها صاحب الطيب بأنها رحلة كبيرة ، كثيرة الفوائد »[١] .

وقال الجاسر « وقد طالعت نسخاً مخطوطه منها ولخصت مايتعلق بالحج فيها »[٢] وقد حقق الرحلة العلامة الحسن السائح ونشرها صندوق إحياء التراث الإسلامي المشترك بين المملكة المغربية والإمارات العربية المتحدة في جزئين ، بمطبعة فضالة في المغرب .

---

(١) أشهر رحلات الحج ، عرض وتلخيص حمد الجاسر ، ص ٢١ والشيخ الجاسر له رحلات كثيره ومتنوعه الأهداف مختلفة الدواعي فهي إما لبلاد عربية أو إسلامية أو أجنبية بقصد الاطلاع على المخطوطات ، يصف مايتميزه منها ويصورما يستطيع تصويره انظر كتبه [رحلات حمد الجاسر] والمعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية معجم مختصر ، شمال المملكة ، المنطقة الشرقية ، معجم قبائل المملكة ، انظر كتاب حمد الجاسر (جغرافيا في الجزيرة العربية ومؤرخها ، أحمد العلاونه) .

(٢) المرجع السابق لأشهر رحلات الحج - عرض وتلخيص حمد الجاسر .

والبلوي[1] هو ابو البقاء خالد بن عيسى بن أحمد القتوري نسبة إلى قتورية من بلاد الأندلس من أهل الفضل والتواضع ، أخذ عن علماء بغرناطة وفاس وتلمسان وتونس وبلاد المشرق ، ورحلته الأولى كانت إلى فاس ، والثانية إلى المشرق ، والثالثة إلى شرقي الأندلس وغرناطة المريه ويلش وغيرها من البلاد الأندلسية .

والذي يهمنا هو رحلته الثانية التي حج فيها وزار المدينة وقد أكملها سنة ٧٤٠ هـ أما تاريخ الفراغ من تأليفها فيذكر الأستاذ الحسن السائح أنه سنة ٧٦٨هـ ويقول بعد ذلك : « يظهر أن المؤلف كتب رحلته الأولى وتناقلها الناس عنه ثم بداله أن يكتبهامرة ثانية وعرضها على أصدقائه من العلماء فقرضوها ، وهي التي حتفظ بها حفيده ونشرها لكل الناس وكذا وهذا هو سبب مايظهر من عدم الأتفاق في بعض النسخ »[2] .

وقال الأستاذ السائح عن هذه الرحلة : « تعتبر رحلة البلوي ذات قيمة كبرى سواء من الوجهة التاريخية أو الأدبية أو الاجتماعية أو العلمية ، فقد كان يسجل مذكراته بضبط تام ودقة ولايعتمد على ذاكرته ، وقد أتيح له

---

(١) ترجمته في نيل الابتهاج ، ١٧٣ ، والكتيبة الكهنية ، ١٣٤ ، الإحاطة ١ / ٥٠٠ ، نفح الطيب ٢ / ٥٣٢ .

(٢) مقدمة تاج المفرق ١ / ٤٦ .

بفضل ما أوتيه من لباقة ودراية أن يتصل بالأعلام ورجال الفكر في أهم حواضر الإسلام فكان أول من حمل إلى الإندلس والمغرب ديوان ابن نباته ومجموعة من أشعار الدين أبي الثناء الحلبي وعدد من الكتب » [1] .

والملاحظ ان الصبغة الأدبية طغت على هذه الرحلة ، فصاحبها مولع بالشعر يستعمل السجع ويتأنق في اختيار عباراته ويطنب في تحليه العلماء، وهو حريص على لقاء أعلام كل بلد يحل به ، وعلى الاستفادة منهم والرواية عنهم بحيث تجلت صبغة الفهرس في هذه الرحلة ، تضمنت إفادات عن الشيوخ قد لاتتوفر في كتب التراجم ، حتى أصبحت مصدراً لبعض المترجمين مثل بابا التنبكي الذي قال عنها : « وقفت على رحلته في سفر وفيها فوائد ونقلت منها تراجم » [2] ونشير الآن إلى أن لسان الدين بن الخطيب معاصر مؤلفها نقدها [3] وتعد رحلته من الرحلات الأدبية القائمة على المحسنات البديعية .

(١) مقدمة تحقيق تاج المفرق ١ / ٤٦ .

(٢) نيل الأبتهاج ١٧٤ .

(٣) مقدمة تحقيق تاج المفرق ، ص ١٠٧ .

أخلاق البلـــوي :

وصفه ابن الخطيب بأنه عاطفيا ألوفا يصعب عليه أن يفارق الأصدقاء والأحباب ، يأنس إلى كل من تعرف عليه فإذا حان وقت الوداع (تجرع من الفراق ماليس بالعذب ولابالسهل)[1] .

وانتهى البلوي إلى نظرة للحياة متشائمة عبر عنها بقوله : (فالليالي لاتجمع شملا إلا شتته ولاتصل حبلا إلا بتته ، من أطاعها عصته ومن أدناها أقصته ، فالبصير من يرفض الدنيا ويسأل الله في أموره .

كما أصبح صوفيا ، وكان البلوي شديد الشفقه يؤلمه المنظر المحزن (فمـارضى خلوعي ،ومـافض دموعي إلا الأطفـال يضطربون بالبكاء ويستغيثون من العطش بالماء كما كان باراً ابوالديه ، فقد زهد في الوظيفة بتونس على قلة ذات يده رغبا لوجوب الرجوع إلى وطنه ، ومعاينه والدته التي تركهاوحدها في الأندلس[2] .

والبلوى صادق أمين لا ينافق ولايخادع ، يثق كثيرويحسن الظن بالناس حيث يقول :

وقد كانَ حسَن الظنّ بعضَ مذاهبي ... فأدبنّي هذا الزمـان واهــلهَ

---

(١) تاج المفرق ، تحقبق الحسن السائح ١ / ٣٧ .

(٢) المصدر السابق ج١ / ص ٣٨

وكان وديعاً يتحبب إلى العلماء والفضلاء ، وذوي الجاه ليستعين على سفره بجوائزهم إن كانوا أغنياء ويستفيد من علمهم ، ويغض الطرف عن الذين لم يحسنوا إليه في غربته.

إنتاجه العلمي :

- ألف أبو البقاء ، البلوي الرحلة الحجازية المسماة « بتاج المفرق في تحلية علماء المشرق » ، وقد اشتهرت هذه الرحلة بالمشرق والمغرب وتداولتها الأيدي وكانت مرجعاً لكثير من رجال التراجم والأعلام .
- ألف برنامج روايتة الذي لم نعثر عليه ، ويذكر ابن القاضي في الجذوة أنه نقل منه .
- ترك ديوان شعر ضمنه مقطوعاته وقصائده يشير إليه في الرحلة .
- ألف كتاباً عن اسانيد لثلاثيات البخاري وتخريجاً لحديث الرحمة [1] وتوفي سنة (٧٨٠هـ) .

- الرحالة ابن جابر الوادي آشي [2]

محمد بن جابر بن محمد بن محمد بن قاسم القيس الوادي آشي الأصل ،

---

(١) تاج المفرق ، تحقيق الحسن السائح ، ص ٣٦ .

(٢) (وادي آشي) مدينة بالأندلس قريبه من غرناطه ، حولها المياه والأنهار ، ينحط نهرها من جبل شلير وهو في شرقها وهي على ضفته ،كثيرة التوت والعناب وأصناف الثمار والزيتون والقطن بها كثير ، كما بها حمامات وبها بابان شرقي على النهر وغربي على خندق وبقرب وادي آش قريه بهـا عين تجري ، وتغور سبعه اعوام ، (الروض المعطار ، الحميري ،ص ٦٠٤) .

أندلسي المنشــأ ، تونـس المولـد سنه (٧٩٩هـ) قـام برحلتين إلى المشــرق ضمنها برنامجه ، ويعرف ابن جابر بالوادي آشي ، ويلقب بشمسي الدين وهو من الألقاب المشرقية ويكنى بأبي عبدالله تلقى تعليمه على يد علماء تونس ، ومن ضمنهم والده الذي كان شيخاً من شيوخ الإسلام في وقته ، وأحد مشايخ العبدري وتوفي ابن جابر سنه ٧٤٩ في الطاعون بتونس في شهـــــر ربيع الأول [١] .

رحلتـــه :

له رحلتان ، ولقب صاحب الرحلتين [٢] المرة الأولى في حدود ٧٢٠هـ والثانية ، في حدود سنه ٧٣٤هـ وفي المرتين اعتنى عناية فائقة بالسماع والرواية عن اعلام القرن الثامن في الأسكندرية والقاهرة ، ودمشق ومكة والمدينة ، خرج للحج وطلب العلم إذ التقى بعدد كبير من العلماء ذكرهم في برنامجه وحظى بالسماع على كثير منهم حتى أصبح شيخ المغرب .

أخلاقه :

شيخ فاضل أديب عفيف مقبل على الأدب عظيم الوقار من المشتغلين بالتجارة مهنة أبيه ، قويم السمت ، حظي بمكانه علمية كبيرة لسعة علمه[٣] قال عنه ابن الخطيب « إنه أصبح شيخ وحده ، انفساح رواية وعلو

---

(١) ابن حجر : الدرر الكامنه ج ٣ ص ٤١٤ ، ابن فرحون : الديباج المذهب ج٢ ص ٣٠١ درة الحجال ج٢ ص ١٠٣ الرحلات المغربية ، عواطف نواب ، ص ١٢٤ .

(٢) ابن جابر الوادي آشي : البرنامج : ص ١٣ والذي حدد تاريخ الرحتين هو ابن حجر في الدرر الكامنة ٤ : ٢٤ وفي الرحلة الثانية سمع عنه ابن فرحون الموطأ برواية يحيى بن يحيى في الحرم النبوي سنه ست وأربعين وسبعمائة الديباج : ٣١١ وهذا بعيد لأن رحلته حسب هذا التاريخ دامت ١٣ سنة ٧٣٦ .

(٣) الدرر الكامنه : ابن حجر ج٣ ، ص ٤١٤ .

اسناد) ، وهو ثقة ثبت له تقيد عن مشايخه بخطه ، وهو ضمن الرحالة الذين كتبوا رحلاتهم على هيئة برامج تخلو من الوصف الجغرافي والإشارات التاريخية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية فبرنامجه بهذا يبدو سجلاً حافلاً لما كانت عليه المدن الاسلامية التي رحل إليها من مكانه علمية بفضل ماحواه من تراجم وأسماء كانت غاية الطلب في ذلك الوقت [1] .

---

(١) الرحلات المغربية ، عواطف نواب ص ١٢٦ .

مؤلفاته :

١ - أسانيد كتب المالكية يرويها إلى مؤلفيها [١] .

٢ - الإنشادات البلدانية [٢] .

٣ - الأربعون البلدانية . قال ابن فرجون « اغرب فيها بما دل على سعة خاطر وانفساح رحلة » [٣]

٤ - ترجمه القاضي عياض [٤] .

٥ - تفيد على القصيدة العروضية المسماه المقصد الجليل إلى علم الخليل .

٦- زاد المسافر وأنس السامر وهو تأليف بديع ذكر فيه بلدانا دخلها ومافيها من الأشياخ وهو رحلته الموجودة بالأسكوريال كتاب رقم ٢١ [٥] .

ونسب له الزركلي وكحاله ديوان شعر في مجلد كبير وكأنهما اعتمدا ماجاء في ترجمته في (فنح الطيب) [٦]وسياق الكلام يدل على أن (ديوان الشعر) لابن هارون القرطبي شيخ الوادي آشي ، لأنه انشد ابن

---

(١) نفح الطيب ٥ ص (٢٠٢) .

(٢) الديباج ٢١٣ ، المذهب في معرفة اعيان المذهب ، فهرس الفهارس ٢ / ٤٢٥ .

(٣) فهرس الفهارس ٢ / ص ٤٢٥ .

(٤) الديباج ص ٢١٢ ، فهرس الفهارس ٢ : ٤٢٥ .

(٥) مقدمة الجواهر والدرر ضمن علم التاريخ عند المسلمين ص ٧٤٥ .

(٦) فهرس الفهارس : ١ : ص ٢٤٩ .

مرزوق مجموعة من شعر شيخه ابن هارون ، قال ابن مرزوق عقب ذلك «وشعره الفائق لايحصروهو عندى في مجلد كبير »[1] .

٧ - برنامج شيوخه ومروياته وهو يتألف من قسمين القسم الأول تراجم شيوخه الذين قرأ عليهم والقسم الثاني للكتب التي رواها عن شيوخه[2]

(١) برنامج الوادي آشي ، تحقيق محمد محفوظ ص ٢٢ .

(٢) المصدر السابق ص ٢٣ .

صفة برنامج الوادي آشي (١) :

- برنامج الوادي آشي الذي رتبه في جزئين الأول في أسماء الشيوخ وأنسابهم ومواليدهم ووفياتهم مشارقة ومغاربة وفي الجزء الثاني ذكر المؤلفات الخاصة بالقرآن والحديث ، وبعض الأخبار الخاصة بحلقات الدرس ويلاحظ أن من الأمثلة انها انتاج فكري لفترة زمنية محدودة ، وهي الكتب العربية واللغوية التي درسهما في فترة تخصصه العلمي فهي تعطينا فكرة طيبة عن نوعية العلوم السائدة في حلقات الدراسة في ذلك الوقت لذلك فرحلة علمية من الرحلات الوصفية لماتحتوي عليه من تراجم للشيوخ والكتب التي أخذها من العلماء دون وصف لهذه الكتب ورتب هذا الجزء حسب العلوم ، فبدأ بالقرآن الكريم وعلومه ثم الحديث وعلومه ، ثم كتب التصوف واللغة والأدب ، يتبع ذلك كتب الفهارس والمعاجم ، وقد ذكراسم كل كتاب ومؤلفه وتحديد ما أخذه من الكتاب ، كما أورد الكتب التي درسها واعتمد عليها بدون استقصاء لكل ماوقع تحت يديه واستفاد منه إذ يقول في بداية حديثة هذا ذكر ماحضرني ذكره (٢) ، وأراد المؤلف من برنامجه الانتفاح والبيان لذا جاء أسلوبه سهلا واضحاً خالياً من السجع والتكلف .

---

(١) وقد ذكر عبدالعزيزالأهواني أن برنامج الوادي آشي مخطوط في دير الأسكريال تحت رقم ١٧٢٦ وهي نسخة جيدة في أكثر من صفحة وانظر كتب برامج العلماء من ١٨ وهناك نسخة مطبوعة لبرنامج الوادي آشي من تحقيق محمد محفوظ ، دار الغرب الإسلامي ، أثينا .

(٢) برنامج الوادي آش ص ١٧٨ .

- علي بن محمد الرعيني :

- اشتهر في بدء حياته بالكتابة وكتب لعدد من ملوك الأندلس في اشبيله وقرطبه [(١)] وغرناطه ومرسيه [(٢)] وله مؤلفات منها برنامج شيوخ الرعيني [(٣)] . وقد كتب برنامجه متأخراً عن وقت رحلته وقد كان حريصاً في رحلته على حضور مجالس العلماء والتزود من علمهم والترجمة لهم .

الرحالة ابومروان الباجي الأشبيلي ورحلته إلى المشرق(٥٦٤هـ) :

استقرت أسرته في إشبيليه بعد فتح الأندلس وهي من الأسر العربية اليمنية [(٤)] وكان الباجي من أهل الرواية العليا والبصير بالحديث والمعرفة بالفقه الراسخين فيه الحافظين له من أهل النصائح في الدين والتواضع في الدنيا وكان أبو مروان الباجي آخر بني الباجي الإشبيليين ولعل بموته انقرضت هذه الأسره التي توارث أفرادها النباهة والوجاهة في إشبيليه نحـــو خمسة قرون [(٥)] .

---

(١) قرطبه : مدينة في وسط الأندلس ومقر ملوك بني امية (معجم البلدان ، ياقوت الحموي ، ج٤ ص ٣٢٤ .

(٢) مرسيه : مدينة بالأندلس اختطها عبدالرحمن بن الحكم بن هشام وهي ذات أشجار المصدر السابق ، ج٥ ، ص ١٧ .

(٣) برنامج شيوخ الرعيني ، تحقيق إبراهيم شيوخ ، ص ٣١ .

(٤) أبومروان الباجي الإشبيلي ورحلته د . محمد بن شريفة ، ص ٥ .

(٥) المرجع السابق ، ص ٧٣ .

رحلـتـه :

كـان الهدف من رحلته تأدية فـريضة الحج ، وزيـارة مدينة الرسـول صلى الله عليـه وسلـم كمـا أفـصـح عن ذلك بنفسـه وإنه قـرر الخروج من إشبـيليـه والأندلس بـنيـة الحـج وعـدم العـوده ، ولـهـذا صـفى أمـوره كلهـا وأبرأ ذمـتـه وتصرف في الأملاك التي كانت له في اشبيليـة ، وقد اختار أن يركـب البـحر كمـا فعل ابـن جبـيـر وغيـره ، ويبدوأن عـدداً من الأنـدلسيين في هذه الحقبـة كـانوا يفـضلون ركـوب البـحـر لأنه أقل مـشـقـة من ركـوب البـر وقـد كـانت المراكب الجنـوبيـة وغـيـرها تتكفل بنقل حـجاج الأندلس إلى الاسـكندرية ، وكـانت ، وكـانـت هذه المراكب تنطلق من مـدينة سـبتـه فـقد تـوجه أبومـروان اثرخـروجـه من إشبـيلـه إلى سبـتـة ، ويبـدو أنه كـان له فـيـهـا تلامـيـذ واصحـاب [1] ومما يوسف له ضيـاع نص الرحلة الحـجـازية التي قـام بهاوالتي دونه أحد تلاميـذه ، غيـر أن تلخيص ابن عـبدالملك أعطانا صـورة عن هذه الرحلة [2] .

---

(١) أبو مروان الباجي الأشبيلي ورحلته ، د . محمد بن شريفه ص ٣٧ - ٣٨ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤ .

الباب الثاني
المحتوى الأدبي للرحلة الحجازية
الرحلة جنس أدبي

الفصل الأول :

الشعر .

- ابن جبير .
- خالد بن عيسى البلوي .

الفصل الثاني :

النثر .

- ابن جبير .
- ابوبكر بن العربي .
- القلصادي .
- ابن جابر الوادي آشي .
- علي بن محمد الرعيني.
- أبو مروان الباجي الإشبيلي .

الرحلة جنس أدبي

لقد سجل الرحالة الأندلسيون رحلاتهم في أسلوب أدبي نثري (أدب الرحلة) عرفوا فيه باتجاهات الرحلة وموضوعاتها ، وأساليب تناولها للأشخاص، والأماكن، والأحداث ، وقد نظفر بمحاولة تحديد خطوات تطور هذا اللون من الكتابة شكلاً وموضوعاً لغة ورؤية ، وإن تجسيد دراسة (أدب الرحلات) والالتفات إليها لكونها شكلاً من الأشكال الأدبية ، التي ينبغي أن يلتفت إليه .

شغلت الدراسات الأكاديمية والنقدية في عالمنا العربي المعاصر ، بدراسة فنون الأدب المتباينة ، من قصة قصيرة ورواية طويلة ، ومسرح ونقد وشعر ، لكنها لم تلتفت - طويلاً - إلى لون أدبي نثري ، أقدم على الكتابة فيه عدد قليل من الكتاب العرب الأعلام ، ويستطيع الباحث المدقق أن يظفر بالكتب التي حوت هذا اللون من الكتابة ، ألا وهو (أدب الرحلات) ، أي ذلك النثر الأدبي الذي يتخذ من « الرحلة » موضوعاً ، أو بمعنى آخر : الرحلة عندما تكتب في شكل أدبي نثري مميز ، ومخالفة خاصة من خلال تصور فني له ملامحه وسماته المستقلة .

بل إن هنالك من يبالغ فيزعم أن أدب الرحلة أو الرحلات عموماً (من أهم فنون الأدب العربي ، لسبب بسيط ، وهو أنها خير دليل على التهمة التي طالما اتهم بها هذا الأدب ، ونقصد تهمة قصوره في فن القصة)(١) في محاولة

---

(١) الرحلات ، د . شوقي ضيف ، ص ٦ .

لتأكيد أن هذا الأدب عرف فن القصة، والدليل على ذلك موجود في كتب الرحلة ، والحق أن هذا الحكم على إطلاقه قد يبدو مبالغاً ذلك أنه إذا توافرت عناصر القصة في بعض الكتب . فإنها قد لاتتوافر في غيرها . وعند تأكيد مثل هذا الحكم ينبغي دراسة فن القصة أولاً من حيث بناؤها الفني، وأسسها ، وخصائصها ، ثم تأتي مسألة الكشف عن مدى تمثل كتاب الرحلة لها من خلال ماكتبوه جميعاً .

كما أن القول بأن كتب الرحلة تصور الحقيقة حيناً ، وترتفع بناء إلى عالم الخيال حينا آخر ، لايمكن إطلاقه هكذا بعمومية لاتقبل الجدل والمناقشة ، إذ إن منها وهو الأغلب الأعم يلتزم بالحقيقة المجردة ، ومنها من يسمح فقط بمساحة بسيطة من الخيال ، إذ إن نسبة الخيال في كتب الرحلة قليلة حيث إن هذا اللون من الكتابة يعتمد في الأساس على الواقع من آثار ومعلومات وأماكن وألوان من الطعام والشراب والأزياء وماشابه ذلك مما لايتيح الفرصة للكاتب حتى يعمل خياله أو يطلقه كيف يشاء ، فالتعديل أو التغير أو التبديل أو وصف الأشياء بما ليس فيها ، قد يبعد الكاتب عن الحقيقة ويدفع إلى اتهامه بالكذب .

ومن الرحالة من يكتفي بعرض المعلومات التي يشاهدها في رحلته دون تدخل بلاغي ، لأنه يستهدف إيصال المعلومات والمشاهد بدقة ووضوح ، دون تأويل ، ودون استخدام لكلمات قد تصرف القارئ عن معرفة الحقيقة ، ومنهم من ينقل الصور والمشاهد على نحو يحقق التأثير الوجداني ، أو ينقل الأحاسيس والعواطف التي يجدها في نفسه من يجتلي تلك المشاهد والآثار والصور ، وهذا البعد هو الذي يملأ النفس متعة وتأثيراً ، ويجعل للرحلة سمة أدبية بدلاً من أن

تقف عند حد التسجيل والتدوين فقط .

وقد يلمس ذلك في بعض كتابات الجغرافيين العرب الذي اتبعوا هذه الوسيلة في وصف عالمهم والعوامل المحيطة به ، إذ عنوا بالحديث عن عادات وأخلاق الأمم، ومابديارها من آثار وعجائب ، وقصوا ماعندها من قصص ، وبذلك أصبحت كتبهم الجغرافية كتباً أدبية .

ذلك أن الرحلات سجل حقيقي لمختلف مظاهر الحياة في مجتمع بعينه ومرحلة تاريخية محددة .

« أما أسلوب الكتابة ، واللغة التي يتوسل بها كاتب الرحلة ، فإنه قد يضيف إليها قيمة أدبية ، وبخاصة عندما يحتفل الكاتب ببعض المحسنات البلاغية ، وجمال اللغة وحسن التعبير ، وارتقاء الوصف ، وبلوغه حداً كبيراً من الدقة علاوة على مايستعين به أحياناً من أسلوب قصصي ، سلس ، مشرق ، وهذا هو الذي يجعل بعد الدارسين يدخلون أدبيات الرحلات ضمن فنون الأدب العربي ، عندما تصبح قراءة هذا اللون من الكتابة متعة ذهنية » (١) .

ومن المحتوى الأدبي للرحلة الحجازية القيمة التعليمية من حيث إن هذا النوع من الكتب يسهم في تثقيف القارئ وإثراء فكره وتأملاته عن الآخرين، ذلك أن كتاب الرحلات يصورون إلى حد كبير بعض ملامح حضارة العصر الذي قاموا فيه برحلاتهم وثقافة البلدان التي ذهبوا إليها ، وأحوال الشعوب التي أختلطوا

---

(١) كتب الرحلة قديماً وحديثاً ، د . سيد حامد النساج ، ص ٨ .

بها . إن مثل هذه الكتب في مثل هذه الحالة تعتبر مصدراً لوصف الثقافات الإنسانية . كما تعد بذلك أكثر المدارس تثقيفاً للإنسان ، فالاختلاط والحياة مع الشعوب المختلفة إضافة إلى الاجتهاد في دراسة أخلاقهم وطباعهم ، والتحقيق في ديانتهم ونظامهم وعاداتهم ، غالباً ماتضع أمام الفرد مجالاً للمقارنة .

وتتسم الرحلة الحجازية بعدد من السمات المشتركة من الشمول والتنوع ، وهما ملمحان بارزان في معظم ماكتب في هذا الميدان حيث إنها تعنى بالوصف الدقيق ، والتصوير والنقل الصادق بدافع تحري الدقة تحرياً علمياً موضوعياً ، وهي عندئذ تتحلى بالابتعاد عن الهوى والميل والغرض الذاتي ، إذ إن منهم من لم يقبل الأخبار دون غربلة أودون التأكد من صحتها ، ثم إن مثل هذه الكتابات كانت تصدر عن التزام مفاده أن المسلمين أمة واحدة ذات حضارة إنسانية عالمية ينبغي لها أن تعود إلى مكانها ، لتحقيق ذاتها عدوة حقها في الوجود .

وثمة دوافع متنوعة كانت وراء احتفال المسلمين بالرحلة ، والانتقال والتجوال ، وربما تكون هذه الدوافع وراء تحديد اتجاهات الرحلات وتصنيفها لدى بعضهم ، ولاننسى أن القرآن الكريم آيات كثيرة تدعو إلى أهمية السفر وفضله .

فالرحلات تزيدنا علماً بقدرة الله وحكمته وتدعو إلى شكر نعمته ، ومن هنا أمسك المسلمون بزمام الرحلة وتحمسوا لها ، مما جعل الرحلة الحجازية عندهم تنال حقها الكامل من الاهتمام والأمان ، واستحقاقها الفعال من قوة الدافع والحوافز على الطريق في البر والبحر .

ومن الدوافع مايذكره ابن خلدون في مقدمته الشهيرة (والرحلة لابد منها في طلب العلم ، لاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرجال)[1] ومنهم الفقيه أبوبكر محمد بن العربي الذي رغب في الدراسة فطاف في الشام والعراق والحجاز ومصر ثم عاد إلى الأندلس وجدير بالذكر أن الرحلة بغرض مقابلة الشيوخ والعلماء طلباً للعلم ، وأصبحت في العصور الإسلامية معياراً للحكم على مستوى العلماء والفقهاء ، إذ إن طلب العلم في مراكز البلاد كان يقتضي رحلة طلابه من مدن مختلفة في أنحاء البلاد إلى مراكز العلم فيها تساعدهم في ذلك الوحدة السياسية والدينية والثقافية ، ليس مانجده الآن من حواجز وضعها المستعمرون للبلاد الإسلامية وعراقيل ما أنزل الله بها من سلطان ، وفي ظل الفتوح الإسلامية خلقت أسباب الرحلات ، وهل عملية الفتوح إلا رحلة أو مجموعة من الرحلات قدمت للمسلمين تجارب ومعارف جديدة وخلقت ظروفاً استلزمت الرحلة والبحث والتنقل .

وأخذ طابع الرحلة في طلب العلم يطغى على كتابات كثير من الرحالة ، حيث نلاحظ اهتماماً بالشيوخ والعلماء الذين التقى بهم كل واحد من الرحالة ، بل إن منهم من ترجم لذاته وكتب سيرة حياته الشخصية ، جنباً إلى جنب ترجمته للعلماء والشيوخ والأساتذة ، الذين خالطهم ، ونماذج مما كتبه بعضهم من شعر أو نثر يعبر عن ذوق النفر وحضارته ، وقد نجد في ابن خلدون تجسيداً

---

(١) مقدمة ابن خلدون ، ص .

لهذا الاتجاه في كتابه (التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً) .

وهذا اللون من الترجمة الذاتية نجد له امتداداً فيما كتبه رحالة العصر الحديث إذا إننا نظفر بعدد وافر من السير الشخصية قد طغت على كتب الرحلات .

ويمكن اعتبار الدافع الديني وراء كتابة كثير من المشاركين في هذا الميدان فقد كان الحج إلى مكة المكرمة حيث يتجشم المسلمون كل مشقة في سبيل أداء هذه الفريضة ، وزيارة مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة وراء وصف كثير من هؤلاء الحجاج طريقهم إلى الأماكن المقدسة في رحلات مختلفة ، ذلك أن الحج رحلة يتشوق إلى القيام بها كافة الناس وليس علماؤهم وفقاؤهم فقط ، لأنه فريضة على كل مسلم مستطيع وهل هناك من ينكر أن « ابن جبير » قص علينا ماشاهده في طريقه إلى حجه وعودته منه ؟

إن من أهم أهداف الرحلة الحجازية انها تسعى إلى تحقيق هذا الغرض .

ودراسة أدب الرحلة تعيد إلى أدبنا الخالد مجده الرفيع فهو يعطينا صورة لأولئك الرحالة من الأدباء الذين اكتسبوا معارفهم عن طريق المشاهدة والأسفار المعاينة فأتوا بأعمال علمية باهرة في تاريخ الحاضرة والنهضة الإسلامية .

وسرعان مابرزت الرحلة « فناً أدبياً » مدوناً ابتداء من القرن الثالث الهجرى بجهود بارزة ، من بينها عمل (اليعقوبي) العباسي أحمد بن يعقوب المتوفي سنة ٢٨٤ هـ أو ٢٩٢هـ صاحب كتاب (البلدان) الذي عبر فيه عن شغفه بالرحلة وتطلع لمعرفة الأوطان ، وكذا فعل معاصرة البلاذري) أحمد بن يحيى المتوفى ٢٧٢هـ صاحب فتوح البلدان .

لم يلبث فن الرحلة في النثر العربي يعرف تطوراً كبيراً ويتكرس كنوع أدبي في فجر النهضة العربية الإسلامية بعد انتهاء الفتوحات فتآزرت في ذلك المادة العلمية والإطار الأدبي ، فنرى (المسعودي) المتوفى ٣٤٦هـ يقدم جهداً معتبراً في التاريخ والجغرافية ، محرضاً وداعياً إلى الأسفار فهو يقول : « صنفنا كتابنا في أخبار الزمان وقدمنا القول فيه في هيئة الأرض ومدنها وعجائبها ، وكارها وأغوارها ، وجبالها وأنهارها ، وبدائع معادنها ، وأصناف مناهلها ، وأخبار غياضها ، وجزائر البحار ، والبحيرات الصغار ، وأخبار الأبنية المعظمة ، والمساكن المشرفة ، وذلك شأن المبدأ أو أصل النسل ، وتباين الأوطان [1] وقد وصف الباحث (كراتشوفسكي) الرحالة (اليعقوبي وعمله بقوله : « كان أديباً قل كل شيء وناشراً للمعارف على منهج الجاحظ مع ميل أكثر نحو الجدية ونحو الأسلوب القصصي » [2] .

إن « أدب الرحلة » ، أي ذلك النثر الأدبي الذي يتخذ من الرحلة موضوعاً ، او بمعنى آخر : الرحلة عندما تكتسب في شكل أدبي نثري متميز ، وفي لغة خاصة ، ومن خلال تصور بناء فني له ملامحه وسماته المستقله ، ومن الضروري أن تتجه الدراسات النقدية إلى هذا الأدب لدراسته وتحليله ، وبيان أهميته ودوره من حيث هو عمل أدبي فني ، وليس من أية زاوية أخرى وإلى أي حد أفاد من فنون الأدب ، النثرية كالقصة والرواية والشعر .

---

(١) مروج الذهب المسعودي ، ج١ ، ص ٣ .

(٢) تاريخ الأدب الجغرافي ، كراتشوفسكي ، ج١ ، ص ,١٦١

وفي تصوري أن دراسة أدب الرحلة تستلزم البحث في كل رحلة على وحدها من حيث هي بناء فني ، وإبداع أدبي ، له أسسه الخاصة ، وملامحه الذاتية التي تميزه عن غيره من فنون الأدب الأخرى التي قد تشترك معه في بعض الخصائص والسمات وهذا ماينبغي أن تنطلق منه الدراسة الموضوعية لهذا اللون من الأدب وهذا مايستدعي تصنيفاً موضوعياً للرحلات ، ودراسة فنية لها في ضوء هذا التصنيف ، وأن يبدأ في تحديد رؤية الكاتب الرحالة ثم ماكان يستوقفه ويلفت نظره ، ويقف عنده طويلاً ، هل كانت تشغله المعالم الحضارية كالآثار ، والمساجد والأماكن التاريخية ، فيصفها وصفاً مطولاً ويستطرد في ذكر كل مايتصل بها من تواريخ وأعلام ؟ أو كان همه فقط هو وصف الأماكن من حيث موقعها الجغرافي ، وما تتسم به ؟ وفيم تتشابه ؟ وفيم تختلف وتأثير العوامل الطبيعية فيها ؟

إنني أجد أن صاحب الرحلة - في بعض الأحيان - لم يكن يقوم بكتابتها بنفسه ، إذ كان يمليها أحياناً أو يرويها لمن يقوم بإملائها .

وهذا يقتضي منا أن نلقى الضوء لبيان معرفة كاتب الرحلة أو مدونها واستخلاص خصائص أسلوبه إن كانت له بصمات واضحة ، وذلك لتحديد سمات وملامح أسلوب صاحب الرحلة الأصلي .

أما من حيث البناء الفني للرحلة فهو الجانب المهم الذي ينبغي الإطلاع عليه ، فلكل رحلة (بداية) ، (ونهاية) فكيف تكون هذه النهاية ؟ وكيف جاءت البداية ؟

« وإننا للأسف لم نهتم بأدب الرحلات مع أن هذا النوع من الأدب يكون رصيداً غزيراً من التراث العربي الإسلامي ، ولقد بلغ الأدب العربي في ذلك شأوا

كبيراً لأن الرحلات كانت كثيرة جداً سواء من أبناء المشرق أو المغرب العربي ، والرحلات كما يقال شيء ثابت لايأكله الدهر وتظل لها طابعها فرحلة ابن جبير زادها الزمن خلوداً وورنقا وإعجاباً وترجمت إلى لغات كثيره لأن النفس البشرية بطبيعتها تواقة إلى المعرفة » (١) (فأدب الرحلات ارتياد لمناهل الثقافة والمعرفة ، إن هذا اللون من الأدب العربي أصبح يشكل جانباً مهماً في مكتبتنا العربية ، منذ تلك الرحلة التي قام بها « أبو الحسن محمد بن أحمد بن جبير ، الكناني الأندلسي ، ليحج بيت الله الحرام ، في الثامن من شوال سنة خمسمائة وثمان وسبعين للهجرة وهي الرحلة التي استغرقت سنتين وثلاثة أشهر ونصف .

لقد فتحت هذه الرحلة الباب لكثير ممن جاؤوا بعده من الرحالة ، كي يقدموا على كتابة رحلاتهم بشكل أدبي ، وقد كانت الحصيلة مكتبة كاملة ، تراثية ومعاصرة ، لأن الأدباء المعاصرين في كل الدول العربية أسهموا بشكل أو بآخر

لتدعيم هذه المكتبة ، وللإضافة إلى هذا اللون من الأدب ودراسة هذا الشكل الأدبي المتميز) (٢) .

إن المكتبة العربية لفي حاجة ماسة إلى كتب الرحلات وأدبه في مختلف الأدوار التاريخية وإذا كان لأسلافنا المصنفات الممتعة فإنه يحسن بنا وقد اتسعت دائرة الرحلات أن نعنى بهذا الجانب كما قلت الذي سيثري أدبنا باستنهاض الهمم وحفز المواهب والقدرات وسيقوى على ذلك كل عالم وأديب منحه الله القوة والصبر والاحتمال فأدب الرحلات ارتياد لمناهل الثقافة والأدب والعلم والمعرفة إذ تبدو البلاد أمامة كتاباً مفتوحاً يقرأ بين ثنايا سطوره دقائق حياة الأمم وثقافتها وتاريخها ومآثرها وتراثها الحضاري .

---

(١) أدب الرحلات فن متميز ، مقالة عبدالله الحقيل (أمين عام دارة الملك عبدالعزيز) المنهل العدد ٤٩٧ ، ص ٥٢ .

(٢) أدب الرحلات في حياتنا الثقافية ، د . سيد النساج ، مجله العربي عدد ٣٣٨ ، ص١٣٦ .

أدب الرحلة يمثل جوانب مهمة من جوانب الحياة العربية والإسلامية في مختلف نواحيها سواء في الجانب السياسي والاجتماعي والديني والفكرى والأدبي أيضاً وقد برز كثير من الرحالة العرب وقاموا برحلات طويلة وألفوا كثيراً من الكتب وصوروا فيها ماشا هدوه من هذه الرحلات وصوروا مشاعرهم، وكانت هذه الكتب وثائق مهمة تصور حياة الرحلة في تلك الأزمان والرحلات في هذا الجانب كثيرة ، وهي تحتل مكاناً في الأدب العربي غير أن القليلين الذين يحيطون بمضمون الرحلة ، ومع الأسف أن مناهج التعليم في المدارس والجامعات لاتولي « أدب الرحلات » اهتماماً كبيراً.

« ونجح ادب الرحالة في تقديم حقائق وأخلاقيات الإسلام نظرياً وعلمياً ، وقيماً ايجابية ، وأن تجذب إليه العناصر الأندلسية ولهذا التقى الرحالة مع فقهاء الإسلام وعلمائه ووقفوا ضد المظالم والمخالفات التي ارتكبتها بعض الطبقات العربية حكاماً ومحكومين ، ولهذاحفل هذا الأدب بصور من التقدم الحضاري لم يكن العالم القديم وحتى نهاية العصور الوسطى الأوربية قد سمح بها وحسبنا أن نعلم أن المدارس الفكرية والأدبية قد انتشرت في الأندلس انتشاراً كبيراً بدء من القرن الثالث الهجري » [١]

---

(١) بحوث ندوة الأندلس (الدروس والتاريخ) د . عبدالله التركي مقدمة الكتاب ص ٨ .

« تعتبر الرحلات صنفاً أدبياً متميزاً ، يدخل ضمن منطق إسلامي ويدعو المؤمن دوماً إلى إعداد نفسه وروحه للرحلة الكبرى وأعني الرحلة المطلقة وذلك عن طريق رحلات صغرى من ضمنها أداء ..الحج » [1] إن أهمية الرحلة في الإسلام أمر معروف لا بالنسبة للمسلمين فقط بل صار معروفاً أيضاً لدى غير المسلمين فقد استغرب أحد النصارى لما رأى أحمد قاسم الحجري بمدينة (بوردو) فخاطبه قائلاً :

«يافلان تعجبت منك ، كيف أنت على دين المسلمين ؟ قلت له لماذا ؟

قال لأن عندنا في كتبنا أن المسلمين يزورون مكة ليروا نبيهم [2]

(فالرحلة إلى الحج إضافة إلى كونها ركنا من أركان الإسلام فإنها تلعب كذلك أدواراً أخرى على مستوى الرمز لأنها تمكن من الالتفاف والتضامن وتجسيد القوة) [3] .

تنفرد الرحلات بإعطائها معلومات تكون مبنية على المشاهدة والاحتكاك وتساهم في التكوين الروحي والخلفي للرحال .

---

(١) د . عبدالمجيد القدوري (مقالة حول أوروبا من خلال ثلاث رحلات مغربية) مجلة كلية الآداب العدد ١٥ ص ,٤٥

(٢) ناصر الدين علي القدم الكافرين ، أحمد قاسم الحجري الأندلسي ، المعروف بأفوقا ي ، ص ٨٧ .

(٣) مقالة حول أوربا من خلال رحلات مغربية د . عبدالمجيد القدوري كلية الأدب ، مجلة كلية الأداب والعلوم الإنسانية – الرباط (جامعة ، محمد الخامس ، العدد ١٥ ، ١٩٨٩) .

تصبح الرحلة أمراً طبيعياً لخلق التوازن والاثراء المتبادل وتحقيق إرادة الله بالتعارف بين الشعوب وكرامة الإنسان المبنية على التقوى والعدل والتسامح (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم)[1] .

ولعل ظاهرة الرحلة أو الهجرة من الظواهر الكبرى التي ترتبط بالكثير من القيم الروحية والفكرية . فالرحلة بطبيعتهاتنطوى على تحولات عميقة تعرض القيم الروحية والثقافية للكثير من التغيرات والامتحان العسير لأنها تنطوي على عملية انتقال وتحول في الوسط الاجتماعي الجديد فهي بمثابة اقتلاع للجذور وانفصال عن الوسط الطبيعي للإنسان .

وهناك تساؤل يدفع بي إلى القول بأن الرحلة ظاهرة إنسانية وطبيعية وربما ظهرت مع الإنسان وانتظمت مع انتظام حياته العامة واتسعت دائرتها باتساع اكتشافه لمناطق العالم وتنوع الأسباب الداعية للهجرة أو الرحلة ولم تكن أسباب اقتصادية ومعاشية فحسب والتعامل مع هذه الظاهرة الطبيعية الإنسانية التي تتمثل بوضوح في البحث .

والرحالة الأندلسيون والمغربيون تعاملوا مع الرحلة كظاهرة إنسانية انطلاقاً من القبلية المتنقلة ومن طبيعة الصحراء التي تدفع إلى الرحلة في طلب الكلأ والماء ، ولكن التطور الحضاري والاقتصادي والثقافي في طبع

(١) سورة الحجرات آية ١٣ .

الرحلة بطابع جديد ، واتسع مجالها ، فعرف المغاربة أوربا الغربية ورحلوا إلى أفريقيا والأندلس وارتبطوا ببعض بلادها بالزواج وهاجروا إلى الشرق العربي وتكونت في هذه البلاد عائلات مختلطة .

إن السماع ولقاء العلماء والأعلام ، وتجديد الأسانيد الحديثية والرغبة في علو الإسناد والتفرد في حمل بعض المرويات هو ماكان يحمل العلماء غالباً على تطويل المطاف في المشرق وفي هذه الحالة فإن أكثر العلماء كان يرى أن يقدس ويخلل (أي يزور القدس والخليل) كما فعل ابن بطوطة [١] ومنها يرحل إلى الشام فالعراق وقلما وجدنا علماء مغاربة رحلوا إلى بلاد العجم وماوراء النهر والهند [٢] والصين [٣] بل إن حالة ابن بطوطة في تطوافه في الهند والصين من اندر الحالات المعروفة عندنا وفي هذه الحالة فإن مفهوم الهجرة يختلط بمفهوم الرحلة وتعير الرحلة المطولة إلى المشرق هجرة إليه وقد تستغرق أعواماً طويلة .

---

(١) الإعلام بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ، السخاوي ، تحقيق فرائز روزنتال .

(٢) تاريخ الأدب الجغرافي العربي ، لاغناطيوس كراتشكوفسكي ١٩٧٨ .

(٣) تاريخ الجامعات الإسلامية الكبرى ، لمحمد عبدالرحيم ,٤٥

اعتمدت الأندلس بادئ ذي بدء على التراث الإسلامي بالمشرق ، وكان هذا الاعتماد إما من طريق استقدام العلماء المشارقة إلى الأندلس أو عن طريق رحلة الأندلسيين إلى المشرق للتزود بالعلم و التحصيل في مختلف أنواع العلوم والآداب .

وكان أهل الأندلس أحرص الناس على التزود بالعلم ، ويذكر المقري في كتابه « نفح الطيب » أن الجاهل الذي لم يوفقه الله للعلم في الأندلس ، كان يجهد نفسه ليتميز بصنعة ويربأ بنفسه أن يرى عالة على الناس .. إذ إنهم كانوا يعدون ذلك في غاية القبح ، والعالم عندهم معظم الخاصة والعامة على السواء ، ويشار إليه ويحال عليه وينبه قدره وذكره عند الناس .

« ولم تكن بالأندلس مدارس تعين على طلب العلم ، كما كان الحال في المشرق بل كان الطلبة يقرؤون ويدرسون في المساجد ، مقابل أجر معلوم ولم تظهر المدارس في الأندلس إلا في عصر دولة « بني الأحمر » ، وكان إقبال الناس على شراء الكتب واقتنائها أمراً معروفاً في الأندلس ومانعرفه عن ولع المستنصر بجمع الكتب أكبر دليل على ذلك وقيل إنه جمع مالايوصف كثرة وتنافس حتى إن مكتبته بلغت نحوا من ٤٠٠ ألف مجلدا ، وأنهم لما نقلوها أقاموا ستة أشهر في نقلها ، وكان يستحب المصنفات من الأقاليم والنواحي »[1] يصعب تتبع الرحلات العلمية التي انتشرت في هذا العصر ،

---

(١) دائرة معارف الشعب ، الجزء الثاني ، ص ١٩٤ .

إلا أنه من الضـــروري أن نقــول إن هـذه الرحــلات كــانت إلى المشــرق وإلى الأنـدلــس في آن واحد .

وكان لهذه الرحلات العلمية أثر كبير في ربط الصلات بين علماء المشرق وعلمـاء المغـرب ، فكان علـماء المشرق على اتصـال مـسـتـمـر بما يجـرى في المغرب ، والعكس صحيح [1] .

ولم تكن هذه الاتـصـالات بطبيـعة الحال ، إلا تجسيـماً لتلك العلاقة التي كانت تربط بين علماء الأندلس والحجاز .

ومما سـاعـد على هذه الاتصـالات بين المشـارقـة والأندلسـيين الاسـتـقـرار السياسي وماكان له من أثر في تنشيط الحركة الثقافية ، او الاتصال بمساجد في المشرق . أقول إلى جانب هذا كله فإن هناك عـاملاً آخر كان له أثره الكبير في ازدهار الحيـاة الثـقـافـيـة وهو تشجيع الحكام بكل طبقـاتهم أمـراء وفـقـهـاء لطلاب العلم .

وقد حرص أمراء المرابطين أنفسهم على الحصول على الإجازات العلمية ، ونتيجة لكل هـذه العوامل المذكورة نشطت الحياة الثقافية والأدبية ، ونـشـطـت حـركـة التـأليف فـألفت في هذا العـصـرأمـهـات الكتب الأدبيـة والفقهـيـة والحديثة.

---

(١) القـاضي عـيـاض الأديب (الأدب المغـربي في ظل المرابطين) عـبـدالسـلام شـقـور رسـالة علميـة ، ص ٣٩ .

ولما كان القرآن الكريم أساس كل دراسة فقهية وغيرها من الدراسات فقد اهتم طلبة العصر بالقرآن والحديث ، فشدوا الرحال في طلب الحديث بحثاً عن أقوم الأسانيد وأعلاه .

ففي كثير من كتاب الرحالة الأندلسيين نجد بعضهم من يميل إلى جزل الالفاظ وإلى ، والوصف ، من غير تكلف ويبدو أن التأثير المشرقي على الرحالة الأندلسيين كان قويا وعلى الرغم من عدم إمكان الفصل بين الأندلس والمغرب في هذا العصر فإنه يجب أن أقف وقفه قصيرة مع الأدب المغربي الذي كان له التركيز في ظهور الحركة الأدبية في الأندلس وحمل فيما بعد قسط غير يسير من مسؤولية صيانتها مند الهجوم المستمر للنصارى عليها وقد استقر العرب الوافدون في حملات الفتوحات في الأندلس وليس في المغرب وذلك لعوامل شتى إن وجود العرب في الأندلس عمل على التعجيل بخلق حركة أدبية في الأندلس .

الفصل الأول

الشعر

- ابن جبير .
- البلوي

شعـــــره :

كان ابن جبير من ذوي المواهب المزدوجة فكتب ونظم ، إلا أن شهرة رحلته طغت على شاعريته ، فعرف كاتباً ، ولم يعرف شاعراً ، وأهملت الدراسات الحديثة هذا الجانب ، وتعجلت الوقوف عنده وأصدرت أحكاماً عامة فيه لجملة أمور في مقدمتها فقدان ديوانه ولمكانة ابن جبير لدى الباحثين وللصلة القوية بين شعره ورحلته فاستطعت أن أعثر على جزء من شعره في كتب المصادر التاريخية والتراجم والمراجع لأقف على جوانب من شخصيته الأدبية .

وذكر ابن الأبار ت(٦٥٩هـ) أن شعر ابن جبير مدون قال ابن عبدالملك المراكشي ت (٧٠٣هـ) : إنه (وقفت منه شعرا بن جبير) على مجلد متوسط يكون بقدر ديوان أبي تمام حبيب بن أوس (جمع أبي بكر الصولي) أو نحو ذلك ، ومنه جزء سماه « نتيجة وجد الجوانح في تأبين القرين الصالح » أودعه قطعاً وقصائد في مراثي زوجه أم المجد بعد وفاتها والتوجع لها أيام حياتها [١] بالإضافة إلى جزء سماه «نظم الجمان في التشكي من إخوان الزمان يشتمل على أزيد من مئتي بيت في قطع [٢] .

ومانجده من شعره يتوزع على ثمانية مصادر : أقدم من نقل من أشعاره - صفوان بن إدريس التجيبي (ت ٥٩٨هـ) في زاد المسافر حيث أورد

---

(١) توفيت أم المجد سنة ٦٠١هـ بعد حياة طويلة معه تقارب خمساً وخمسين عاماً .

(٢) الذيل والتكملة ٥ / ٦٠٨ ، الأحاطة ٢ / ٢٣٤

خمس قطع ، ٣ تفرد برواية ثلاثة منها وبعد ٥ جاء ابن سعيد الأندلسي (ت ٦٧٣هـ) بثلاث قطع في تسعة أبيات وردت في مصادر تراجم أخرى، كذلك الرحالة أبو محمد العيدروس (توفي بعد ٦٨٨هـ) يورد له مجموعة أبيات وأكثر أشعار ابن جبير ترد عند المقري ت (١٠٤١هـ) في موسوعته الأندلسية (نفح الطيب) فيورد بعض القصائد لابن جبير وهي أكبر كمية ترد في مصدر واحد فهذا الذي بين أيدينا لايمثل إلا اليسير من شعره الذي وضعه المراكشي آنفاً فمن جزئه المسمى (نتيجة وجد الجوانح) وصل فيهابيتان فقط ، فإذا علمنا أن ابن عبدالملك المراكشي أكثر من إيراد شعر ابن جبير كان لقوله دلالته الواضحة على فقدان شعره والمقري يتفرد برواية قصيدته الميمية وبعد أن يستهلها ببيتين يقول (وهي طويلة وآخرها) ثم يورد أبياتا ومن هنا نصل إلى أن مابين أيدينا لايمثل إلا جزءاً من شعر ابن جبير ولو وصل ديوانه الموصوف بأنه على قدر ديوان أبي تمام (جمع الصولي) لعرفنا الشيء الكثير شاعريته .

موضوعات شعره :

شعر ابن جبير صورة لحياته في أكثر من وجه ، فطابع التدين والالتزام بالخلق الإسلامي الذي لازم حياته واضح كل الوضوح في شعره وهو يمثل الاتجاه الأول الذي يتناول شعره ، أما الاتجاه الثاني فشعره المتصل برحلاته وأسفاره ، يعرض ابن جبير موضوعاته المقطعات الشعرية والقصائد الطويلة وأهم موضوعاته ضمن هذين الاتجاهين هي :

١ - النقد الاجتماعي والشكوى من الزمان :

تؤلف شكوى ابن جبير من الزمان نزعة واضحة في أشعاره فقد ومن جزء في « نظم الجمان في التشكي من إخوان الزمان » ذكر ابن عبدالملك المراكشي أنه يشتمل على أكثر من مئتي بيت في قطع ومن هذا الجزءبين أيدينا حوالي عشرين قطعة وقصيدة .

كان ابن جبير فقيها متصلاً بمجتمعه ، وهو يصدر في كثير من سلوكه مع المجتمع عن وجهة دينية ، فإذا شكا الزمان ، فإنما يشكو إخوان الزمان وينفذ من خلال هذه الشكوى إلى دعوة للإصلاح الاجتماعي بعد تشخيص المظاهر السلبية ونقدها ، وهي نزعة لايتفرد بها ابن جبير في عصره ، وقد كان من أعلامها أبو العلاء المعري ، وابن جبير يتحمس للالتزام بما كان عليه السلف وينكر محدثات الأمور يقول منتقداً المجتمع :

قد أَحَدَثَ الناسُ أموراً فـــلا ... تعمل بها إني امرؤا ناصـــحُ

فما جماع الخير إلا الـــذي ... كان عليه السلف الصالـــح (١)

وكثيراً مايكون التقاطع والتدابر سبباً إلى الضياع والفرقة ينتقد هذه الظواهر ويقول :

---

(١) نفح الطيب ٢ / ٤٩٢ .

إلى الله أشكو ماتكن الجوانح تقاطعت الأرحام حتى الجوارح(١)
فلست ترى إلا قلوباً وألسناً مخالفة هذي لهذي كواشح(٢)

ويرى أن الأمور كلها بيد الله :

من الله فاسأل كل شيء فما يملك الإنسان نفعاً ولاضراً(٣)

وله أبيات أخرى يدعو إلى الترفع عن خطط الدنيا والتعالي عن سفاسفها :

من كبرت عن قدره خطة داخله من أجلها الكبر
ولاية الإنسان سكر فما دامت له دام به السكر
دعهم مع الدهر وأحداثه حتى ترى مايضع الدهر(٤)

ويتوجه إلى الظالمين البغاة ويدعوهم أن يكفوا عن غيهم :

أيها المستطيل بالبغي أقصر ربما طأطأ الزمان الرؤوسا
وتذكر قول الإله تعالى إن قارون كان من قوم موسى(٥)

---

(١) رحلة العبدري : ٩٨ .

(٢) كواشح : جمع كاشح وهو الذي يضمر العداوة ، وفي رحلة العبدري إشارة إلى أن البيتين من قول الحسن رضي الله عنه .

(٣) نفح الطيب ٢ / ٤٩١ ، الذيل والتكملة ٥ / ٦١٣ .

(٤) الذيل والتكملة ٥ / ٦١٣ .

(٥) دائرة المعارف (قاموس عام لكل فن ومطلب) البستاني ج١ ، ص ٤٢٥ .

ويسترسل في توجية النصيحة للالتزام بالدين الحنيف وعدم إهدار الوقت بجمع المال ، ويدعو الانسان إلى التواضع ، ويزين صنع المعروف في أهله ويتحدث عما يلقاه من إخوان الزمان ويفقد الأمل في صلاحهم يقول :

صبرتُ على غدر الزمان وحقده ... وشاب لي السم الزعاف بشهده
وجريت إخوان الزمان فلم أجد ... صديقاً جميل الغيب في حال بعده
وكم غرني تحسين ظني به فلم ... يضيء لي على طول اقتداحي لزنده
وأغرب من عنقاء في الدهر مغرب ... أخو ثقة يسقيك صافي وده
بنفسك صادم كل أمر تريده ... فليس مضاء السيف الا بحده
وعزمك جرد عند كل مهمة ... فما نافع مكث الحسام بغمده
وشاهدت في الأسفار كل عجيبة ... فلم أر من نال جداً بجده
فكن ذا اقتصاد في أمورك كلها ... فأحسن أطوال الفتى حسن قصده
ومايحرم الانسان رزقا لعجزه ... كما لاينال الرزق يوماً بكده
حظوظ الفتى من شقوة وسعادة ... جرت بقضاء لاسبيل لرده[1]

وقال في الحكمة :

وكم من صاحبٍ عاشرته وألفتُه ... فما دام لي يوماً على حسن عهدهِ

---

(١) نفح الطيب ٢ / ٤٩٠ - ٤٩١ .

٢ - الزهد :

وأرى أن رحلات ابن جبير قد أفسحت من تفكيره ووسعت مداركه وأكثرت تجاربة ، وظهر أثر ذلك واضحاً جلياً فيما سطر من أقوال أو أشعار ومن ذلك قوله في الزهد في الدنيا والتطلع إلى الأخره .

عجبتُ للمرء في دنياه تطمعه ... في العيش والأجل المحتوم تقطعه
يمسي ويصبح في عشواء يخبطها ... أعمى البصيرة والآمال تزرعه
يغتر بالدهر مروراً بصحبته ... وقد تيقن أن الدهر تصرعه
ويجمع المال حرصاً لايفارقه ... وقد درى أنه للغير بجمعه
تراه يشفق من تضيع درهمه ... وليس يشفق من دين يضيقعه
وأسوا الناس تدبيراً لعاقبة ... من أنفق العمر فيما ليس ينفعه

٣ - الشوق والحنين :

قام ابن جبير برحلات ثلاث وبينها كان دائم الشعور بالشوق والحنين فحين يكون في وطنه يشتد به داعي الشوق إلى الأماكن المقدسة ، وما أن يفصل عن البلاد المقدسة ويبتعد في يزداد شوقه وحنينه ويعود إلى وطنه الذي تغرب عنه يقول وقد استعد إلى الرحلة الحجازية (١) :

---

(١) نفح الطيب ٣ / ٤٩٠ .

أوقل وقـد دعـا للخيـر داع | حنت له حنين المستـهـام
حـرام أن يحل بي اعـتيـاضي[1] | ولـم أرحل إلى البـيـت الحـرام
فـلا طافت بي الآمـال إن لم | أطف مـا بين زمـزم والمقـام
ولاطابت حـيـاة لي إذا لم | أزر في طيـبـه خيـر الأنام

[illegible] في مكة [illegible][2]

وجده وشوقه ليقول :

ياوفود الله فـزتم بالمنى | فـهنيئـاً لكم أهل منى
قـد عـرفنا عرفـات معكم | فلهـذا برح الشـوق بنا
مـاعنى داعي النوى لما دعـا | غـيـر صب شفه برح العنا
سكان وادي العقيق شوقي | إليكم في البـعـاد زادا
ونـظرة منكم المنى لـو | أهديتموها إلى زادا [3]

وينفد وجده بفراق أهل طيبة فيجاري دمعه أدمع المزن وترهف مشاعره بحب النبي صلى الله عليه وسلم فحين يقترب من مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ينير سراج الهدى له الدرب والليل يتجلى نهاراً ، وشذا

---

(١) الاعتياض : طلب العوض .

(٢) زاد المسافر ١١٥ .

(٣) المغرب ٢ / ٣٥٨ ، نفح الطيب ٢ / ٤٨٦ .

المسلك يفوح من الديار والرواحل تبتدر وهو لايملك الا البكاء ويقول :

ويسير ابن جبير في وصف الشوق وعظيم السرور في قربه من الرسول صلى الله عليه وسلم ويعاود البكاء في تذكر الأوطان

أننا لم نطق ... عنهـا غليتنا انفجار

ويرسل للغرب من دمعه غروباً لتسقى سكانه

لاتغترب عن وطن واذكر تصاريف النوى

أما ترى الغصن إذا ما فارق الأصل ذوى

وتجود قريحته بشعر مملوء بالعواطف وهو على ظهر البحر عائداً من رحلته الأولى .

ياليت شعري والآمال معوزة وربما أمكنت يوماً لمختلى[1]

وهل تعودن أيام رشفت به سلافة[2] العيش أحلى من جنى اللعس[3]

حيث انبسطنا مع اللذات تنقلنا أيدى المسرات من عيدي إلى عرسي

---

(١) الذيل والتكملة ٥ / ٦٠٤ ، نفح الطيب ٢ / ٤٨٩ .

(٢) السلاف : ماسال من عصير العنب قبل أن يعصر والخمر وسلافه كل شيء عصرته وأوله .

(٣) اللمس : لون الشفه تضرب إلى السواد .

وشوق ابن جبير وحنينه متصل كما يلاحظ بوطنه في أكثر القطع التي نظمها في الوطن وذكريات عزيزه تقترب بالأهل الذين خلف فيهم الله سبحانه واستودعه إياهم :

وقال وهو يودع أهله :

أقول وقد حان الوداع وأسلمت   قلوب إلى حكم الأسى ومدامع
أيارب أهلي في يديك وديعة   وماعدمت صوناً لديك الودائع(١)

وهو يتشوق لأهله وخلانه في قطع أخرى فيكتب أبياتا يخاطب فيها البجائي والي قضاء سبتة بلواعج شوقه وحبه لزوجه التي وسدها الثرى هناك :

فلو استطيع ركبت الهواء   فزرت بها الحي والميتا

---

(١) نفح الطيب ٢ / ٤٨٥ .

المديح :

قصيدة المديح عنده ليست تقليدية فهو لايسبغ الفضائل جميعها على ممدوحه كالكرم ، والشجاعة والصدق والغيرة ، وكذلك يترفع مدحه عن التكسب الذي انتشر عند شعراء المديح . فمن خلال القصائد التي بين أيدينا تقترن قصيدة المديح عنده بسلوك الممدوح النابع من موقف متصل بأحوال المسلمين فهو يوجه للشخصيات السياسية والدينية التي أعجب بها، ومدحه غير مقترن بمال أو عطاء يقول :

وحبك أنطقني بالقريض　　　وما أبتغي صلة الشاعر

وأبرز من مدحه صلاح الدين . مدحه عندما أذهلته انتصاراته وليس لدينا دليل على أنه التقى به . وقد خاطبه بقصيدة طويلة ونظمها حين وصل المدينة النبوية المنورة استهلها بقوله :

صلاح الدين أنت له نظام　　　فما يخشى بعروته انفصام

وما ورد في العقيدة من مديح بالأسلوب المباشر وتعداد خلال الممدوح وصفاته قليل جداً إذ وصف ما وقف عليه من أعمال وإنجازات القائد صلاح الدين الأيوبي .

وقال يمدح صلاح الدين الأيوبي :

أطلتَ على أفقك الزاهر سعود من الفلك الذائر [1]
فأبشر فإن رقاب العدا تمد إلى سيفك الباتر
وعما قليل يحل الردى بكيدهم الناكث الغادر
وخصب الورى يوم تسقى الثرى سحائب من دمها الهامر
فكم لك أمن فتكة فيهم حكت فتكه الأسد الخادر
كسرت صليبهم عنوة فلله دُرك من كاسر
وغيرت آثارهم كلها فليس لها الدهر من جابر
وأمضيت جدك في غزوهم فتعساً لجدهم العاثر
فأدبر ملكهم بالشآم وولى كأمسهم الدابر
جنودك بالرعب منصورة [2] فناجز متى شئت أوصابر
فكلهم غارق هالك بتيار عكرك الزاخر
ثأرت لدين الهدى في العدا فآثرك الله من ثائر

---

(١) الروضتين ٢ / ١٠٥ - ١٠٦ ، نفح الطيب ٢ / ٣٨٣ ، وفي بداية القصيدة التي نظمت بعد فتح بيت المقدس ٥٨٣هـ أي بعد رحلته الثانية سنة ٥٨٥هـ حيث يتوجه بالتهنئة إلى صلاح الدين وفيها إشارة إلى رفع صلاح الدين المكرس عن الحجاج الذاهبين إلى الحجاز ،أرخ ذلك أبو شامة المقدسي [٥٧٢هـ] .

(٢) تأثر ابن جبير بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم نصه « فضلت على الأنبياء بست : أعطيت جوامع الكلم ، ونصرت بالرعب ، وأحلت لي الغنائم ، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهورا وأرسلت إلى الخلق كافة وختم بي النبيون » صحيح مسلم ١ / ٣٧١ .

وقمت بنصر إله الورى   فسماك بالملك الناصر

وجاهدت مجتهدا صابراً   فلله درك من صابر

تبيت الملوك على فرشها   وترفل في الزرد السابر

وتوثر جاهد عيش الجهاد   على طيب عيشهم الناصر

وتسهر جفنك في حق من   سيرضيك في جفنك الساهر

فتحت القدس من ارضه   فعادت إلى وصفها الطاهر

وجئت إلى قدسه المرتضى   فخلصته من يد الكافر

وأعليت فيه منار الهدى   وأحييت من رسمه الدائر

لكم ذخر الله هذي الفتوح   من الزمن الأول الغابر

وخصك من بعد مازرته   بها لاصطناعك في الاخر

محبتكم ألقيت في النفوس   بذكر لكم في الورى طائر

فكم عند ذكر الملوك   بمثلك من مثل سائر

رفعت مغارم أهل الحجاز   بإنعامك الشامل الهامر

وأمنت اكناف تلك البلاد   فهان السبيل على العابر

وسحبُ أياديك فياضة   على وارد وعلى صادر

فكم لك بالشرق من حامد   وكم لك بالمغرب من شاكر

وكم بالدعاء لكم كل عام   بمكة من معلن جاهر

وليس على حرم المسلمين   بتلك المشاهد من غائر

ولاحـــاضـــر نافع زجـــره فـــيـــاذلة الحــاضـــر الزاجـــر
ألا نـاصح مــبلغ نـصـــحـــه إلى الملك الـنـاصـــر الظـافـــر
ظلوم تـضـــمن مـــال الزكـــاة لقـد تعـسـت صـفـقـة الخـاسـر
يســـر الخـــيـــانة في باطن ويبـدى النصـيـحـة في الظـاهر
فـــمـــا للـمنكر من زاجـــر ســـواك وبـالعـــرف من آمـــر
وحـاشـاك إن لـم تزل رسـمـها فـمـا بالك في الناس من غـادر
نذرت النصـيـحـه من حـقكم وحق الـوفـــاء عـلى الـنـاذر
وجـــهك انطقني بـالقـــريض ومـــا أبتـــغي صلة الشـاعـــر
ولا كـان فـيـمـا مضى مكسبـه وبئس البـضـاعـة للتـاجـــر
إذا الشـعـر صـار شـعـار الفـتى مـنـاهيـك مـن لـقب شـــاهـر
وإن كـــــان نـظـمـي لـه نـاداً فـــقـــد قـــيـل : لاحكم للنادر

أما ممدوحه الثاني أمير المؤمنين المنصور الموحدي، أبو يوسف يعقوب بن عبدالمؤمن فقال :

بالغت أمـيـر المؤمنين مـدى المنى لانك ، قـد بلغـتنا مـانؤمل
قـصـدت إلى الإسـلام تعلى مناره ومـقـصـدك كـان البـلاء مـوكل
تداركـت دين الله في أخـذ فـرقـة بمنطقـهم كـان البـلاء مـوكـل
أثاروا على الدين الحنيـفي فـتنة لهـا نار عني في القـصـائد تشعل

وقال يهجو الدهريين :

ضلت بأفعالها الشنيعه ... طائفة عن هدى الشريعة
ليست ترى فاعلاً حكيماً ... يفعل شيئا سوى الطبيعه (١)

وقال يهجو الفلاسفة :

ياوحشة الإسلام من فرقة ... شاغلة أنفسها بالسفه
قد نبذت دين الهدى خلفها ... وادعت الحكمة والفلسفة (٢)
قد ظهرت في عصرنا فرقة ... ظهورها شؤم على العصر
لاتقتدي في الدين إلا بما ... سن ابن سينا وأبونصر

وقال في الدعوة إلى الخلق الإسلامي

تأن في الأمر لاتكن عجلا ... فمن تأتي أصاب او تحادا
وكن بحبل الإله معتصما (٣) ... تأمن به بغي كل من كادا
ومن تطل صحبة الزمان له ... يلق خطوباً بابه وأنكادا (٤)

---

(١) نفح الطيب ٢ / ٣٨٥ .

(٢) نفح الطيب ٢ / ٣٨٥ .

(٣) في صدر البيت أقتباس من قوله تعالى [واعتصموا بحبل الله جميعاً] آل عمران آية ١٠٣ .

(٤) رحلة العبدري : ٧٠ .

وقال :

صُن العـــقل عن لحظة في هوى فـان البـصـيـرة طوع البـصـر [1]
وغض الجـفـون على عـفـة فــإن زناء العـيـون النظر [2]

وقال في الحكمة والخلق الإسلامي كذلك :

إياك والشـهـرة في ملبس والبس من الأثواب أسمالها
تواضع الأنسان في نفسه أشـرف للنفس وأسـمى لها [3]

وقال في الحكمة :

لصنائع المعروف فلتة غافل وإذا لم تضعها في محل قابل
كالنفس في شهواتها إن لم تكن وفقاً لها عادت بضر عاجل [4]

وقال في حب النبي وآل بيته :

أحب النبي المصطفى وابن عمه علياً وسبطيه وفاطمة الزهرا
موالاتهم فرض على كل مسلم وحبهم اسنى الذخائر للأخرى
وما أنا للصحب الكرام بمبغض فإني أرى البغضاء في حقهم كفرا

---

(١) رحلة العبدري : ٧٠ .

(٢) عجز البيت فيه اقتباس من الحديث الشريف « إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لامحالة فزنا العين النظر .. » سنن أبي داود ١ / ٤٩٦ .

(٣) نفح الطيب ٢ / ٤٥٨ .

(٤) الذيل والتكملة ٥ / ٦٠٩ ، الإحاطة ٢ / ٢٣٧ .

هم « جاهدوا في الله حق جهاده »[1] وهم نصروا دين الهدى نصرا
عليهم سلام الله مادام ذكرهم لدى الملأ الأعلى وأكرم به ذكرا[3]

في صدر البيت اقتباس من قوله تعالى : [إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت] سورة الأحزاب آية ٣٣ .

وقال في تفضيل المشرق على المغرب

لايستوي شرق البلاد وغربها الشرق حاز الفضل باسترقاق
انظر لحال الشمس عند طلوعها زهراء تصحبت بهجة الأشراف
وانظر لها عند الغروب كئيبة صفراء تعقب ظلمة الآفاق
وكفى بيوم طلوعها من غربها أن تؤذن الدنيا بوشك فراق[3]

(١) في صدر البيت اقتباس من القرآن الكريم سورة الحج آية (٧٨) .
(٢) الزيل والتكملة ٥ / ٦١٦ .
(٣) الذيل والتكملة ٥ / ٦١١ ، والأحاطة ٢ / ٢٣٧ .

سمات عامة في شعره

لاشك أن ابن جبير اطلع على الثقافة الأدبية ، ونال قسطا منها فنجده يروى الشعر، ويحفظ نماذج منه وهو يهتز لجيد الشعر ، ويعجب بابن الجوزي ، وهو ينشد بأشعـــار من النسيب .

ومن لم يحركه السماع بطيبة ... فذلك أعمى القلب أعمى التصور
وأهل الحي أهل الحجاز وكلهم ... رأوه مباحاً عندهم غير منكر
فإن رسول الله قد قال زينوا ... بأصواتكم أي الكتاب المطهر(١)
فإن آل مفرس بالسماع وحسنه ... فحسبي اقتداء بالكريم ابن جعفر

وحمل ابن جيبر قلباً كبيراً يعتلج بعاطفة جياشه ، ذلك دفعه إلى التأسي بالرحلة في سن كبيرة بعد وفاة زوجة [أم المجد] وهو أمر لايقدم عليه الكثيرون وقد حرمنا للأسف ديواناً نادراً في الشعر الأندلسي أفرده في رثاء زوجه لمكانتها في نفسه « فهو أول ديوان أفرده شاعر عربي كبير لبكاء زوجته الراحلة » (٢) وكان الشعراء قديماً قد رثوا زوجاتهم إلا أننا لانعرف من ترك ديواناً كاملاً في رثائها . ومن الذين رثوا زوجاتهم بالأندلس : ابن الزقاق البلنسي ت [٥٣٠]هـ ، والأعمى التطيلي [ت ٥٤٢هـ] وأبوعامر ابن الحمارة من شعراء القرن السادس الهجري.

ولم يكن نظم الشعر عند ابن جبير عملية مؤرقة متبعة ، وإنما كان ينسج بالشعر وينساب انسياباً ، فقد نظم قصيدته الرائية نظمها .

---

(١) الجغرافية والجغرافيون في الأندلس ، ٢٣٨, .

(٢) مقال رحلة ابن جبير ، مجلة تراث الإنسانية ١ / ٢٣٩ .

ارتجالأحين تراءت له المدنية ، يلمح العبدري ان أبن جبير متأثر في بعض أشعاره بمنصور الفقية ت سنة ٣٠٦هـ[١] .

سلك ابن جبير في أشعاره سبيلين : المقطوعات الشعرية والقصائد الطويلة والأسلوب الأول الذي كان شائعاً في عصره وأولع به شعراء الأندلس : ابن زيدون، وابن اللبانة وابن خفاجه والرصافي البلنسي وغيرهم ، ومقطعاته تؤلف من خلال مجموعة شعره نسبة كبيرة .

وفي أغلب الأحيان ، تهدف المقطوعة الشعرية لدية الإبداع الفني والبراعة اللغوية ، والكثير منها في ديوانه المرسوم « نظم الجمان في التشكي من إخوان الزمان » وقد قصد ابن جبير لتحقيق الجناس وفنون البديع الأخرى في مقطوعات كثيرة يقول فيها :

سكان وادي العقيق شوقي ... إليكم في البعاد زادا
ونظرة منكم المنى لو ... أهد يتموها إلى زادا
عهد لنا عندكم حميد ... ياليته بالوصال عادا
صادق فيه الكرى جفوني ... ويعدكم للجفون عادا[٢]

فالجناس واضح (زادا) في البيتين الأول والثاني (عادا) في الآخرين ومثل ذلك بين لفظتي [جدك] ولفظتي [الرشد] و[رشد] في قوله :

---

(١) رحلة العبدري ، ص ٧١ .

(٢) الذيل والتكملة ٥ / ٦١٥ .

لم تلزم الرشد يا ابن رشد — لما علا في الزمان جدك
وكنت في الدين ذا رياء — ما هكذا كان فيه جدك

وتعلق ابن جبير بالجناس في منظومة له [لزوم مالايلزم] وهوأن يأخذ الشاعرنفسه بالتزام حروف وحركات في القافية لاتتطلبها قواعد علم القافية، وتتجلى قابليته أبرع ماتكون في قوله :

إذا بلغ المرء أرض الحجاز — فقد نال افضل ما أمله
وإن زار قبر نبي الهدى — فقد ا كمل الملة [illegible]

وقوله :

هنيئاً لمن حج بيت الهدى — وحط عن النفس أوزارها
وإن السعادة مضمونة — لمن حل طيبة أوزارها(١)

ويلاحظ ان ابن جبير يلتزم بوحدة زمنية طويلة ، كما هو واضح في المقطوعتين الأخيرتين ، وهو في هذا يعكس لنا ملكته اللغوية وثقافته فيهاومن فنون البديع الاخرى التي التزمهافضلا عن الجناس حسن التقسيم والتورية يقول :

أخلاء هذا الزمان الخؤون — توالت عليهم حروف العلل
تغير إخوان هذا الزمان — وكل صديق عراه الخلل
وكانوا قديماً على صحة — فقد داخلتهم حروف العلل
قضيت التعجب من أمرهم — فصرت أطالع باب البدل

---

(١) نفح الطيب ٢ / ٤٩٣ ، الإحاطة ٢ / ٢٣٦ - ٢٣٧ .

وكذلك نجد أن ابن جبير يكثر الاقتباس من القرآن الكريم والحديث الشريف والأمثال العربية المأثورة مكرراً ذلك في قصائد ومقطوعات كثيره ، ومن تأثره بالقرآن الكريم يقول [وكن بحبل الله معتصماً] (اذهب الرجس عنهم) [وجاهدوا في الله حق جهاده] (وأن قارون كان من قوم موسى) .

وفي اقتباسه الحديث الشريف يدرك غايته كذلك بالوعظ والنصح من ذلك قوله [جنودك بالرعب منصورة] (آثرت درء الحد عنهم بشبهة) (فإن زنا العيون النظر) وفي كثير من اقتباساته يغير بزيادة أو نقصان أوإبدال ، فإذا لم يقتبس قاس المعاني بلطف وبلاغة فصاغها في قالب جديد .

من الله فاسأل كل شيء تريده فما يملك الانسان نفعا ولاضرا

أما المعاني التي تجرى فيها أشعاره فتمثل فيها نظرة الفقيه المسلم للخلافة ونزعة الفقيه في محاربة المنكر وهو يتضرع إلى ربه دائماً لطلب المغفرة ويعلن حربه على الشهوات ويسعى لبذل الخير للناس وإعانتهم .

شعر البلوي :

اهتم البلوي برواية الشعر العربي وحفظه وبالأخص الشعر الأندلسي وكتابة (تاج المفرق) مليء بمحفوظاته في هذا الباب ، وقد روى لنفسه كثيراً من القصائد والمقطوعات فمنها ما ارتجله بمصلى تونس في عيد النحر (من سنة ٧٣٧) هجرية .

أتي العيد واعتاد الأحبة بعضهم ... ببعض واجباب الميتم قد بانوا

واضحى وقد ضحوا بقربانهم وما ... لديه سوى جمر المدامع قربان(١)

ومن شعره :

بعثت خيالا والعواذل ضجع ... فسرى ينم به شذا يتضوع

ودنا يعاطيني الحديث على دجى ... كأس الثريا في يديه تشعشع

وكأنما الإكليس جام مذهب ... بيواقت الجوزاء فيه مرصع

نادمت فيه اخا الغزالة جؤذرا ... يغذو باكناف القلوب ويرتع

في ليلة لا الوصل فيها بيننا ... خجل ولاقلب العفاف مروع

(*) صاحب الرحلةالتي سماها (تاج المفرق) وكنيته ابو الغفار ، ولعل له كنيتين ، ترجم له في الأحاطه ١ : ٥٠٨ ، وذكر الحضرمي في فهرسته (انظر نيل الابتهاج : ٩٩ ظ . فاي) وانظر النفح ٣ : ٢٨٥ ولقد لقي في رحلته كثيراً من العلماء وأخذ عنهم ، غادر ، بلده يوم السبت ١٨ صفر سنة ٧٣٠هـ وكان أخوه قد بقه متوجهاً إلى الحجاز فالتقيا في الاسكندرية ، ولما عاد إلى الأندلس اصبح قاضياً وظل في القضاء زمناً طويلاً . انظر الكتيبة الكامنة ، ابن الخطيب ، ص ,١٣٤

(١) تاج المفرق ، البلوي ، ج١ ، ص ٤٠ .

رق الهواء بها ورق لي الهوى فمشى موشى بيننا وموشع
ياجيرة جار الزمان بعدهم لم يخل منكم في فؤادي موضع
لم تسكنوا وادي الاراك وانما قلبي مضيفكم ودمعي المربع
والله ما ضحك الربيع بربعكم الا وعن عيني بمزن يهمع
وإذا شكوت إلى الصديق فانه يسليك او يغنيك او يتفجع
ياباغا تنشق عنه سحابة عن مثل مدمعي السفوح وتقلع
اشبهت من اهواه حين تبسم فأصبت الا أنه هو أنصع
بالله خذعني تحية نازح لم يبق فيه اليوم فيما يطمع
ما كان اطيب عيشنا الماضي بها لو كان ذلك العيش فيها يرجع
ايام نغفر للصبا ذنب الهوى ونشفع الوجه الجميل فيشفع
فأسرني تبديد دمعي لؤلؤا وعهدته بين الحسان يجمع[1]

ومن شعره الذي ارتجله بالاسكندرية :

شكوت هواه إلى ردفه وهل يسمع الموج شكوى الغريق
وأرخصت لؤلؤ دمعي به ولم أدر كيف يباع العقيق[2]

(١) الكتيبة الكامنة ، لابن الخطيب ، تحقيق الدكتور / إحسان عباس ، ص ١٣٨ .

(٢) تاج المفرق ، البلوي ، جـ١ ، ص ٤٢ .

وله قصيدة رائعة أنشدها لما تراءت له المدينة المنورة شوقاً وحنيناً لزيارة مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكان البلوي حسن الصوت يتحلى الناس برنين أنشاده وقد قال فيه ابن بناته (يقرظ اذناً ببيانه وصوته)(١)

أما شعره عن المسجد الأقصى فيقول « فوصلنا إلى مدينة القدس الشريف وبها اجتمعت بأخي محمد حيث تركته بعد ما جال في أطراف بلاد الشام ، وكاد يبلغ مدينة السلام فكان بذلك لنوم عيني سبيل وعهدي بالنوم عهد طويل ويقول : « وأقمنا بالقدس الشريف ملتمسين البركة في ذلك الحرم العظيم إلى أن خرجت منه بالرغم وتزودت ملتفتا إلى تلك الربوع ومكفكفا الدموع فينت عنه مرتحلا ، وفيه أنشأت عاجلاً وأنشدت مرتجلاً:

خليلي في ربع الخليل من نفسي ... وفيك فؤادي أنت ياحرم القدس
أحن إلى تلقاء هذا حبابة ... وألمح من هذا سني البدر والشمس
مواطن لو انصفتها جئت زائراً ... إليها على العينين والخذ والرأس
ولو أنني أعطي مرادي بينها ... لما رحلت من دونها أبداعني
وكيف رحيلي عن معاهد لم تزل ... على الحل والترحال لي غاية الأنس
أروح واغدو بينها شيقالها ... واصبح فيها مستهاما كما أمسي
بلاد خليل الله والمسجد الذي ... صلاة به في الأجر كالمائه الخمس
وموطن معراج النبي محمد ... وقد هب غمض النوم في الأعين النعس
وموطن اقدام الرسالة والهدى ... وقد لان صلد الصخر في ذلك اللمس

(١) مرجع سابق ، ص ٤٢ .

أيا مسجداً قد بارك الله حوله | وعظمه في العرب والعجم والفرس
رحلت وفي قلبي لأجلك لوعة | فلم يبلها مني الزمان ولم ينسى
وازعجني عنك النوى وهي دائماً | تعاملني في جمع شملي بالعكس
وعندي إلى لقياك أي تشوق | به أعتدي دهري والحد في رمسي
عسى عودة او زورة تنقع الظما | وتخلع عني للظما وأرس للبس
وإن كانت الأخرى ولم تلء أوبة | فأهدى سلامي في القراطيس بالنفس [١]

ونجد أن البلوى قد أحسن في وصف بيت المقدس وقد أفاض في التفنن في وصف محاسنها المختلفة .

وقد تأثر البلوي في ابن جبير عندما قال معبراً عن امله من رحلته :

طال شوقي إلى بقاع ثلاث | لاتشد الرحال إلا إليها
ان للنفس في سماء الأماني | طائر لايحوم إلا عليها
قص منه الجناح فهو مهيض | كل يوم يرجو الوقوع عليها

ونجد أن ابن جبير قد حج مرات عديدة ، وزار ولكنه لم يتمكن زيارة بيت المقدس لانه كان في ايدي الصليبين ، وقد قال في (الرحلة) عندما ورد ذكره عرضاً : والله يعيده إلى أيدي المسلمين ، ويطهره من أيدي المشركين بعزته وقدرته [٢] .

---

(١) تاج المفرق : ج٢ ، ص ١٥ ، ومجلة دعوة الحق المغربية العدد ٥ ، السنة ٢٢ ، شوال سنة ١٤٠١هـ ، مقالة : القدس الشريفة في كتب الرحالين المغاربة ، محمد إبراهيم الكناني ، ص ٥٨ .

(٢) مجلة دعوة الحق المغربية ، مقال القدس الشريف وفلسطين في كتب الرحالين المغاربة ، محمد بن الكناني ، ص ٤٧ .

- الحنين والشوق :

وفي خروجه من بلده فتورية البلد الذي طال سناه وطاب مغناه وقد ودع أهله ، ومتجرعاً من ذلك ماليس بالعذب ولا بالسهل .

ودعت قلبي يوم ودعتهم وقلت ياقلبي عليك السلام
وقلت للنوم انصرف راشدا فان عيني بعدهم لاتنام
محرم ياعين ان ترقدى وليس في العالم نوم حرام

ونجده هنا قد أسرف في العاطفة وكان لذلك الوداع موقف مشهود = نثر فيه من جمان الدمع لؤلؤاً منظوماً قائلاً :

موقف للفراق أرخص فيه كل در لنا وكل عقيق
بدموع كوجدنا في اجتماع ودموع كالشمل في التفريق[(١)]

وشده حنينه وشوقه حين الوداع قائلاً :

أقول لصحبي حين ساروا ترفقوا لعلى أرى من بالجناب الممنع
وألثم أرضا ينبت العز تربها وأسقى ثراها من سحائب أدمعي
وينظر طرفي أين أترك مهجتي فقد أقسمت أن لاتسير غدا معي
ومأنا ان خلفنها متأسفا عليها وقد حلت بأكرم موضع[(٢)]

---

(١) تاج المفرق : البلوى ، الجزء الأول ، ص ١٤٤ .

(٢) المصدر السابق ، ١٤٥ .

وفي موضع آخر يودع أبا أبو الحسن علي المشتهر (بالمنتصر) في تونس وهو من العلماء الزاهدين بقوله :

ماذا وقوفك والركاب تساق   أين الجوى والمدمع المهراق

الغير هذا اليوم يخبأ أو ترى   بخلت عليك بمائها الآماق

حتى لقد رحلوا بقلبك والكرى   أن النواظر لا الدموع تراق[1]

مدح النبي والشوق والحنين إلى المدينة المنورة :

ويصور لنا البلوي حين قدم إلى المدينة المنورة يصفها (بالصفة الزهراء والتربه البيضاء ، والبقعة المشرفة بمسجد صلى الله عليه وسلم سيد الأنبياء صلى الله عليه وسلم)[2] .

ويقول وأرسلت دمعي سجالا ونظمت ارتجالا :

الله أكبر حبذا إكباره   لاح الهدى وبدت لنا أنواره[3]

لاحت معالم يثرب وربوعها   مثوى الرسول وداره وقراره

هذا النخيل وطيبة ومحمد   خير الورى طراً وها أنا جاره

هذا المصلى والبقيع وهاهنا   ربع الحبيب وهذه آثاره

هذي منازله المقدسة التي   جبريل ردد بينها تكراره

---

(١) تاج المفرق ، البلوي ج١ ص ١٤٤ .

(٢) المصدر السابق ، البلوى ، ج١ ، ص ٢٨٢ .

(٣) في الكتيبة الكامنة ، لابن الخطيب اورد الشطر الثاني من البيت : (هذا الشفيع لنا وهذي داره) ص ١٣٥ .

هذي مواضع مهبط الوحي الذي　　تشفى الصدور من العمى اسطاره

هذي مواطئ خير من وطئ الثرى　　وعلا على السبع العلا استقراره

ملأ الوجود حقيقة إشراقه　　فأضاء منه ليله ونهاره

والروضة الفيحاء هب نسيمها　　والبان بان ونم منه عراره

وتعطرت سلع فسل عن طيبها　　لم لاتطيب وبينها مختاره

بشراك ياقلبي فقد نلت المنى　　وبلغت ماتهدى وما نختاره

قد كان عندي لوعة قبل اللقا　　فالآن ضاعف لوعتي ابصاره

رفقا قليلاً دموعي اقصري　　فالدمع يحسن في الهوى اقصاره

أيضيع من زار الحبيب وقد درى　　ان المزور ببابه زواره

رحماك فيمن او بقته ذنوبه　　فكانما إقباله وإدباره

ليس الصغار وقد تعاظم وزره　　والعفو تصغر عنده أوزاره

وافي حماك يفر من زلالته　　واليك ياخير الأنام فراره

وأتاك يلتمس الشفاعة والرجا　　يقتاده وظنونه أنصاره

والعبد معتذر ذليل خاضع　　ومقصر قد طولت اعذاره

متوسل قد أغرقته دموعه　　متوصل قد احرقته ناره

قذفت به في غربة اوطانه　　ورمت به لعلائكم أوطاره(١)

---

(١) تاج المفرق في تحلية علماء المشرق ، خالد البلوي ، جـ١ ، ص ٢٨١ ، والكتيبة الكامنة للسان الدين بن الخطيب ، تحقيق د . إحسان عباس ، ص ١٣٦ .

لقد أفاض الرحالة الأندلسيون في ذكر المقدسات معبرين بها عن عواطفهم الدينية ومشاعرهم الروحية وانتشر هذا الأسلوب من التعبير في رحلاتهم ، فقد أضحت أسماء الأماكن الحجازية ذات ظلال محببة إلى نفوسهم وإيحاءات مثيرة للشجون في قلوبهم .

« ولعل السبب في هذا يعود إلى الهزائم التي مني بها الحكم الإسلامي خلال هذا العصر في الأندلس ، واليأس من مقدرة الحكام المسلمين على صد الأعداء وحماية مابقي بيد المسلمين من المدن ، فالتجأت النفوس المؤمنة وأشار بالله .. إلى التشفع بالنبي والاستنجاد به في تلك المحن التي كان المجتمع الإسلامي في الأندلس يرزخ في تحتها » [١] وقد وجدنا البلوى في رحلته مثالا على هذا الجانب ، وأشار إلى جملة مناقب ومآثر للرسول صلى الله عليه وسلم بأسلوب شيق يشيع فيه الحوار وذلك أن مدح الرسول صلى الله عليه وسلم هو وسيلة من وسائل نصر الدين ضد الأعداء ، ونجد البلوي في مدحه للنبي صلى الله عليه وسلم شعره مفعماً بالشوق وصدق العاطفة وفي قصائد ضرب لنا أروع المثل في تلك القصائد التي يتشوق فيها إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأراد البلوي في شعره استمالة سامعية بذكر المكان المناسب ، وبذلك الأثر الذي يتركه في نفوس المتعلقين وبنشوة التقوى التي يحملها النسيم من مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيتهيأ

---

(١) الأدب الأندلسي في عصر الموحدين ، د . حكمة علي الأوسي ، ص ٢٣٥ .

المتلقون لسماع قصيدته التي ترقق عواطف السامع وهو مايلائم موضوع القصيدة ، ويستميل القلوب ، ويشحن الوجدان بالمشاعر الدينية السامية وقد كان لحنين الأندلسيين وتشوقهم للأماكن المقدسة لون خاص ، نبع من بعد بلادهم عن الحجاز ومايتجشمونه في الرحلة إليه . فكان الوصول إلى الأماكن المقدسة عندهم غاية لاتدرك ، وأمنية الأماني ، وخاصة في الأوقات التي ينقطع فيها الطريق ، وتحفه المخاطر في البر والبحر .

لذلك يجتاحهم شوق جارف لرؤية هذه الأماكن ، فإذا قعدت ببعضهم الموانع عن تحقيق رغبتهم التي تسكن نفوسهم ، يكون حالهم مثلما وصفه ابن العريف [1] في قوله :

شدوا المطى وقدنالوا المنى بمنى ... وكلهم بأليهم الشوق قد باحا
سارت ركائبهم تندى روائحها ... طيبا بما طاب ذاك الوفد أشباحا
نسيم قبر النبي المصطفى لهم ... روح إذا اشربوا من ذكره راحا
ياواصلين إلى المختار من مضر ... زرتم جسوماً وزرنا نحن ارواحا[1]

وقد أصبح ذكر الأماكن المقدسة تقليداً لدى الرحالة الأندلسيين يثير لديهم مشاعر الوجد الديني والحنين إلى مهبط الوحي ، وتشيع في حنايا نفوسهم دفء الطمأنينة والقداسة فإظهار الشوق إلى الأماكن المقدسة ، يكاد

---

(١) ابن العريف : أحمد بن محمد بن موسى الصنهاجي الأندلسي ، فاضل اشتهر بالصلاح له مشاركة في العلوم والشعر ، صنف كتاب (محاسن المجالس) ،توفي سنة ٥٢٦هـ شذرات الذهب ، ابن العماد الحنبلي (٤ / ١١٢) .

لاتخلو منه مقدمة مدحة نبوية ، وهو الذي يظهر عواطف الشاعر ويجلو مشاعره ويحرك المشاعر الدينية في نفوس السامعين ، ولقد تجشم الرحالة المشاق للوصول إلى تلك البقاع وهم صادقون في حديثهم عن الرحلة ، لأنهم كانوا يقومون بها . للحج أو لزيارة رسول الله صلى الله عليه وسلم ووصف المصاعب التي اعترضتهم في رحلتهم يظهرون فيه مدى محبتهم وشوقهم للرسول الكريم ، وهو مناسبة لإضفاء هذه المشاعر على رحلاتهم فتكون اعمق وأبلغ وأشد تأثيراً في النفس مثل ماعبر بذلك البلوى في مدحة للنبي صلى الله عليه وسلم في رقة الألفاظ والانسجام بين الألفاظ ودقتها وجمال التركيب وائتلاف العبارات واصالة التعبير وقد أمتاز شعر البلوي كذلك بالأصالة والقوة والجزالة وذلك فإن معظم شعره في هذا الجانب أداه بأسلوب جزل ممتع لم تنهكه الصنعه ولم تتسلل إليه الركاكة ، ولاتشعر عند قراءته بالمعاناة وإنما تجري نفس الشاعر على سجيتها ، لايقلد ولاينظر إلى أسلوب غيره ، بل يعبر بالطريقة التي سمحت بها ثقافته ولقد وصف ابن الخطيب البلوي بصفات تنم عن الرقة وسكب الدموع التي كثيراً ما نجدها في شعر البلوي يصفه «كالجمل المحتمل يريبك مجموعه ، ويهولك مرئيه ومسموعه ، فإذا زمزم الحادي [1] سالت من الرقة دموعه ، فظاهره جسم جسيم وباطنه في اللطافة نسيم ... وأدبه مشتمل على نثر ونظم شغوف ، وإلى

---

(١) الزمزمة : الصوت البعيد له دوي (القاموس المحيط الفيروز أبادي ، مادة زمم ص ١١١٨ .

اللحاق بذي الأجادة خفوف » (١) .

ولاشك أن البلوى قد أدرك فائدة الرحلات ، ولولا ذلك مارغب فيها ولاتحمل مشقتها في سبيل تحقيق مراده وماتراده إلا الشوق إلى رؤية البقاع المقدسة

يقول الشافعي [illegible]

فإن تلفت نفسي فلله درها وإن سلمت كان الرجوع قريبا(٣)

ومن يقف على ماحفظته لنا بعض كتب التراجم من شعر البلوي يجد منها عدة أمور منها أن شعر البلوي في أكثره مقطوعات قصيرة جداً .

فيكفي أنها تسجل خواطره واحاسيسه تسجيلاً صادقاً كما بين فيها عما يجيش في صدره .

« ومما لاشك فيه أن البلوي كان قد نظم قصائد في مختلف الأغراض

---

(١) الكتيبة الكامنة ، لابن الخطيب ، ص ١٣٤ - ١٣٥ .

(٢) لقد كانت للشافعي رحلات متعددة ، وأسفار كثيرة منذ صغره، إذا رحل إلى البادية صغيراً ، ولبث في هذيل سنين عدداً ، فأفاد خبره في بعض القبائل العربية وعاداتهم بالأضافة إلى لغتهم ، كما رحل في طلب الحديث والفقه ، في المدينة المنورة ولازم الأمام مالك مدة من الزمان ، ثم ذهب إلى العراق أكثر من مرة والتقى فيها بمحمد بن الحسن صاحب الأمام ابي حنيفة اضف اضف إلى ذلك رحلته إلى اليمن ، لكي يتولى بعض أعمال ولاتها ، واخيراً رحلته إلى مصر واستقراره فيها ونشر مذهبه الجديد ، وذاع صيته ، وبها كان مثواه .

(٣) ديوانه ص ٥٥ .

التقليدية التي عرفها الشعر العربي عبر مسيرته التاريخية الطويلة من مدح ورثاء ووصف وإخوانيات غير أننا لانملك من شعره اليوم سوى أبيات من قصائد المدح وبعض قصائد الرثاء أضف إلى ذلك مقطعات شعرية عبر فيها عن ذاته وعن المحن التي اعترته » [1] .

ومن المحن التي واجهته « عدة محن منها محنته عند عودته إلى المغرب بعد خروجه من الاسكندرية حيث تآمر عليه صاحب المركب ففر تاركاً أبا البقاء وأخاه في العراء فتكبد اشقاء مريراً وجوعاً مؤلماً حتى رجعا إلى الإسكندرية ، ومنها محنته بعد خروجه من بجاية التي كانت تحت امرة أبي زكريا يحيى بن يحيى بن أبي بكر حيث اعترض قافلتهم عربان جبل ، فوقعت معركة انهزم فيها أعداؤهم وسلم الله أبا البقاء » [2] .

وكان البلوي قد ذاعت شهرته في الأوساط الأدبية بالأندلس والمغرب ، غير أنه لم يكن كاتبا فحسب بل كان إلى جانب ذلك شاعراً تفتقت شاعريته منذ صغره ، وقد أشاد معاصروه بشاعريته إذ « يحدثنا ابن سعيد المغربي أنه في أثناء لقائه إياه بإشبيليه أنشده قصائد طويلة تدل على طول نفسه وشدة معالجته للشعر وممارسة له ونبوغه فيه » [3] ولايتكلف في قول

---

(١) سيرة كاتب موحدي ، أبو القاسم البلوي ، د . محمد مفتاح مقال في مجلة دراسات اندلسية ، عدد ٢٣ ، ص ٣٩ .

(٢) مقدمة تحقيق تاج المفرق ١ / ٥٤ .

(٣) اختصار القدح المعلى ، ص ١٢٠ .

الشعـر بل يأتيـة طوعـاً ، ولعل الذي سـاعـد البـلوي على ذلك ممارسـتـه لقـراءة الكتب الأدبيـة مع صفـاء ذهنه، وقوه ذاكـرته يضاف إلى ذلك طبـعه الميـال إلى الأدب والشـعـر بـالرغم من شـهـادة مـعاصـرية ومن تلاهـم وبالرغم من تفـوق البلوى في قول الشعر وبغزارة إنتاجه فيه فإننا لايتوفر من شعره إلا على نسبة قليلة متفرقة في بعض المصادر التي ترجـمت له مما يجعلنا لانستطيع أن نتمثل شاعريتـة تمثيلاً حقيقـياً ويجعلنا أيضاً لانسـتطيـع أن نلم بمختلف جوانب تلك الشاعـرية ونصدر حكمـاً نطمئن إليه كل الأطمئنان ، وإن كنا نعتـقد أن بعض القصائد لديه لاتمثل الصوره الحقيقية لشاعريته ، كما أنها ، كما أنها لاتصور الوجه الحقيقي للشاعر كما عرفه أصدقاؤه وتلامذته وكما صور لنا معاصروه

وقال الأستاذ السائح عن البـلوي ورحلته « تعتبر رحلة البـلوي ذات قيـمة كبـرى سواء من الوجهـة التاريخيـة أو الأدبية أو الاجتـماعيـة أو العلمية ، فقد كـان يسجل مـذكـراته بضبط تام ودقة ولايعتمـد عـلى ذاكـرتـه ، وقـد أتيح له بفـضل مـا أوتيـة مـن لبـاقـه ودراية أن يتـصـل بالأعـلام ورجـال الفكـر في أهم حـواضـر الإسـلام ، فكان أول من حـمل إلى الأندلـس والمغـرب ديوان ابن نبـاته ومجـمـوعـة من أشعـار شهـاب الدين ابن أبي الثناء الحلبـي وعـدداً مـن الكتـب » [1] .

والملاحظ أن الصـيغـة الأدبيـة طغت على هذه الرحلة ، فـصاحـبـها مـولع بالشعر يستعمل السجع ويتأنق في اختيار عبـاراته ويطنب في تحلية العلماء

---

(١) نيل الإبتهاج : ١٧٤ .

وهو حريص على لقاء أعلام كل بلد يحل به وعلى الاستفادة منهم والرواية عنهم بحيث تجلت صبغة الفهرست في هذه الرحلة ، وتضمنت إفادات عن الشيوخ قد لاتتوفر في كتب التراجم حتى أصبحت مصدراً لبعض المترجمين مثل أحمد بابا التنكبي الذي قال عنها : « وقفت على رحلته في سفر وفيها فوائد ونقلت منها تراجم » (١) .

الرثاء عند البلوي :

يعتبر الرثاء من الأغراض التي طرقها البلوي وبرز فيها ، وليس بين أيدينا قصائد مستقلة في هذا الغرض بل كل ماوصلنا منها هو عبارة مقتطفات وقصائد « ولم يرث البلوي أحد من أقربائه أو ذويه بل رثى اصدقاءه كما رثى الولاة والأمراء الذين ارتبطت حياته بهم وخاصة صديقة وولية الحميم ابراهيم المعروف بالأحوال الذي تأثر البلوي بوفاته وخلد ذكره بقصائد رثائية رائعة معبرة تدل على تأثره العميق لوفاته وحزنه الشديد على مفارقته ، ومن القصائد في هذا الشأن التي وصلتنا رسالته في رثاء بعث بها البلوي لأبي مروان الباجي الذي ورد لحضور جنازة أخية في مدينة مراكش ، أما المرثي فهو أبو عبدالله محمدالإشبيلي ، كان متصفاً بالوقار والتدين ولي الخطبة والقضاء ببلده إشبيليه (٢) .

وقد افتتح البلوي قصيدته في رثائه بأبيات مدح بها أخاه باعتباره كان قد

---

(١) نيل الأبتهاج التنبكتي : ١٧٤ .

(٢) سيرة كاتب موحدي ، د . محمد مفتاح مقال في مجلة دراسات أندلسية ص ٤٨ العدد ٢٣ والتكملة : ٢ / ٦٣٧ .

خلفه ، وباعتبار ان البلوي بعث إليه بهذه الأبيات معزياً له ومسرياً عن همه وحزنه ، ثم تخلص البلوي بعد ذلك إلى التعبير عن فداحة المصاب بفقد من فقد مذكراً بما دهى الناس من حزن عليه ، فأضحى شمل سرورهم متصدعاً بعد أن كان مجتمعاً يقول معبراً عن ذلك :

على أن المصاب بـــلا امتــراء بفقد أخيكم جــــلل شنيــــع
وأضحى الناس يومئذ جميــعاً وشمل مســــرورهم بدد صديــــع

ثم انتقل البلوي إلى ذكر مناقب المرثي من تواضع وتقوى وكذلك مزايا الباجي :

مضى الباجي فنادى اهل حمـص لقد ذهب التـــواضع والخشـوع (١)

ويعقب بعد ذلك بأبيات يبين فيها أن الله قد هدى الإنسان ومع ذلك يسير الأنسان في طريق الضلالة :

هــــدانا الله للتقــــوى وإنـــا لنا في حــــوض غفلتنا كــــروع
ويوقظنا الحمــــام بكــــل حين ونحــــن لطول غفلتنا هجــــوع

ويختم قصدته بالتفجع على صديقه وذكر مكانته في نفسه

فكم ابكـــــى عليه بكـــل دمع ولا تجــــدي على ميت دمــــوع
ومد الله عمــــــــرك في سرور ودام لعــــزك المجــــد المنيــــع

ويظهر من خلال ماتبقى من هذه القصيدة الرثائية التي مزج فيها البلوى المدح بالرثاء أنها جيدة السبك حسنة النظم سهلة الألفاظ بديعة التراكيب .

---

(١) المصدر السابق ، ص ٤٩ .

أما القصيدة الأخرى التي رثى بها والي إشبيله تعتبر من أجود ماقاله البلوي في هذا الغرض وذلك ما أسدى له صاحبه من خير معروف وأن يحزن يفقده ويتأسف لموته وان يخلد ذكراه في مراثيه .

والبلوي يستهل القصيدة بأبراز حزنه العميق على وفاة من وكان له سنداً في حياته معبراً عما اعتراه من ألم واصفاً هول المصاب وفداحته ، ومذكراً حزن الناس تفجعاً لموته ، ومن كانت الأرض تتزلزل حسرة على فقده يقول في هذا الصدد :

سلب العزاء فكلنا محـــــزون خطب تهون له الخطـــوب الجون

تبكي الســـماء والأرض فيه تفجعاً ويبيت يشـــكوه التقى والدين

أما القصيدة الثالثة فقد نظمها البلوى يوم وصول ولد ابراهيم من بطليوس بعد ان مرت على وفاة والده ثلاثة عشر يوماً والشاعر من شدة الحزن والأسى قد نفذ صبره فبداله ان القصر قد غدا خالياً مقفراً وانه رسم داثر وذلك عندما سأله عن صاحبه فأخبره بأنه تبدل من سكنى القصور بسكنى القبور .

خليلي عوجا ســاعة بالمقـــابر يقضي بها دمعـــي حقـــوق الأكابر

خليلي إن لم تسعد اني علـــى الأسي فحسبي دمعي فهو في الحزن ناصري

أسيدنا غيبت عنـــي فـــي الثرى فمن لي بقلب بعد فقـــدك صابر

كفى حزنا إلى اني أرى القصر خالياً كأنـــي فـــي الرســوم الدواثـــر

اسايل فيه عنكـــــم فيقـــــال لي تبـــدل بعد القصـــر سكني المقابر[1]

تلك هي أشعار البلوي ، ولاشك أنها لم تردنا كاملة ، إذ ذكر تلميذه «ابن عبدالملك » أنه كان سريع القول قوى البديهة ومن تكن هذه صفاته لابد أن يكون إنتاجه كثيراً غير أننا نستفيد مما بقي أن شعر البلوي يميل إلى السهولة والبساطة حيث كان لايتكلف في قوله ، وأنه شاعر يسير على مذهب الأوائل . ووصفه الأستاذ محمدمخلوف» (العالم الكامل الكاتب الرحالة الأريب المطلع الأديب .. ألف الرحلة المسماه تاج المفرق في تحلية علماء المغرب والمشرق مشحونه بالفوائد وفيها من الأدب والعلوم ما لايتجاوزه الرائد »[2].

---

(١) المرجع السابق ، ص ٥٣ .

(٢) شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ، محمدمخلوف ، ص ٢٢٩ .

الفصل الثاني

النثر

أ - ابن جبير .

ب - نثر القاضي أبوبكربن العربي .

جـ - القلصادي وفنون نثره .

د - نثر ابن جابر الوادي آشي .

هـ - نثر علي الرعيني .

و - نثر ابن مروان الباجي .

نثر الرحلة عند ابن جبير

« لقد كان ابن جبير أحد أعلام الحضارة الإسلامية العربية الزاهرة في ميدان الرحلات ولقد ترك كتاب رحلته المشهور بصماته واضحة مشرقه على الأوضاع السائدة في العالم الإسلامي من يوم قام برحلته وسجل مضامينها في كتاب جغرافي أدبي لامع [1] ويؤكد الأستاذ عبدالقدوس الأنصاري في كتابه (أشهر ماكتبه ابن جبير كتاب رحلته الذي حاز شهرة عالمية واسعة ، وله نثر قيم) [2] .

وتشكل رحلة ابن جبير فنا أدبياً يقسم بالطرافة متى قورن بالأجناس الأدبية الأخرى ، ويمتاز بجمعه بين الإفادة والإمتاع فقارئ الرحلة لايطلع على العالم الذي ينقله إليه المسافر صاحب الرحلة فحسب ، بل يتعرف على أفكار وتصورات ورؤى ذلك التي ينتقل إليها ، وسواء قلنا عن الرحلة إنها جنس أدبي له من الصفات والخصائص مايكفي لتميزه عن الأجناس الأدبية الأخرى، أو قلنا عنها بإنها خطاب مخصوص له منطقة الذاتي وبناؤه ومكوناته وعناصره ، فنحن لانملك إلا أن نقرن الحديث عن الرحلة نبعت الطرافه ، فهي كذلك لأنها تتوخى الجمع بين الإفادة فهي تخبر عما تراه ، لأنها تسعى أن ترصد ماتراه (عجمياً) (وغربياً) وهي كذلك لأن

---

(١) مع ابن جبير في رحلته ، عبدالقدوس الأنصاري بين يدي الكتاب .

(٢) المرجع السابق ، ص ٩٢ .

الرحالة، أيا كان تكوينه المعرفي وأياً ، كانت أذواقه وانتماءاته ، وأياً تباينت الحوافز في الرحلة فإنه يتقمص شخصية القاص أو السارد لأن الرحلة ترسم عالما خاصا بها مختلفاً بالضرورة ، عن العالم الذي تقول إنها تتحدث عنه بالوصف والأخبار .

وفي الأزمنه القديمه كانت الذاكرة هي الوسيلة الأساس في تسجيل المشاهدات ونقل الأخبار ، نعم يخبرنا الرحالة في بعض الأحيان أنه كان يدون مايراه ويكتب مايسمعه أو يبلغه ولكنه يشعرنا مع ذلك أن الكتابة والتدوين يظلان أمرين ثانويين وأن المعول على الحفظ والذاكرة ، لذلك كانت الكتابة ممن الرحالة تذكرا واستعادة لوقائع ومشاهدات قد يكون مضى عليها في بعض الأحيان وقت طويل .

ويمكن القول إذن إن الرحلة إنباء عن ذهنية الرحالة وتصويرلمكونات (الوعي الثقافه) عنده أكثر مما هي حديث عن البلد موضع المشاهدة و .

« وأياً كانت الوظيفة التي تسعى إلى تحقيقها فإن الرحلة في تراثنا العربي الإسلامي تظل تعبيراًعن المكابدة والمعاناة لأنها سفر و« السفر قطعة من العذاب »[1] .

---

(١) صورة الآخر في أدب الرحلة المغربية المعاصرة ، سعيد بن سعيد العلوم مقالة في منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، الرباط ، سلسلة بحوث ودراسات رقم ١٢ ص ١٦ .

لقد أوضح ابن جبير جانباً مهماً من رحلته ، وصور لنا ماحصل له وكانت مؤلفاته في هذا الجانب كسباً أدبياً كبيراً للتراجم الذاتية « ورحلة ابن جبير ، وهي ذات أهمية كبرى ، إذ هي صورة عن الحياة الاجتماعية ، وهي تعد صورة واقعية صادقة عن مراحل حياة الرحالة الكبير »[1] .

« وكان ابن جبير من أوسع الرحالين العرب فكراً ، وأشملهم ملاحظات وأجملهم أسلوباً وأنقاهم تعبيراً ، وأسلسهم بياناً ، وأعمقهم استنتاجاً وإدراكاً ، وأكثرهم اهتماماً بأوضاع السياسة الإسلامية العامة في زمنه »[2] .

يقول في نثر له :

« إن شرف الإنسان ، فشرف وإحسان ، وإن فاق ، فتفضل ، وإرفاق ، فينبغي أن يحفظ الإنسان لسانه ، كما يحفظ الجفن إنسانه ، فرب كلمة تقال ، تحدث عثرة لاتقال . كم كست فلتات الألسنة الحداد من ورائها ملابس حداد » .

وقد وفق لسان الدين ابن الخطيب حين وصف ابن جبير بأنه : « كان أديباً بارعاً ، وشاعراً مجيداً » ويصف رحلته بأنه : « نسيج وحده طار كل مطار»[3] ويصف د . حسين نصار في مقدمته رحلة ابن جبير « من

---

(١) الأدب في بلاد الشام ، عصور الزنكيين والأيوبيين والمماليك ، الدكتور عمر موسى باشا ، ص ٨٢٠ .

(٢) مع ابن جبير في رحلته ، عبدالقدروس الأنصاري ، ص ١٦ .

(٣) الإحاطة في أخبار غرناطة ، ابن الخطيب .

عيون الأدب العربي »[١] ومن الأمثلة على تلك العبارات قوله واصفاً الكعبة المشرفة ومشاهداته لها :

« فألفينا الكعبة الحرام ، وعروساً مجلوة مزفوفة إلى جنة الرضوان ، محفوفة بوفود الرحمن ، فطفنا طواف القدوم ، ثم صلينا بالمقام الكريم ، وتعلقنا بأستار الكعبة عند الملتزم ، وهو بين الحجر الأسود والباب ، وهو موضع استجابة الدعوة » [٢] .

وهو مشهد وتصوير بديع يوحي بالجلال للكعبة شرفها الله . ويصف باب الكعبة المقدسة نقش بالذهب رائق الخط طويل الحروف غليظها ، يرتمي الأبصار برونقه وحسنه ، مكتوب فيه « مما أمر بعمله عبدالله وخليفته الإمام أبو عبدالله محمد المقتفي لأمر الله أمير المؤمنين » [٣] .

ولننظر إلى ابن جبير في وصفه لرحلته البحرية من غرناطة متجهاً إلى الإسكندرية قال :

« وبتنا تلك الليلة ، التي هي ليلة الخميس الغالية لليوم المذكور ، مترددين بين الرجاء واليأس ، فلما أسفر الصبح نشر الله رحمته وأقشعت السحب ، وطاب الهواء ، وأضاءت الشمس ، وأخذ في السكون البحر ، فاستبشر الناس ، وعاد الأنس ، وذهب اليأس ، والحمد لله ، الذي أرانا عظم قدرته ، ثم تلافى بجميل رحمته ولطيف رأفته حمداً يكون كفاءاً [٤] لمنته ونعمته [٥] .

---

(١) مقدمة رحلة ابن جبير . د . حسين نصار .

(٢) رحلة ابن جبير ص ٥٠ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٥٩ .

(٤) كفاء أمساء .

(٥) رحلة ابن جبير ، ص ١٠ .

نثر ابن جبير:

ووصفه ابن الخطيب في كتابه الإحاطة « كان أديباً بارعاً ، شاعراً فاضلاً نزية المهمة سري النفس كريم الأخلاق ، أنيق الطريقة في الخط ، كتب بسبتة عن أبي سعيد عثمان ابن عبدالمؤمن ، وبغرناطة عن غيره ، من ذوي قرابته وله فيهم أمداح كثيرة ، وجرت بينه وبين طايفة من أدباء عصره مخاطبات ظهرت فيها براعته وإجادته ، ونظمه فايق ، ونثره بديع ، وكلامه المرسل سهل حسن وأغراضه جليلة ، ومحاسنه ضخمة ، وذكره شهير ورحلته نسيجة وحدها طارت كل مطار ، رحمه الله »[1] .

وقال عنه الشيخ فيها الدين أحمد المقريزي في كتاب تاريخ مصر الكبير عني بالآداب فبلغ الغاية فيه ، وتقدم في صناعة القريض وصناعة الكتابة ، ونال بها دنيا عريضة ، ثم رفقها وزهد فيها »[2] .

وقال عنه صاحب « نفح الطيب المقري « وعنى بالأدب فبلغ الغاية فيه » وقال صاحب الملتمس في حقه والفقيه الكاتب أبو الحسين بن جبير » .

وقد ترجم له خير الدين الزركلي في (الأعلام) وجاءت ترجمته له موجزة ومركزة وقال إنه توفي سنة ٦١٤هـ وذكر أن الرحلة لم يصنف كتابها

---

(١) الإحاطة في اخبار غرناطة ، ابن الخطيب ، ج٢ ، ٢٣٠ / ٢٣١ .

(٢) رحلة الكاتب الأديب البارع ، د . محمد زياد ، ص ٢٣ .

ابن جبير ، وإنما قيد معاني ماتضمنته وتولى ترتيبها بعض الآخذين عنه ، وذكر الزركلي بعض كتب ابن جبير ودواوينه [1] .

وقد ترجم له د . عبدالله عنان في كتابة « تراجم إسلامية شرقية واندلسية » «من بين الرحل الاندلسيين ألمعهم » خلالا وأبقاهم ذكراً ، فهو فوق ما أسبغت عليه رحلته من الشهرة ، محدث راسخ ، وأديب بارع ، وشاعر محسن ، وكاتب بليغ ، وتعتبر رحلته بالرغم من نطاقها المحدود ، من أقيم كتب الرحلات الأندلسية وأمتعها » [2]

وقد ترجم نقولا زيادة في كتابه (الجغرافيا والرحلات عند العرب) وكراتشكوفسكي ترجم فيها عن حياته وأسرته وأورده المؤرخون الذين سبقوه ولكنه أضاف أن اسم ابن جبير هو من الأسماء المحببة إلى أسرته ، فقد حمله الكثيرون قبله [3] على أننا إذا راعينا الدقة في التعبير فإنه ليبدو لنا جلياً أن الاسم المحبب إلى أسرته هو (جبير) وذلك لأن « ابن جبير ، هو مجموعة من صفة واسم ومضاف أولهما إلى الآخر ، وجبير هو الاسم العلم فقط ، وأشاد برحلته الأولى إلى مكة حاجاً ثم قال إنه قام برحلة ثانية إلى المشرق استغرقت عامين هما : ٥٨٥هـ - ٥٨٧هـ - ١١٨٩م - ١١٩١ ولكن

---

(١) الأعلام ، لخير الدين الزركلي ج٦ ، ص ٦١٤ .

(٢) تراجم إسلامية شرقية وأندلسية ، محمد عبدالله عثمان ص ٣٢٨ .

(٣) تاريخ الأدب الجغرافي ، كراتشوفسكي ، القسم الأول ، ص ٢٩٩ .

لم يحفظ لنا التفاصيل عنها ، وأضاف قوله : قد قام برحلة ثالثة إلى المشرق وهو شيخ كبير ، وقد أحزنته وفاة زوجه في سنه ٦٠١هـ - ١٢٠٤م ولم يرجع إلى الأندلس مرة أخرى بل أمضى أكثر من عشرة أعوام متنقلاً بين مكة وبيت المقدس والقاهرة ، تنقلاً بالتدريس والأدب إلى أن وافقه المنية بالاسكندرية في عام ٦١٤هـ [١] .

وكان حديث كراتشكوفسكي عن رحلة ابن جبير الأولى ، ممتازاً قال « إنه ترك لنا وصفها على هيئة يوميات ، في كتاب منفرد وضعه بعد رجوعه حوالي ٥٨١ - ١١٨٥م وأبدى رأية في أن عنوان الكتاب غير معروف له بالضبط ورجح أن يكون اسمه الأصلي (رحلة الكناني) وليس هذا الترجيح نابعاً من رأيه فإنه قد تابع فيه صاحب كشف الظنون حاجي خليفة [٢] .

وروى بعض هذه الحكم ان كاتبها جارى كُتاب عصره في التزام السجع وتمثل بحكمه بقوله : « إن شرف الإنسان ، فبشرف من احسان ، وإن فاق ينبغي أن يحفظ الإنسان لسانه ، كما يحفظ الجفن وانسانه ، فرب كلمة تقال تحدث عشرة لاتقال ، كم كست فلتات الألسنة الحداد »[٢] .

(وقد ذكر المؤرخون أنه مدح من اتصل بهم من الموحدين فالمرجح كان من أول مانظم ، ولم يصل إلينا شيء من ذلك المدح ، ولكن الرجل أعجب

---

(١) تاريخ الأدب الجغرافي ، كراتشكوفسكي القسم الأول ، ص ٢٩٩ ، وكتاب عبدالقادوس الانصاري مع ابن جبير في رحلته ، ص ٣٢ .

(٢) مع ابن جبير في رحلته ، عبدالقدوس الأنصاري ص ١٨ .

بصلاح الدين الأيوبي منذ وطئت قدماه أرض مصر ، وعثر في كل مكان حل به على أثر من آثاره دال على عدله وحبه لرعيته والمسلمين عامة وتيسيره على الحجاج فنظم فيه مدائح وصل إلينا بعضها . وربما كان من أوائل شعره أيضاً مانظمه في ذم الفلسفة والفلاسفة ، وتقبيح آرائهم ، واتهامهم بالخروج على الدين ، فربما كان ذلك الشعر نتيجة خصومة بينه وبين ابن طفيل ، عند اجتماعهما معاً في حاشية الأمير أبي سعيد ، وربما كان نتيجة كراهية الموحدين للفلسفة وانقلابهم على الفلاسفة بعد سنة ٥٥٠هـ .

إن إسلوب ابن جبير فريد عن رسائل الآخرين يتميز أسلوبه كما لاحظنا بجمال العرض وروعة البيان ، وإيفاء الدراسة حقها ، ودقة ملاحظته وشمولها للمعاني مع الإيجاز والتركيز وعنايته بوصف المدن التي زارها وآثارها ، وماتحويه من مدارس ومستشفيات وأسواق ومياه وخضره وأنهار «وقد سجل بريشته البارعة في كل مناسبة مظاهر الترف والثراء وفعل الخيرات التي كانت تحوج بها ديار الإسلام وسجل انتصارات صلاح الدين الأيوبي الذي كان مغرماً ببطولاته مثنياً عليها في كل مناسبة كما يدون مظاهر الغليان الذي كان كامناً تحت الرماد في الديار الإسلامية ذات الأهمية الدينية والحضارية والاقتصادية . وقد بكى بحرقة مجد الإسلام المعرضة شمسه للأفول بكاه بقلب وعقل واع مستنير » [١] .

---

(١) مع ابن جبير ، د . حسين نصار ، ص : ٢٣٨ مقال في مجلة تراث الإنسانية المجلد الأول .

وعني ابن جبير في كل قطر نزل به بنقص أحوال أهله وعلاقة أهله بهم ووصف ذلك في رحلته وصفاً مطولاً .

ويتضح أن المؤلف كان يدون مشاهداته على صورة مذكرات لا كتاب متصل مطرد ، ثم نسق هذه المذكرات وفقاً لمراحل الرحلة ويفتح الكلام عن المدن المهمة بفقرة تتزين بالسجع والجناس، ويضمن كلامه كثيراً من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، وينشر بعض الشعر ، وقد أعجب بعبارته المتأخرون ، فأكثر الشريش تلميذ المؤلف من اقتباسها في شرح مقامات الحريري ، واستعار منها المقري والمقريزي وغيرهما ، ولاشك أن الكتاب ذو أهمية كبيره جعلت المستشرقين يعنون به ويطبعونه غير مرة ، فقد حققه وليم رايت عام ١٨٥٢م ونقحها دي غوية (Degoeje)عام ١٩٠٧م وحقق أماري (Amari) الجزء الخاص بصقلية من الرحلة وترجمة ونشره في المجلة الآسيوية المجموعة الرابعة ، المجد ٧,٦ وعلى ترجمته الشيخ علي طنطاوي ، وترجمها إلى الإيطالية كلستينو (Celestino schiaparelli) عام ١٩٠٦م وطبع في مصر على النسخة الأوربية طبعة غاية في الرداء وعدم العناية .

«وقد حقق (رايت) نسخته على مخطوط وحيد ، مخطوط بمكتبة الجامعة في ليدن وهو يضم ٢٦٠ صفحة ، وكتبه في مكة من يسمى عبدالقادر بن عبدالوهاب القرشي عام ٨٧٥هـ ، عن نسخة مغربية ، ويبد وأن الناسخ لم يحسن قراءة كثير من الألفاظ فحرفها ، وخلط بين الحروف ، مثل

الباء والياء والتاء والفاء والقاف وكتب الاختلافات على الهامش »[1]

ويذكر د . حسين نصار أن (رايت) أعتمد في تحقيق الكتاب على المصادر التالية :

- العبدري ، الذي قام برحلة من المغرب للحج عام ٦٨٨هـ اقتبس من ابن جبير في وصف المدينتين المقدسة فقرتين أو ثلاث .
- القاضي أبو البقاء خالد بن عيسى البلوي الذي حج عام ٧٣٦هـ ووصف حجته في كتاب (تاج المفرق في تحلية علماء المشرق) واستعار كثيرا من كلام ابن جبير دون أن يذكره وخاصة في وصف الاسكندرينة والقاهرة ومكة والمدينة .
- ابن بطوطة الذي ذكر ابن جبير في حلب ودمشق .
- المقريزي ، وأفاد من ابن جبير في الخطط والآثار .
- المقري ، الذي استعار في كتابه (نفح الطيب) كثير من ابن جبير مع التصرف في عباراته ، أما الشريش فهذا تلميذ بن جبير الذي أعتمد عليه كل الاعتماد واستعار منه كثيراً من في شرحه لمقامات الحريري .

ورحلة ابن جبير عني بها كما ذكر عدد من كبار المستشرقين ، فدرسوها دراسة دقيقة ، وكانت لهم عليها تعليقات نافعة ولذلك تعتبر النسخة الأوربية من أحسن الكتب التي وقف المستشرقون على طبعها ذلك أن ابن

---

(١) رحلة ابن جبير ، د . حسين نصار المقدمة .

جبير « كان أديباً بارعاً ، وشاعراً مجيداً ، سَري النفس كريم الأخلاق من علماء الأندلس بالفقه والحديث » [١] .

وقيل عن شعره ونثره « نظمه فائق ونشره بديع وكلامه المرسل سهل حسن ، وأغراضه جليلة ومحاسنه ضخمة » [٢] .

ولايزال بعض شعره ونثره باقيا في الكتب التي ترجمت له ، ونثره أجمل من شعره ومن أشهر شعره قصيدته التي نظمها حين شارف المدينة المنورة ، وقال فيها :

أقول وأنست بالليل نارا لعل سراج الهدى قد أنارا
وإلا فما بال أفق الدجى كأن سنا البرق فين استطارا
ونحن من الليل في هدى فما باله قد تجلى نهارا
وكانت ردا رواحلنا تشتكي وجاها فقد سبقنا ابتدارا[٢]

ويمثل ابن جبير ذروة ماوصل إليه أدب الرحلة في العصر الإسلامي (ويعد ابن جبير أصبح أدب الرحلة فناً ذا تقاليد في الأدب العربي ، فنجد الرحالة الذين ساروا على درب ابن جبير العبدري وأبا البقاء البلوي ، وابن بوطة والعياشي ، وابن عبدالقادر الناس) [٣] .

(ووضع ابن جبير كتابا وصف فيه رحلته ومشاهداته في العالم الإسلامي ويعد كتابه بحق من أمتع كتب الرحلات في تاريخ الآداب العالمية) [٤] .

---

(١) رحلة ابن جبير ، حسين نصار ، ط المقدمة .

(٢) المصدر السابق ، المقدمة .

(٣) مصر في أدب الرحالة الإسلاميين ، ماجد الصعيدي ، ص ١٧ .

(٤) مصر في أدب الرحالة الإسلاميين ، ماجد الصعيدي ص (ج) إشراف محمد عوني رسالة ماجستير ١٤١١هـ ، ١٩٩١م ، جامعة عين شمس كلية الألسن ، قسم اللغة العربية .

نثر القاضي أبي بكر بن العربي *

إن نثر القاضي أبي بكر بن العربي (الفني) لايقل عن شعره أهمية فهو في المستوى الرفيع، ومر آنفاً مجموعة من مؤلفاته ، وذكر له صاحب «إحكام صنعة الكلام » خطبة من نوع السجع المشكل وهو مايأتي متفق اللفظ مختلف المعنى – وقد افتتحها بقوله : (الحمد لله مودع الأشياء بين الكاف والنون ، المسبحة له البحار والنون [1] ، الواحد الذي لاتجد له ضريباً ، المنزل من خلال المزن ضريباً [2] الذي كشف الخطوب الكامنه وأبان ، وأوضح لأوليائه طريقه الهداية ، وأبان ، وسبحت بحمده هضبات متالع وأبان [3] أحمده مالاح في الأفق فرقد ، ورتع ظليم على البسيطه وفرق على أننا نجد في ثنايا كتبه ألواناً من النثر المسجوع » [4] .

ومن أمثلة ذلك : « فكيف تكون داعياً ، وأنت في المعاصي ساعياً ؟ أم كيف تكون مضطراً ، وأنت للمخالفات وهتك الحرمات مختاراً ؟ أم كيف

(*) أزهار الرياض للمقري ٣ : ٨٩ - ٩ وقد توفي ابن العربي سنة ٥٤٣ هـ ، وكان عمره يوم قام برحلته إلى المشرق في صحبته أبيه لايتجاوز بضعه عشر عاماً وقد بدأ الرحلة يوم الأحد فاستهل شهر ربيع الأول سنة ٤٨٥هـ .

(١) النون الثانية الحوت .

(٢) ضريب الثانية : الثلج .

(٣) أبان الأخيرة : جبل أسود (إحكام صنعة الكلام ص ٢٧٤) .

(٤) مع القاضي أبي بكر العربي ، سعيد إعراب ، ص ١٦٨ .

تدعوه مظلوماً وأنت ظلمت ؟ فإن أجبت في غيرك ، أجيب فيك غيرك . . »

وابن العـربي أول من وضع أسس الرحـلات بالغرب الإسـلامي [1] « وهو واضع أسس أدب الرحلات في الأدب العربي » [2] .

ويقـول كـراتشكوفسكي : « يعتـبـر ابن العـربي أول من وضـع أسس الرحلات بالمغرب الإسلامي فهو أول مغربي ، وصف رحلته إلى المشرق وصفاً دقـيقـاً تتبع مـراحلهـا ، وذكـر البـلاد والمشـاهد التي زارها ، ودون الأحـداث التاريخـية التي عـاشـهـا والحركـات العلمـيـة والحضـاريةالتي شـاهدها . . ولم يقـتـصـر على ذكـر الشيـوخ ورواياتهـم كـمـا فـعل أصـحـاب البـرامج والفهـــارس » [3] .

لان مـاوصل إلينا من أوصـاف رحـلات ابن العـربي هو بالفعل أقدم مـاوصل إلينا من ثمرات هذا الفن في الأندلس .

وقد يكـون غيـره قد سبق إلى ذلك ، ولكن شيـئـا من ذلك لم يصـل إلينا علـــى أي حال .

وقـد كـتب ابن العـربي وصـفـاً مـفـصـلاً لرحـلاته سـمـاه « ترتيب الرحلة للترغيب في الملة » لم تصل إليـنا منه إلا فقرات في كـتب شتى وذكـر أطرافاً من أخبـار رحلته ومن لقي من العلمـاء في خطبه كتـابه المسمى « قـانون التأويل

---

(١) تاريخ الأدب الجغرافي ، كراتشكوفسكي ، ج١ ، ص ٢٩٧ - ٢٩٨ .

(٢) مقال في مجلة دعوة الحق الأستاذ محمد الكناني القدس الشريف في كتب الرحاله ص ٤٥ عدده سنة ٢٢ .

(٣) ندوة الأندلس ، القسم الثاني ، ص ٤٠٦ ، وتاريخ الأدب الجغرافي ، كراتشكوفسي ج١ ص ٢٩٧

في تفسير القرآن » وقد ضاع هذا الكتاب أيضاً ، وليس لدينا منه إلا نقول ، ثم استخلص من « ترتيب الرحلة » بضع رسائل شبه رسمية كتبها إلى الخليفة المتظهر يتحدث إليه فيها عن أفضال المرابطين وخدماتهم للإسلام ورسائل أخرى كتبها له محمد بن محمد بن جبير وخطابات أخرى (١).

أما د . محمد أبو الأجفان فقد قال إن كتاب (ترتيب الرحلة) فهو وإن كان من مؤلفات ابن العربي المفقودة فإن صاحبه لخصة في مقدمة كتابه «قانون التأويل » ، كما جرد جانبا منه واعطاءه عنوان « شواهد الجلة والأعيان في مشاهد الإسلام والبلدان وهذا الكتاب تحتفظ به الخزانه العامة بالرباط ضمن مجموعة رقمه ١٠٢٠ د ، ومن حسن الحظ أن عناية بعض الباحثين والمحققين اتجهت إلى قانون التأويل دراسة وتحقيقاً وقام د . محمد السليماني بتحقيقة (٢) .

ولهذا يعطينا « قانون التأويل » صورة عن أصل الكتاب (ترتيب الرحلة للترغيب في الملة) .

ويصف ابن العربي العائدين من الرحلة فيقول : « لولا أن الله تعالى من بطائفة تفرقت في ديار العلم ، وجاءت بلباب منه كالقاضي أبي الوليد الباجي وأبي محمد الأصيلي ، فرشوا من ماء العلم على هذه القلوب الميتة

(١) مقال الجغرافية والجغرافيون في الأندلس ، حسين مؤنس ، صحيفه معهد الدراسات الإسلامية في مدريد ، مجلد الحادي عشر ، ص ١٢١ .

(٢) رحلات الأندلسيين إلى الحرمين ، د . محمد أبو الأجفان ، ٤٠٦ ، ندوة الأندلس ، القسم الثاني) .

وعطروا أنفاس الأمة الزافرة ، لكان الدين قد ذهب ، ولكن تدارك الباري سبحانه بقدرته ضرر هؤلاء وتماسكت الحال قليلاً ، والحمد لله تعالى »[1] .

ومن المخاطر التي تعرض لها ابن العربي في رحلته وعن محنته وهو في طريقه إلى مصر ، قال ذلك (نثراً) :

« لما حان وقت إقلاع المركب في البحر إلى ديار الحجاز ... فركبناه وقد سبق في علم الله أن يعظم علينا البحر بزوله ويغرقنا في هو له ، فخرجنا من البحر خروج الميت من القبر ، وانتهينا بعد خطب طويل إلى بيوت بني كعب من سليم ، ونحن من السغب على عطب ،ومن العري في أقبح زي ، قد قذف البحر زقاق زيت مزقت الحجاره هيئتها ، ودست الأدهان وبرها وجلدتها ، فاحتز مناها ازرا واشملناها لفغا تمجنا الأبصار وتخذ لنا الأنصار فعطف أميرهم علينا لعرق كان فيه من الحضر ، وحضرنا بحرقة أورثتها عنده سجية ، إذ كان نشأ في ديار الاسكندرية ، ودرت عليه هناك الدرة الدينية ، فأوينا إليه فآوانا ، وأطعمنا الله على يديه وسقانا ، وأكرم مثوانا وكسانا »[2]

وينقل المقري كذلك وصفاً شيقاً لغرق سفينتهم عند سواحل أفريقيا

---

(١) الديباج ١ / ٢٨٤ .

(٢) قانون التأويل ص ٤٢٨ - ٤٢٩ ، وأبوبكر بن العربي المعافري الأشبيلي (ت ٥٤٣هـ) وقد دامت رحلته إحدى عشرة سنة ابتدأت سنة ٤٨٥هـ ، وحج سنة ٤٨٩هـ وهو يقول عن قصده من سفره : رحلت طالب علم وحج » رحلة ابن العربي ، مقدمة د . محمد السليماني لتحقيق «قانون التأويل » ص ٧٧ ومابعدها ، وسعيد اعراب : مع القاضي أبي بكر بن العربي : ١٢ ومابعدها .

ولكن يرجع إلى مصنف آخر له يحمل عنوان « قانون التأويل » وهو أمر غير واضح لنا تمام الوضوح ويبدو من الأسلوب ميل ملحوظ إلى الصنعة وفي موضع آخر يذكر لنا المقري ولع ابن العربي بصنوف الغرائب ويورد أخباراً عديدة عن مقابلاته مع بعض العلماء والأدباء وابن العربي يقدم لنا مادة ضخمة في مجال الحضارة الثقافية والاجتماعية لذلك العصر »[١] .

ولم تكن رحلة ابن العربي في البحر سهله بل تعرض إلى مخاطر جمه وعلى فترات من رحلته ويذكر د . حسين مؤنس رحلة ابن العربي مع أبيه إلى الاسكندرية . . فثارت عاصفة حطمت السفينة وكاد ابن العربي وابوه يغرقان واستطاعا الوصول إلى الشاطئ في أسوأ حال ، ويصف ابن العربي ذلك في (قانون التأويل) وكان خروجهما من البحر في موضع من ساحل طرابلس[٢] .

وقد زار ابن العربي فلسطين وبيت المقدس ويركز في حديثة عن مدينة بيت المقدس في رسالته (قانون التأويل) على الناحية العلمية بوجه خاص فيذكر أنه حين صلى بالمسجد الأقصى ، عمد إلى مدرسة الشافعية فألقى بها جماعة علمائهم يتناظرون ، فقرر الإقامة بها لطلب العلم ، وقال لأبيه ، إن كانت لك نية في الحج فامضى لعزمك فإني لست برائم عن هذه البلده حتى أعلم علم من فيها .

(١) تاريخ الأدب الجغرافي العربي ، كرا تشكوفسكي ، ص ٣٣٢ .

(٢) تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس ، د . حسين مؤنس ، ص ٣٩٧ .

وذهب مع أبيه إلى العلامة الإمام أبي بكر الطرطوشي ، قال فشاهدت هدية وسمت كلامه فامتلأت عيني وأذني منه ، وأعلمه أبي بنيتي فأناب وطالعه بعزيمتي فأجاب وانفتح لي إلى العلم كل باب ونفعني الله به في العلم والعمل فيذكر ابن العربي في أسلوبه : « فاتخذت بيت المقدس مباءة ، والتزمت فيه القراءة .. وخصوصاً بقية السلسلة منه تطلع الشيء لي على الطور وتغرب على محراب داود فيخلفها البدر طالعاً وغاربا على الموضعين الكريمين وادخل إلى مدارس الحنفية والشافعية في كل يوم لحضور التناظر بين الطوائف » .

ونجد هنا سمة الوضوح في أسلوبه فالقارئ لايجد اي صعوبة في تتبعه مهما كان الأمر الذي يعالجه ومن أسباب الوضوح أنه يعمد قبل الكتابة إلى ترتيب أفكاره ويختار في الكتابة أدل الألفاظ على المقصود وأقصر التراكيب ، وتتوالى الأفكار في تسلسل محكم ، كل فكره آخذه بأختها ، ويصف لنا ما شاهده في بيت المقدس وقدسية المكان وجمال الطبيعة ومتعة طلب العلم ، وذكر حضوره مجلس مناظرة بين المسلمين والنصارى واليهود برئاسة الإمام الطرطوشي وقد بدأ المناظرة أحد كبار أحبار اليهود فقال : اتفقنا جميعاً - مسلمين ونصارى ويهودا على نبوة موسى فمن أدعى بنوءة شخص آخر بعده فعليه أن يقدم الدليل على دعواه فأجابه ابوبكر الطرطوشي ، إن كان موسى الذي تتحدث عنه هوموسى الذي بشر بمحمد - صلى الله عليه وسلم - فنحن نؤمن به ، وإن كنت تتحدث عن موسى آخر

فنحن لانعرفه ؟ قال ابن العربي : فأفحم اليهودي ولم يجد جوابا ، ولم يغادر ابن العربي بيت المقدس إلا بعد ما أقام بها ثلاث سنوات [١] .

وإذا نظرنا إلى مادة ابن العربي في (ترتيب الرحلة) نجدها تدور حول الشيوخ ومادار بينه وبينهم ومما سمع منهم ، وملاحظاته في رحلته لاتقتصر على ذكر الشيوخ وماسمع منهم ، بل فيها طرائف لغوية وفقهية ، وأشياء اشبه بالنوادر ، منها قوله : « سمعت الشيخ فخر الإسلام أبابكر الشاشي ، وهو ينتصر لمذهب أبي حنيفة في مجلس النظر ، يقول : يقال في اللغة العربية لاتقرب كذا - بفتح الراء - أي لاتتلبس بالفعل ، وإذاكان بضم الراء كان معناها لاتدن من الموضع » [٢] ويذكر د . حسين مؤنس ان كثره حديثة وأخباره وغريب حكاياته ورواياته لايقلل من أهمية كتاب « ترتيب الرحلة » فهو أول وصف رحلة يكتبه أندلسي ، ومعنى هذا أن أبابكر بن العربي هو مبتكر هذا الفن في الأندلس ، .. ولقد تعود الناس قبل ابن العربي أن يكتبوا « برامج » شيوخهم ، أي يذكرون أسماء من لقوا من الشيوخ وأخذوا عنهم وما أخذوه عن كل منهم ، ولكن هذه البرامج خالية من الوصف والملاحظة او النظر إلى أي شيء خلا الشيوخ والكتب والروايات وأما أبوبكربن العربي فقد كتب رحلة حقاً ، ووصف مراحلها ومن لقى في كل مرحلة ..ولكنه دون شك السابقة التي سيحتذى بها أمثال ابن رشيد والعيدروس » [٣] .

---

(١) مقال (القدس الشريف في كتب الرحالين المغاربه ، محمد ابراهيم الكناني ، مجلة دعوة الحق ص،٤٦ .

(٢) نفح الطيب ، المقري ٢ / ٢٤٣ .

(٣) تاريخ الجغرافيه والجغرافيين في الأندلس ، حسين مؤنس ، ص ٤١٢ .

كتاب قانون التأويل :

ذكر أبوبكربن العربي أنه ألفه في سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة وذكره المقري في (نفح الطيب جـ ٢ ، ص ٢٤٢) [١] .

وكتاب (قانون التأويل) من جملة الكتابات اللطيفة التي تمتاز بالعلم الغزير والبيان الأصيل ، الذي يشوق القلوب ،ويستولي على الأفئذة ، ويملا النفوس بالإعجاب .

وقد وصف سيد سابق الإمام ابن العربي قائلاً « هو من القمم الشامخة وبصماته واضحة في علوم الدين والدنيا وقد صنف في الحديث والفقه والأصول والتفسير والأدب والتاريخ ، وكان أبوه من علماء الوزراء»[٢] ، وقال ابن العماد في شذرات الذهب عندما ترجم لابن العربي : « رحل إلى الشام وبغداد والحجاز ثم عاد إلى بغداد ثم ذهب إلى مصر والإسكندرية ، ثم عاد إلى الأندلس بعلم كثير » .

وأضاف : « ابن العربي مفرط في الذكاء ، عالم ناقد متبحر قادر على نشر سائر علومه ، مع الأدب وحسن المعاشرة ولين الجانب ، وقال السيوطي في طبقات الحفاظ : « برع في الأدب وكان ثاقب الذهن ، كريم الشمائل ، كما كان شديداً في الحق ينتصر للمظلوم ، وقد بلغ رتبة الأجتهاد[٣] وقد

---

(١) آراء أبي بكر بن العربي الكلامية ، الجزء الأول ، ص ٦٨ .

(٢) كلمة سيد سابق في مقدمة كتاب قانون التأويل ، تحقيق محمد السليماني ص ١٤ .

(٣) المصدر نفسه ص ١٤ .

وصفه عمر فروخ بأنه « عالم » محدث فقيه وأديب كاتب ، إلا أن العلم بالحديث والفقه أغلب عليه » [1] .

وقد وصفه السملالي : « بأنه آية في الحفظ والإتقان والجلالة ، متبحراً في العلوم كلها جامعاً لها .. لايخاف في الله لومة لائم ، فصيحاً ، أديباً ، شاعراً ، أريباً ، حجة ، حافظاً ، مليح المجلس [2] .

وقد تضلع من لغة العرب وأشعارها وروائع نثرها الذي يمتاز بإيجاز اللفظ وثراء المعنى ، وهو الأديب الذي يغوص على المعنى ويفتن في التعبير واستخراج العبره من آثاره .

وذلك أن كتابه « قانون التأويل » يعتبر من الكتب التي تمتاز بغزارة المادة وسداد المنهج ، وجزالة الأسلوب .

ولقد أوضح ابن العربي رحمه الله بيان سبب تأليفه لقانون التأويل بأسلوب مشرق أخاذ قائلاً : « ونشير إلى الممكن من قانون التأويل لعلوم

---

(١) تاريخ الأدب العربي ، عمر فروخ ، الجزء الخامس ، ص ٢٨٥ .

(٢) الاعلام بمن حل مراكش واغمات من الإعلام العباس بن إبراهيم السملالي ، الجزء الرابع ، ص ٩٦ .

التنزيل » يرشد المبتدئ إلى ضالة الطلاب ويفتح على المنتهى ما ارتج [١] من الأبواب » [٢] .

(وقانون التأويل) نجد فيه الطابع الوصفي أو الجغرافي التي نقلها عنه من أنوا بعده ، وهذه الملاحظات كثيرة وبعضها فقرات طويلة ، تصف شيئاً مما حدث له من الرحلة ، ويلاحظ أن كل الفقرات التي لدينا مقتبسه من هذا الكتاب ، مصوغة في قالب السجع والغالب أن أبابكر بن العربي [٣] جعل مقدمة « قانون التأويل وسيلة ليقص اطرافاً من رحلته وليذكر بعض من لقى من الشيوخ وما سمع منهم تدليلاً على سعة علمه [٤] فإن ابن العربي قد اختار الأخبار عن الشخصيات التي ذكرها في (التأويل) قد أمدنا بقدر وافر في الأستدلال على الحياة الاجتماعية والثقافية في عصره ، سواء بالمشرق أو بالمغرب ، وأنه أرسل سجيته في كتابه بلاتكلف فتكلم بما ينم عن خلجات

---

(١) ما أغلق إغلاقاً وثيقاً .

(٢) قانون التأويل ، القاضي أبي بكر محمد بن العربي ، تحقيق محمد السليماني ، ص ٦٨ .

(٣) ويعتبر ابن العربي ممن جلبوا الآثار المشرقية وتأثروا بها ، فمن الوافدين على المشرق من الأندلسيين في هذه الفترة أبوبكر بن العربي الذي لقي حمله من العلماء « وقدم بلده إشبيله بعلم كثير لم يأت به أحد قبله » انظر الديباج المذهب ص ٣١٧ ، وفنون النثر الأدبي بالأندلس في ظل المرابطين ، د . مصطفى الزباح ص ٦٠ .

(٤) صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد مقال الجغرافية والجغرافيون في الأندلس حسين مؤنس ، ص ١٣٩ .

إحساسه في أمثال تلك ، فهو يبدى في تناول الشخصيات وفي وصفها وتحليلها مقدرة فائقة تجعله يحتل مكانه مرموقه مع كبار كتاب التراجم والطبقات ، ففزارة المادة مع التنويع والابتكار في التنقل في نواحي الوصف إلى الأخلاق الشخصية إلى المواهب الأدبية وإلى الحوادث الخارجية التي أكدت لنا أهمية هذه القطعة القيمة من (القانون) والتي هي خلاصة لكتاب قدر الله أن يضيع في حياة مؤلفه وهو « ترتيب الرحلة في الترغيب إلى الملة »[1] حيث رجع إلى وطنه بعد تجوال دام ثمانية أعوام .. وخلف عدة مصنفات فقهية [2] .

ويمتاز أبوبكر بن العربي بأنه يترجم لنفسه ، ويتحدث عن حياته وأسفاره ،ويلذ له أن يسجل مارآه وما وقع له ، فأرخ لرحلته في كتاب سماه «ترتيب الرحلة في الترغيب في الملة » ولم يقتصر على ذلك بل كان يتحدث في جميع مصنفاته عن رحلته [3] وتحدث عن الشيوخ في رحلته الذين أخذ عنهم ودون رواياتهم ، وعن المراكز الثقافية بالمشرق العربي وفيما مر به من أقطار أفريقيا ، ووصف ذلك وصفاً دقيقاً ، ظهر ذلك جلياً في قانون

---

(١) وهوما صرح بن ابين العربي في القانون صفحه ٦٨ .

(٢) مجلة المناهل المغربية (مقال بعنوان أضواء على رحلة التجاني في البلاد التونسية وطرابلس وأهميتها التاريخية والأدبية ، د . شوقي الجمل العدد الخامس ، السنة الثالثة ، ١٣٩٦هـ ، ص ١٢٥ .

(٣) آراء أبي بكر بن العربي الكلامية ، ج١ ، عمار طالبي ، ص ٢٩ .

التأويل، الذي يكشف عن شخصية ابن العربي لها أثرها في الجانب الأدبي من تعبير رفيع واداء راق ، وقد امتاز أسلوبه في رحلته بجزالة الألفاظ ، خالياً من روح التكلف الذي يجني أحياناً على الأسلوب والمعنى ، كما يلاحظ أن له براعة خاصة في تخير الألفاظ وإبراز المعاني ، وله مقدرة فائقة على تخير أساليب المدح والذم ، أما الجانب الفني في التأليف فطريقة ابن العربي في التنسيق بين فروع الموضوع الواسع ومزجها بمعطيات الكلام وجعلها ضمن بناء عضوي محكم الأجزاء في طريقة بديعة شيقة .

لذا كانت من نتائج رحلته قوله عن نفسه « كل من رحل لم يأت بما أتيت به أنا والباجي ، فيجملها كراتشوفسكي في هذه الكلمة : بأن ابن العربي «قدم لنا في خلاصة هذه الرحلة مادة ضخمة في مجال الحضارة الثقافية والإجتماعية لذلك العصر » [(١)] (والرحلة في جوهرها مجموعة مشاهد ناظمها هو الرحالة بحكم انتقالاته في أرجاء المكان) [(٢)] .

---

(١)تاريخ الأدب الجغرافي ، ترجمة صلاح الدين عثمان ، ج١ ، ص ٢٨٦ .

(٢) مستويات السرد في الرحلة المغربية خلال القرن ١٩ بحث لنيل درجة الدكتوراه إعداد عبدالرحيم مودن إشراف أ . د أحمد أعراب ، ص ٥٢ ، جامعة محمد الخامس - كلية الأداب والعلوم الأنسانية .

أ - الرحلات النثرية :

هي الأكثر شيوعاً في الرحلات عموماً لما يتجه النثر من قدره على الاستيعاب والتفصيل في كل الميادين التي يراد طرقها عامة وفي الرحلات على الخصوص حيث يهتم بالوصف وتدوين الأخبار والمعارف ، والروايات والأسانيد ، وتختلف الرحلات النثرية باختلاف فترات تدوينها ، وهكذا فللرحلات الفهرسية منهج معين يختلف عن الرحلات التاريخية الجغرافية أو الرحلات الوصفية .

ب - الرحلات الفهرسية :

الرحلات الفهرسية هي الرحلات التي أشبهت الفهارس ، إذ يورد الرحالون فيها أخبار الرجال الذين لقوهم أثناء الرحلة أو الشيوخ الذين تتلمذوا عليهم والكتب التي رووها أو اطلعوا عليها في مجال هؤلاء الشيوخ وكذلك الأشعار والفوائد التي حصلوا عليها في جولاتهم [1] فالفهرس كما عرفه أبو عبدالله الرهوفي « هو الكتاب الذي يجمع فيه الشيخ : شيوخه وأسانيده ومايتعلق بذلك [2] .

ويهتم الفهرس بمختلف طبقات العلماء والرواة وتآليفهم وأسانيدهم ، واختلاف طرق هذه الأسانيد ، « وشغف العلماء الأندلسيون بضرب من التأليف ، عرفوا به واختصوا فيه ونعني به تأليف كتب البرامج ، والبرنامج

---

(١) أدب الرحلة بالمغرب في العصر المريني ، جزء الثاني ، ص ٥٩٥ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٥٩٥ .

في الأغلب « كتاب يسجل فيه العالم ما قرأه من مؤلفات » [١] ومن الرحلات التي اتبعت منهج الفهارس في هذه الفترة ، رحلة القلصادي ، وبرنامج الوادي أشي ، وبرنامج شيوخ الرعني .

- القلصادي وفنون نثره :

لاشك أن الرحلة الحجازية التي دونها القلصادي نفسه وضمنها الحديث عن شيوخه الذين تلقى عنهم العلم بالإضافة إلى أدائه فريضة الحج والزيارة النبوية سماها (تمهيد الطالب ومنتهى الراغب إلى أعلى المنازل والمناقب) وقد وصف البلدان التي نزلها ذهابا وإيابا في رحلته إلى الحجاز ، وحدثنا صفات شيوخه الذين تتلمذ عليهم وخاصة في تونس والقاهرة وتلمسان ويبلغون عنده ثلاثة وثلاثين شيخا ، واصفاً بعض مشاهداته لمناسك الحج والعمره والبلدان التي زارها في طريقة فكانت لرحلته قيمتها بين الرحلات والفهارس فكانت رحلته من بين تلك المؤلفات القلائل التي أرخت للحركة الفكرية في مملكة غرناطة خلال المائة الهجرية التاسعة .

(وكان لأبي الحسن علي القلصادي مؤلفاته الكثيرة التي جعلت أحمد بابا يقول عنه (آخر من له التأليف الكثيره لمن أئمة الأندلس) وجعلت ابن القاضي يقول عنه أيضاً : (له تواليف في كل من لاتحصى كثرة) [٢] .

---

(١) برنامج شيوخ الرعيني ، تحقيق إبراهيم شبوح ص ، ج المقدمة .

(٢) رحلة القلصادي ، تحقيق محمد أبو الأجفان ، ص ٢٤ .

ويعد أبو الحسن علي القلصادي أكثر علماء الأندلس في عهدها الأخير إنتاجاً ، وقد اشتهر بتآليفه الكثيرة التي تناولت علوماً مختلفة وكان أغلبها في الحساب والفرائض [1] .

ويلاحظ أن فنون نثره متعددة وأبرزها نثره الذاتي والإخواني ،ومخاطبة العلماء في رحلته ، ونثره التأليفي قد ذكره في بعض كتبه وأرسل أسلوبه على سجيته دون تكلف أوتصنع ، واستخدم أسلوب السجع في وصف رحلته عندما كان يؤدي مناسك العمرة ، ويعبر فيه عن شوقه إلى موطنه البعيد في كثير من المواقف ويشبه ذكرياته به بالعرائس ويصف لياليه بالنفائس ويدعو الله أن يسقي أرجاءه المشرقة شآبين الرضوان وهو يتحلى بعاطفة دينية جياشة تتجلى في مشاعره الملتهبة عند زيارته مكة المكرمة كما تتجلى في صرفه جانباً من جهده وطاقته في شرح قصيده البردة الشهيرة وتتجلى أيضاً نثره في اهتمامه بنقل الأدعية والأذكار المأثورة ليتقرب بها إلى الله ويتوجه إليه بقلب مخلص وإيمان صادق ، والتحميد والتمجيد في لغة عذبة سلسة أحسن استخدامها القلصادي في نثره الفني ، وبهذا تكون رحلته حجازية أدبية ، تمترج في غرضها عناصر العبادة والدراسة والاستكشاف .

وإنه عند تدوينها لم يجعلها مقتصرة على الوصف للمعالم والبلدان

---

(١) نفح الطيب ، ٢ / ٦٩٢ ، الأعلام ٥ / ١٦٣ .

وذكر الأحداث التي حدثت له ، كما فعل بعض المدونين لرحلاتهم كما أنه لم يقتصرها على ذكر مشائخه وأسانيده وإجازاته والكتب التي درسها ، ومؤسساتها العلم التي أرتادها ،كما فعل أصحاب الرحلات الفهرسية ، وإنما جعلها جامعة بين هذا وذاك وضمنها الحديث عن المراكز التي مر بها ، وأقام فيها منذ خروجه من بسطه إلى أن وصل البلد الحرام وهو في هذا الحديث يتوخى أسلوب الإيجاز غالباً ولايطنب في وصف ، ولايعرض الجزئيات الكثيرة، ولايتوسع في ذكر الأحداث وفي خصائص البلاد التي يزورها وفي مميزات حياتها الاجتماعية ، وهذا ماجعل حجم المدون صغيراً بالنسبة إلى السنوات التي استغرقتها الرحلة ، وهو يؤرخ لانتقاله من مكان إلى آخر (١) ويهتم بذكر ماشاهد في الأماكن المقدسة أكثر من اهتمامه بمشاهداته في غيرها من الأماكن التي مر بها ، أو أقام بها وبما أن الرجل من العلماء في أحكام الشريعة ومقاصدها فإنه رحلته جاءت خالية مما توفر في بعض الرحلات الأخرى من الأمور الغريبة المتسمة بالطابع الخيالي ، ويميل كذلك في تراجم شيوخه إلى الإيجاز ولايتوسع في عرض أطوار حياتهم ، وقد ذكر المقري أن رحلته الشهيرة حاوية لشيوخه بالمغرب والمشرق وجملة من أحوالهم (٢) وقال الكتاني (له رحلة وفهرسة في شيوخه) (٣) .

(١) يكثر اهتمام القصادي بالتاريخ عند وصوله إلى الأماكن المقدسه وعند قيامه بمناسك الحج والعمره.

(٢) نفح الطيب ٢ / ٦٩٤ .

(٣) فهرس الفهارس ٢ / ٣١٤ .

ويبدو القلصادي خلال تحريره للرحلة مرهف الإحساس ذا عاطفة ملتهبة ، ومن حيث الأسلوب فقد طغى السجع الذي لا يعتريه تكلف في الغالب وكان دقيقاً في التعبير مما يشعرك أنه ينفذ إلى الغرض مباشرة ،وظاهره السجع تتجلى في كثير من المواطن الأخرى من مؤلفات القلصادي ويمكننا ان نلمسها في مقدمات كتبه (لباب تقريب المواريث) (وشرح فرائض خليل) ونراها في أغلب العناوين التي اختارها لمؤلفاته وهي ظاهرة منتشرة في عصره تستسيغها أذواق الطلبة والقراء في ذلك العهد .

وفي وصفه لتلمسان (١) **يقول** : (يالها من شأن ، ذات المحاسن الفائقه ، والأنهار الرائقة ، والأشجار الباسقة ،والأثمار المحتدمه والناس الفضلاء الأكياس ، المخصوصين بكرم الطباع والأنفاس ، ولاينكروجود الفاذ (٢) من جميع الأجناس وأدركت فيها كثيراً من العلماء والصلحاء والزهاد) (٣) .

ونجد سجع القلصادي هنا حفيفاً مقبولاً قصير الفقرات فأدى به أدق المعاني وصور ماخفي من الأغراض وقد يرد السجع في كتابات الأندلسيين عفو الخاطر غير متكلف ولامجتلب لذاته ، فهو ذلك اللون الذي يحسن به الإيقاع وترتاح إليه الأسماع ، وقد ظل هذا لازمه في نثر الأندلسيين (٤) .

---

(١) تلمسان : مدينتان متجاورتان مسورتان ، بينهما وبين وهران مرحلة (ياقوت : ١ / ٨٧٠ ، ٨٧١) كانت مركزا علمياً وحضارياً أيام ملوكها من بني عبدالوادي (موجز التاريخ العام للجزائر ٣٣٢ ومابعدها) .

(٢) الفاذ : الشاذ يقال كلمة فاذة شاذه (لسان العرب) .

(٣) رحلة القلصادي ، ص ٩٥) .

(٤) ملامح التجديد في النثر الأندلسي ، د . مصطفى السيوفي : ٥٧٦ .

وفي وصفه مدينة بسطة [1] ، يقول :

« ثم ارتحلت عن مسقط رأسي ، ومحل أنسي ، مع أبناء جنسي ، بسطة سقى الله أرجاءها المشرقة ، وأغصانها المورقة شآبين الإحسان ، ومهدها بالهدنة ،والأمان : دار تخجل منها الدور ، وتتقاصر عنها القصور ، وتقر لها بالقصور ، مع ماحوته من المحاسن والفضائل من صحة أجسام أهلها طبعوا عليه من كرم الشمائل ، لهوائها الصحيح ، وفضائها الفسيح وبحسبك فيها عدم الحرج ، لأن داخلها باب الفرج » [2] .

ومن وصف البلدان إلى وصف شيوخ القلصادي نجد أثر ذلك واضحاً عند القلصادي حين يصف شيخه محمد بن مرزوق (كان رضي الله عنه من رجال الدنيا والآخرة ، وكانت أوقاته كلها معمورة بالطاعات ليلا ونهاراً ، وكانت له أوراد معلومة ، وأوقات مشهورة ، وكان له بالعلم عناية تكشف بها العماية ، ودراية تعضدها الرواية) [3] .

وقد وصف القلصادي شيخه علي اللخمي بقوله « كثير الصمت فصيح اللسان ، لم أسمع مثل خطبه ووعظه فيما رأيت من البلدان » [4] .

---

(١) بسطة : مدنيه أندلسية تقع في الشمال الشرقي لغرناطه التابعة لكوره جيان (صفة الجزيرة من الروض : ٧٠) وجيان : مدينة أندلسية في سفح جبل عال بها عيون ماء وخص كثير بينها وبين بيانه ستون ميلاً.

(٢) المصدر السابق ، ص ٩٢ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٩٧ .

(٤) المصدر السابق ، ص ٨٩ .

ويقول : ومازلت في ملازمته .. إلى أن تشوقت النفس إلى الخروج من الوطن، وتحرك الخاطر إلى الارتحال إلى بر العدوة والقصد تلمسان ، وذلك لما كنت نسمع ثناء الشيخ عليها وتشوقة إليها .. فاستخرت الله تعالى لعلى أصادف أقوم المسالك وأفوز بمقصود المقيم والسالك ، ثم جئت الشيخ للتوديع ولهيب الفراق على القلب يذيع ، فأذنت النفس للدموع بالانسكاب ،وأحزم في القلب نار الشوق والالتهاب ، فودعته والجوانح ملتهبة والدموع منسكبة والشوق بالقلب لاعب ، وغراب البين بالأحبة ناعب ، فأكببت على يديه مودعاً ، وفؤادي من الفراق متوجعاً وعبراتي يتحدرن من المآقي ، وزفراتي يتصعدن من التراقي [١] وكانت هذه خاتمة التلاقي [٢] ونجد أن السجع يغلب على أسلوب القلصادي في ذكره للعلماء الذين التقى بهم .

ورحلة القلصادي تعد وثيقة من الوثائق التي تصور نشاط العلماء وطرقهم في التدريس والتعليم وكتبهم التي يتداولونها وفنون المعرفة التي يطرقونها ، والكتاب أشبه بكتب الفهرسة والبرامج منه بكتب الرحلات ، وهي كتب اشتهرت بها الأندلس من قديم وفيها يذكر مؤلفوها شيوخهم وماسمعوه منهم وأخذوه عنهم من مؤلفات » [٣] ويعرف الأستاذ محمد الفاسي

---

(١) جمع ترقوة : وهي العظام التي بأعلى الصدر ، وردت في قوله تعالى : (كلا إذا بلغت التراقي) سورة القيامه آية ٢٦ .

(٢) رحلة القلصادي ، ص ٩٠ .

(٣) عصر الدول والإمارات ، الأندلس ، (د . شوقي ضيف ، ص ٥٣١) .

الرحلات الفهرسية (وهي التي يقتصر مؤلفها على ذكر الرجال الذين لقيهم ، والشيوخ الذين قرأ عليهم والكتب التي درسها عليهم .. وذكر أهميتها كوثيقة لمظهر ثقافي للفترة التي دونت فيها ، فيقول : (هذه من أهم المصادر عن تاريخ الآداب العربية ، وهي مفيدة جداً لمعرفة تراجم العلماء والأدباء في مختلف العصور والبلاد العربية [١] .

لقد استغرقت رحلة القلصادي خمسة عشر عاماً عاد بعدها إلى غرناطة حيث اشتغل بالتأليف والتدريس خاصة في علم الفرائض والحساب [٢] (والقلصادي مصنف مكثر في اللغة والنحو والبلاغة والعروض والحديث والفقه وفي الفرائض ولكن أكثر تآليفه في علم الحساب) [٣] .

---

(١) الإكسير المقدمة ص : ذ .

(٢) بحوث مشرقية ومغربية في التاريخ والحضاره الإسلامية ، الجزء الأول ، د . سحر السيد عبدالعزيز سالم ، ص ٢٢٥ .

(٣) تاريخ الأدب العربي ، جـ : السادس ، عمر فروخ ص ٦٦٦ .

نثر ابن جابر الوادي آشي

لابن جابر محمد بن جابر بن محمد الوادي آشي الأصل [(١)] رحلتان ولقب صاحب الرحلتين [(٢)] المرة الأولى في حدود سنة ٧٣٠ هـ والثانية في حدود سنة (٧٣٤ هـ)[(٣)] وفي المرتين اعتنى عناية فائقة بالسماع والرواية عن أعلام القرن الثامن في الاسكندرية والقاهرة والخليل ، والقدس ودمشق ومكة والمدينة .

وخرج للحج وطلب العلم والتقى بعدد كبير من العلماء قيدهم في برنامجه وحظي بالسماع على كثير منهم حتى أصبح شيخ المغرب وراويـة وقته [(٤)] .

وكان عارفاً بالنحو واللغة والحديث والقراءة ذافقه قليل [(٥)] ولغويا نحويا راوية لأشعار مشايخه روى عنه تلميذه الخطيب ابن مرزوق أشعار لابن

---

(١)(وادي آشي) مدينة بالأندلس قريبة من غرناطه كبيرة ، تطرد حولها المياه والأنهار ، ينحط نهرها من جبل شلير وهو في شرها وهو على ضفته ولها عليه أرجاء لاصقة كثيرة التوت والأعناب وأصناف الثمار والزيتون والقطن بها كثير ، وكان بها حمامات ولها بابان شرقي على النهر وغربي على خندق (الروض المعطار : الحميري ص ٦٠٤).

(٢) ابن جابر الوادي آشي : البرنامج ، ص ١٣ .

(٣) والذي حدد تاريخ الرحلتين هو ابن حجر في الدرر الكامنة ٤ : ٢٤ (برنامج الوادي آشي : ١٣).

(٤) الرحلات المغربية والأندلسية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز عواطف نواب ، ص ١٢٥ .

(٥) الديباج المذهب ، ابن فرحون ، ج١ ، ص ٢٩٩ .

هارون القرطبي شيخه [1] .

وقال ابن القاضي : « وكان واسع الرواية مكثرا ضابطاً لما رواه ثقة له عناية شديدة في الأخذ عن الشيوخ والسماع منهم ، والتقيد عنهم قيد بخطه اجزاء كثيرة من تواليف المتأخرين وتقييداتهم [2] .

ولم يصلنا من شعر الوادي آشي إلا مقطوعة ذات خمسة أبيات نظمها بدار الحديث الأشرفية بدمشق ، وقد رأى فيها تمثال نعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبله وقال :

دار الحديث الأشرفية لي الشفا فيها رآت عيناي نعل المصطفى
ولثمته حتى قنعت وقلت يا نفسي أنعمي أكفاك ؟ قالت لي كفى
لله أوقات وصلت بها المنى من بعد طيبة ما أجل وأشرفا
لك يادمشق على البلاد فضيلة أيامك الأعياد لازمها الصفا [3]

وهو قدر غير كاف للحكم على مكانته في الشعر ،

برنامجه : سبب تقيده لبرنامجه يرجع إلى أن بعض من لقيه من المشاريخ في تونس في أثناء رحلته سأله أن يذكر له ما أخذه عن العلماء على حسب الوسع والإمكان ومن أجازه ولقيه ، وأخذ عنه أو ممن كتب إليه بالإجازة من

---

(١) نفح الطيب ، المقري ، ٥ : ٢٠٢ .

(٢) برنامج الوادي آشي ، تحقيق محمد محفوظ ، ص ١٧ .

(٣) ازهار الرياض ، المقري : ٣ : ٢٧٢ .

المشرق أو المغرب وأن يفصح له عن جملة ذلك ويعرب فأجابه وجعله في جزأين : أحدهما أسماء شيوخه وأنسابهم وتواريخ ميلادهم ووفياتهم وأناشيدهم وفي الآخر ذكر المأخوذ عنهم مضافاً لهم مافيه من علو سند بالإجازة معتذراً عن التقصير ، وذلك من قوله « إذا فات حصول المأمول منهم في ذلك اللائق لتعرض الشواغل عن السنن المطابق واجباً في ذلك علو السند [1]

مميزات رحلته :

تعتبر رحلته علمية لما اشتملت عليه من تراجم للشيوخ والكتب التي أخذها وليست رحلته من الرحلات الوصفية ، فجعل برنامجه من جزأين الأول يحوي أسماء المشايخ وقسمه إلى قسمين : اشتمل القسم الأول على ترجمة العلماء الذين لقيهم وأخذ عنهم مباشرة ، بالإضافة إلى العلماء الذين ارتبط بهم بصلات علمية وقد أورد أسماءهم تبعاً لكثرة التلقي وحسب المدن التي ينتسبون إليها وسار على غط واحد في الترجمة والأوصاف .

أما القسم الثاني من الجزء الأول فقد أورد فيه شيوخه الذين أجازوه حيث رتبهم حسب الحروف الأبجدية .

أما القسم الثاني فقد أفرده للكتب التي أخذها عن العلماء دون وصف لهذه الكتب ورتب هذا الجزء حسب العلوم فبدأ بالقرآن وعلومه ثم الحديث وعلومه ، ثم كتب التصوف واللغة والأدب ، وقد ذكر اسم كل كتاب ومؤلفه

---

(١) الرحلات المغربية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز ، عواطف نواب ص ١٢٧ .

وتحديد ما أخذه من الكتاب ، كما أورد الكتب التي درسها واعتمد عليها بدون استقصاء ونلحظ ابن جابر الوادي آشي أراد من تقيده برنامجه الانتفاع والبيان لذا جاء أسلوبه سهلاً واضحاً خالياً من السجع المتكلف .

يقول في مقدمته : « فإن بعض أرباب الرواية ، ذا الشغف بها والعناية ، أحب أن له أسماء من لقيته من شيوخي الجلة ، زمني مقامي بتونس وفي زمن الرحلة وأسمى له ما أخذته عنهم كائنا ماكان على حسب الوسع والإمكان ، ومن أجازت ممن لقيته واخذت عنه ، أو ممن لم آخذ عنه سواه أو كتب لي بها من المشرق والمغرب ، وأفصح له عن جملة ذلك وأعرب ، ماجبته لما سأل ، وجعلته في جزئين كما أمل ، في أحدهما أسماء الشيوخ وأنسابهم وكناهم ومواليدهم [١] .

ومن خلال برنامجه نجد أسلوبه يسير على وتيرة واحدة من ذكرأسماء شيوخه وتعريف بالكتب التي درسها وهو يسير عبر ثلاثة مستويات أسلوبية منها لاتوجد عليه أية مسحة للتأنق والزخرفة وهذا هو الذي ينتظم أغلب التراجم والأوصاف والسرد .

أما الثاني : عدم اهتمامه بالأسلوب والسجع إلا أن هذا النمط الأسلوبي لاينتظم في مسلكه .

ونكتفي من هذه النماذج الوصفية المتحررة من السجع في الأسلوب ، بما

---

(١) برنامج الوادي آشي ، تحقيق محمد محفوظ ، ص ٣٧ .

قاله مثال قرأتها على الشيخ رضي الدين أبي إسحاق الطبري بمكة تجاه الركنين حيث بابها وحيث ميزابها [1] وقوله سمعتها بدمشق على بهاء الدين بن عساكر بسماعه حضوراً في الثالثة من زكي الدين إبراهيم بن بركات القرشي الخشوعي [2] .

فهذه بعض النماذج في برنامج الوادي آشي تبين لنا الأسلوب بسيطاً عارياً عن كل الأصباغ والمحسنات البديعية متحرراً من السجع وقيود الصنعة المختلفة ومن هنا لم يحد عن استعمال الألفاظ الواضحة والتراكيب العادية السليمة التي تؤدي الغرض من تأليف الكتاب ، ولانلمس الوادي آشي عناية بالأسلوب المنمق ومسايرة المدرسة البديعية من التزام السجع في نهاية الجمل ومراعاة التوازن بين أجزاء الجملة الواحدة باستغلال مايحدثه السجع الداخلي من تكوين صوتي وإيقاع موسيقي بل جاء الكتاب خالياً من ذلك ويدخل ضمن هذا الأسلوب أبحاثه الفقهية والفصول التي خصصها لمناقشة بعض الشيوخ وصفاتهم العلمية في اللغة والفقه والتفسير .

وأهم مايميز الرحلات الفهرسية على الخصوص أن تراجم الشيوخ والرجال فيها هو اللب والأساس وهدفها ينحصر في جمع الفوائد والكتب والاستفادة من الأعلام وتختلف التراجم كما وكيفا فهناك تراجم مسهبة جداً يتوخى الرحاله فيها الإحاطه بالمترجم وتآليفه وآثاره ورواياته وأحواله

---

(١) برنامج الوادي آشي ، ص ٢٣٢ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٢٨٥ .

المختلفة، ونصادف تراجم أخرى موجزه جداً لم يتعد الرحاله فيها الإشارة السريعة ، بينما نجد تراجم اتسمت بالاعتدال توسط فيها بين الإيجاز والتفصيل ، والتعبير العفوي البعيد عن التكلف .

ويختلف برنامج الوادي آشي في تقديم الشيوخ من حيث الطول والقصر فبعضها لايتجاوز جملا معدودة وبعضها ناله شيء من الإطناب .

نثر علي بن محمد الرعيني

اشتهر في بدء حياته بالكتابة وكتب لعدد من ملوك الأندلس في أشبيلة وقرطبة [١] وغرناطة ومرسية [٢] ، وله مؤلفات منها برنامج شيوخ الرعيني وقد كتب برنامجه متأخراً عن وقت رحلته وأغلب الظن أنه لم تكن لديه نية كتابته لولا عزم بعض أصحابه عليه أن يقيد برنامجه فأحجم فترة لنسيانه بسبب طول العهد بينه وبينهم [٣] وقد رتب الرعيني برنامجه وفق اختصاص العلماء ،حيث أفرد لكل اختصاص باباً سرد فيه أسماء شيوخه وأنسابهم ومواطنهم وما حمله عنهم من كتب وما أخذه من إجازات ، وقد افرد باباً سرد فيه أسماء مشايخه بدون ترجمة حتى يسهل الرجوع إليهم والتعرف عليهم ، وترجم لعلماء المشرق ترجمة مختصرة مع عدم ذكره لأسماء مشايخه الذين أخذ عنهم بمكة والمكرمة والمدينة المنورة وصنف برنامجه بعد مرور مدة طويلة على رحلته ، والرعيني هنا يخالف الرحالة المغاربة

---

(١) قرطبه : مدينة في وسط الأندلس ومقرملوك بني أمية وبينها وبين البحر خمسة أيام ليس لها بالمغرب شبيه ، محصنه بسور من حجاره لها باباان وابنيتهامتشابكه (معجم البلدان ، ياقوت الحموي ، ج٤ ، ص ٣٢٤ .

(٢) مرسية) : مدينة بالأندلس اختطها عبدالرحمن بن الحكم بن هشام وهي ذات اشجار وحدائق محدقة بها (المصدر السابق ، ج٥ ، ص ١٠٧ .

(٣) برنامج شيوخ الرعيني ، تحقيق ابن شبوح ، ص ٤ .

والأندلسيين من حيث التسجيل الآني والترجمة الفورية لمشايخهم وماحملوه عنهم والإجازات التي أخذت منهم ، لذا نراه يغفل ذكر عدد كبير من العلماء لنسيانه إياهم [١] وقد خلا برنامجه من اللمحات الجغرافية والوصفية والاقتصادية تركيزه فقط على الترجمة فيعتبر برنامجه من البرامج العلمية فقط من أمثله ذلك وصفه لشيخه أبي الحسين محمد بن القاضي (هذا شيخ جليل الأصاله ، أصيل الجلالة ، ترددت إليه أعواماً وقرأت عليه وسمعت كثيراً ، وتفقهت به ، وأخذت عنه معظم تواليفه ، وماوضعه من فقه حديث..) [٢] .

ومن كلام الرعيني نجد أنه ظل طيلة الرحلة حريصاً على حضور مجالس العلماء والشيوخ والأخذ عنهم مما جعل رحلته تضم أسانيد وإجازات وسماعات ، ومن هنا فإن منهجه قد تأثر بطبيعة ماحرص على جمعه أثناءها ، فأسلوبه واضح والألفاظ التي استعملها مستعيراً منهج المحدثين وطريقتهم ، وقد رسم لنفسه منهج النقد التوثيقي وقد يذكر عن شيوخه ماينقله عنهم وبخط ايديهم ، وقد وصف الرعيني مكة والمدينة وهو داخل إلى الحجاز والأماكن التي ترتبط بمناسك الحج وأركانه . وقد اهتم الرعيني بالعلماء ومجالسهم العلمية فإن التفت إلى البلدان تكون التفاتته موجزة فاهتمامه

---

(١) برنامج شيوخ الرعيني تحقيق إبراهيم شبوح ، ص ٤ .

(٢) المصدر السابق ص ٣١ .

الكبير بالحديث الشريف وسعيه إلى الحصول على الإجازات والتزامه بالمنهج الحديث ،كل ذلك أظهر الرحلة وكأنها كتاب في الحديث والسند ولعلها هي السمة التي انطبعت بها الرحلات الفهرسية جميعها .

ورحلة الرعيني عموماً بدا فيها التأثر بأسلوب المحدثين وطرقهم التعبيرية ومصطلحاتهم ، فلم يكن ينفلت أحد من تأثير هذا المنهج والأسلوب الحديثين .

ولم يتقيد الرعيني في رحلته بالسجع أو المحسنات البديعية إلا بطريقة عفوية ، وهذا لم نلحظ حرص الرعيني على التأنق في الأسلوب إلا في مواطن معدودة كتقديمه للشيوخ .

وتختلف ديباجاته الفنية في تقديم الشيوخ من حيث الطول والقصر فبعضها لايتجاوز جملا معدودة وبعضها ناله شيء من الإطناب .

أبو مروان الباجي الإشبيلي :

تعتبر رحلة الباجي من حيث الترتيب التاريخي ثالث رحلة أندلسية بعد رحلة ابو بكر ابن العربي وابن جبير كما ذكر ذلك د . محمد بن شريفة في كتاب دعوة الحق .

ومما يدلك على ضياع الرحلة أن ابن رشيد الذي ترجم لأبي مروان ورفيق طريقه ابن الخضار لم يشر بشيء إلى تدوين الرحلة واقتصر على ذكر مراحلها باختصار شديد .

ويبدو أن ابا مروان قرأ رحلة ابن جبير وتأثر بها وقد أخذ بنصيحة ابن

جبير ما كان يلقاه الحجاج من عذاب عندما يمرون من طريق الصعيد وعيذاب البحر الأحمر ونصح بعدم سلوكها (١) .

ولم يرد في ملخص الرحلة الباجية في الذيل والتكملة ولافي غيرها مايشير إلى أي نشاط علمي لأبي مروان في المدينة ولكن ويبدو أنه تفرغ تماماً لأداء المناسك أو العبادة وفي ملخص الرحلة التي ذكرها د . محمد بن شريفه بأنه « فارق بر الأندلس إلى جزيرة ياحسه إلى جزيرة ميورقه ، وهو في طريقة لأداء فريضة الحج فنزل بدار إمام المالكية عند باب العمرة وتوجه بعدها إلى العراق ودمشق والقاهرة .

(١) دعوة الحق (ابومروان الباجي الأشبيلي ورحلته إلى المشرق ٥٦٤هـ - ٦٣٥هـ - د .محمد بن شريفة ص ٥١ .

الباب الثالث

البناء الفني للرحلة الحجازية

الفصل الأول : مكونات البنية الوصفية

أ – الوصف الفني .

ب – سمة المفاضلة في الوصف .

جـ – براعة الوصف ودقة التشخيص .

د – الملامح الفنية للشعوب في ظل أدب الرحلات .

الفصل الثاني : أدب الرحلة فن متميز

الفصل الثالث : الصورة الشعرية .

الفصل الرابع : البنية اللغوية .

الفصل الخامس : الفنون البديعية .

الفصل الأول

مكونات البنية الوصفية

أ - الوصف الفني .   ب - سمة المفاضلة في الوصف .

جـ - براعة الوصف ودقة التشخيص

د - الملامح الفنية للشعوب في ظل أدب الرحلات

مكونات البنية الوصفية

الوصف الفني :

أكثر الرحالة الأندلسيون من الوصف في رحلاتهم من مقطوعات وقصائد تعبر عما يجيش في نفوسهم ومما ولد فيها جمالاً ، يدركه الذوق ، والوصف في الرحلة متنوع فمن من وصف تاريخي وجغرافي . وعندما تجتمع هذه العناصر تكون لنا مادة أساسية للوصف الفني للرحلة مع الذوق ، والإحساس بالغربة لديهم ، وتكمن أهمية الوصف في الرحلة قدرة الرحالة عليه وتحكمه فيه وامتلاك أدواته ، كما يبرز هذا الوصف الانفتاح على العلوم الإنسانية الأخرى التي تغذى الوصف . فلوصف الطبيعه لوحة يرسمها الرحال في نفسية القارئ .

« إنها تلك الطبيعة التي أرسلت النسمات أنفاساً موسيقية هي السحر الحلال الذي يأخذ بمجامع الأسماع ويستولى على حبات القلوب » (١) .

هي الطبيعة التي تفرض نفسها على الرحالة في روابيها المشرقة ووديانها الفسيحة ، ومروجها الخضراء ، وأنهارها الملتفة تكسوها النباتات اليانعة والأشجار الباسقة ، مما يثير البهجة والأنس في نفس الرحالة الذي يعاني الغربة في رحلته ، ويشع بسمة الأمل في فؤاده ، بالإضافة إلى رهافة الحس ويقظة الشعور وشفافية النفس . ولقد عكف الرحالة الأندلسيون على

---

(١) ملامح التجديد في النثر الأندلسي ، د . مصطفى السيوفي ص ١٧ .

وصف الطبيعة وصورها في خيالاتهم الذهنية ، والأدبية تصويراً عبر محاسنها وتجاوبوا معها . ومن خلال مطالعة كتب الرحالة الأندلسيين في وصف المدن والأقاليم نجد ابن جبير يصف مكة المكرمة وما تضمنه الوصف من الوضع التجاري المزدهر بمكة المكرمة إبان زيارته إليها« ملتقى الصادر والوارد ممن بلغتة الدعوة المباركة ، والثمرات تجبى إليها من كل مكان ، فهي أكثر البلاد نعما وفواكه ومنافع ومتاجر »[(١)] وبمقارنه ماوجده في مكة بما ظنه أن الأندلس اختصت به من ألوان الفاكهة وأنواع الأطعمة فيقول : « وأما الأرزاق والفواكهه وسائر الطيبات فكنا نظن أن الأندلس اختصت من ذلك بحظ له المزيه على سائر حظوظ البلاد حتى حلت بهذه البلاد المباركة فألفيناها تغص بالنعم والفواكه ... وذلك من عجيب ماشهدناه مما يطول تعداده وذكره، ولكل نوع من هذه الأنواع فضيله موجوده في حاسة الذوق يفضل بها نوعها الموجودة في سائر البلاد ، فالعجب من ذلك يطول[(٢)] ويصف الكعبه المشرفه ومشاهداته لها : (فألفينا الكعبة الحرام ، عروساً مجلوة مزفوفة إلى جنة الرضوان محفوفة بوفود الرحمن ، فطفنا طواف القدوم ، ثم صلينا بالمقام الكريم ، وتعلقنا بأستار الكعبه عند الملتزم ، وهو بين الحجر الأسود والباب ، وهو موضع استجابة الدعوة »[(٣)] وهو مشهد ووصف وتصوير بديع يوحي بالجلال للكعبه شرفها الله .

(١) رحلة ابن جبير ص ٩٧ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٩٧ .

(٣) المصدر السابق، ص ٥٠ .

ويصف باب الكعبة المقدسة بأنه « نقش بالذهب رائق الخط طويل الحروف غليظها ، يرتمي الأبصار برونقه وحسنه » [(١)] . ولننظر إليه في وصفه رحلته البحريه من غرناطه إلى الاسكندرية قال : « وبتنا تلك الليلة ، التي هي ليلة الخميس التالية لليوم المذكور ، مترددين بين الرجاء ، واليأس ، فلما أسفر الصبح نشر الله رحمته واقشعت السحب ، وطاب الهواء ، وأضاءت الشمس ، وأخذ في السكون البحر ، فاستبشر الناس ، وعاد الأنس ، وذهب اليأس ، والحمد لله الذي أرانا عظم قدرته ثم تلافى بجميل رحمته ولطيف رأفته حمداً يكون كفاءً لمنته ونعمته » [(٢)] .

ونجد كذلك «البلوى» في رحلته « تاج المفرق » يصف اليوم فيقول : « وقد أشرق ذلك اليوم بإشراق غرته ، وتبليج صباحه ، من تبيلج أسرته ، ولاح الصبحان فكان الفضل لنور جبينه ، وغسق طرته ، فبهر كماله ، وتجملت حاله ، ورزق من أعين الناس قبولا » [(٣)] .

وهو وصف أدبي راق : « فبرز إلى الميدان على تعبية رائقة في أعداد تكاثر الحصا فائقة ، من جرد مسومة قب مطهمة ، قد ضعفت على مخائل سبقها ورتبت على منازل عنقها ، من كل أشهب بالمصباح مجلل ، وأدهم بالظلام مسربل ، وأصفر كسى قميص ورس وأشقر ، خلع عليه رداء شمس

---

(١) رحلة ابن جبير ص ٥٩ .

(٢) المصدر السابق ص ١٠ .

(٣) تاج المفرق ، خالد البلوي ، تحقيق الحسن السائح الجزء الأول ص ١١٧ .

وأشعل ، مزج ماؤه بناره وأبلق خلط ليله بنهاره »[1] ونجد أن مادة الوصف في الرحلات من وصف الطبيعة من طيور وأنهار وأمطار ورياض تأخذ جانباً مهماً في الرحلة منها وصف ابن رشيد رحلته (ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة) للنهر :

ونهـر كـذوب اللجـيف وشـاه نضـار ذكـا بكسف النسـيم[2]

نزلنا من الفسطاط أرفع منـزل بحيث امتداد النيل دار كالعقـد

وقد جمعت فيه المراكب سحره كسرب قطا أضحى يرف علـى ورد

وأصبح يطفو الموج فيه وترتمـي ويطفو حناناً وهو يلعب بالنـرد

غدا ماؤه كالريف ممـن أحبـه فمدت عليه حليـة من حلـى الخد

وقد كان مثل الزهر من قبل مده فأصبح لما زاره المد كالور[3] وليس ممكنا الإلمام بكل اشعار الوصف في الرحلات جميعها لأن ذلك يدعونا إلى ذكر نماذج كثيرة من شعر ونثر هذا الغرض في رحلة ابن جبير ، البلوي وإذا عدنا إلى ابن جبير في وصفه للمدن ، تبرز لنا القيمة المنهجية فنجد كما يشير بذلك د . حسين نصار في دراسته للرحلة نفسها – ان ابن جبير كان يعنى في وصف المدن بثلاث نواح : المرافق والمشاهد ، والأرياض ، وتضم

---

(١) المصدر السابق ، ص ١١٨ .

(٢) رحلة ابن رشيد .

(٣) المقتطف من ازاهر الطرف ، ص ٥٥ .

المرافق في خلده والأسوار والمساجد والمدارس والأسواق وآثار الأنبياء والمواقع الإسلامية وإن لم يصف ابن جبير كل مدينة وفق هذه العناصر إلا أنه تعرض لبعضها تاره وأهمل البعض تاره أخرى .. فإنها في مجملها تشكل إطاراً دقيقاً لوصف المدن والبلدان [1] .

ولم يقتصر وصف ابن جبير للمدن على المحتوى الجغرافي وإنما برز العنصر الأدبي متمثلاً جمال اللفظ وحسن التعبير على النحو الذي ورد مثلاً وصفه مدينة دمشق :

« جنة المشرق ، وطلع حسنه المؤنق ، وهي خاتمة بلاد الإسلام التي استقر بناها ، وعروس المدن التي اجتليناها ، قد تحلت بأزاهير الرياحين ، وتجلت في حلل سندسية من البساتين وحلت في موضع الحسن بالمكان المكين ، وتزينتا في منصتها أجمل تزيين وتشرفت بأن آوى الله تعالى المسيح وأمه صلى الله عليهما إلى ربوة فيها ذات قرار ومعين ، فيها ظل ظليل وماء سلسبيل ، تنساب عذائبه انسياب الأراقم بكل سبيل ، ورياض يحيى النفوس نسيمها العليل ، تتبرج لناظريها صقيل ، وتناديهم هلموا إلى معرى للحسن ومقيل قد سئمت أرضها كثرة الماء حتى اشتاقت إلى الظمأ .. » [2] .

---

(١) رحلة ابن جبير ، د . حسين نصار (بمقال مجلة تراث الإنسانية / م١) .

(٢) رحلة ابن جبير ، ص ٢٣٤ - ٢٣٥ .

وتبرز هنا قيمة أدب الرحلة ، كمصدر لوصف الثقافات الإنسانية ووصف المدن ولرصد جوانب حياة الناس اليومية في مجتمع معين ، لذا كان للرحلات قيمة تعليمية من حيث إنها أكثر المدارس تثقيفاً للإنسان ، وإثراء لفكره وتأملاته عن نفسه وعن الآخرين .

سمة المفاضلة في الوصف :

إن (الوصف) هو أساس أدب الرحلات كما وجدنا ذلك مما رأيناه لقراءتنا لعدد من كتابات الرحالة تبين لنا أنه بالرغم من التباين القائم بين رحالة كل عصر من ناحية النشأة والشخصية والجوانب الذاتية الأخرى ، أن هناك قاسماً مشتركاً بينهم لمجموعة من الأفكار وتوجهاً بارزاً للنظر إلى ثقافة الغير ولقد شكل (غير) المسلم من يهود ونصارى وصائبه ومجوس في ذهن الرحاله شيئاً مذموماً لا يستحق إلا الوصف بأردأ الألفاظ ، خصوصاً إذا كان لدى هذا (غير) عادات وتقاليد تخالف ماتعود عليه وألفوه . ونجد سمة (المفاضلة) تشكل جزئية مهمة في بنية التفكيرعند الرحالة وانعكس أثرها على كتابات الرحالة المسلمين ونظرتهم إلى ثقافة الآخر في إطار المفاضلة بين الأقوام والحضارات جاء وصف الرحالة المسلمين ، مشبعاً بالتزيين لكل مايتصل بثقافة الذات العربية والإسلامية ، ووصف عادات (الآخر المسلم) فالمقدسي في كتابه (أحسن التقاسيم) لم يجد ضروره لوصف الأقاليم غير الإسلامية وتغاضى عن ذكرها كلياً . كذلك نجد ابن جبير يعبر عن عاطفة جياشة وإعجاب بالغ بالمدن الإسلامية على عكس نظرته ووصفه للمدن

الخاضعة حينذاك للصليبين وبصفة عامة ، فلقد أهملت أغلبية الرحالة المسلمين القدامى ، ذكر ما لايتصل بالعرب والإسلام من أحداث وآثار شاهدوها أو عاينوها أو حتى سمعوها في أثناء تجوالهم في البلدان والأقاليم وإن (المفاضلة) لم تنحصر بين الذات العربية والإسلامية (والآخر) وإنما فاضل الرحالة أيضاً بين الأقاليم الإسلامية ذاتها ، وبين المشرق خاصة . ولقد وجدنا في هذا النوع من الوصف للعالم الإسلامي من الداخل والمفاضلة بين أقطاره معيناً على استخلاص بعض معايير المفاضله وأسسها .

« ومع ذلك فإن كتابات الرحالة أيا كانت توجهاتهم الفردية ونزعاتهم الشخصية تصور إلى حد كبير بعض ملامح حضارة العصر الذي عاشوا فيه ، كما تصف الكثير من عناصر ثقافة البلدان التي ذهبوا إليها وأحوال الشعوب التي اختلطوا بها ، سواء كانت الرحلة فعلية أو من نسج قصص الخيال مثل رحلات السندباد البحري التي وردت في حكايات ألف ليلة وليلة »[1] .

وإذا طبقنا أسلوب المفاضلة على الرحاله الأوروبين فنجد (أن رحلاتهم كانت بعيدة عن الإبداع الأدبي والفكري بل لأن كشوفهم الجغرافية لم تكن سوى فتوح استعمارية وإن أعمالهم كانت بعيده كل البعد عن روح الكشف والعلم بل كانت نواة الاستعمار الاقتصادي والسياسي والفكري بعيد كل البعد عن المعاني الإنسانية وأخلاقيات ديننا الإسلامي»[2]

---

(١) أدب الرحلات ، د . حسين فهيم ، ص ١٩ .

(٢) (الكشوف الجغرافية وحقيقتها) مقال بصحيفة رسالة الجامعة ، تصدرها ، جامعة الملك سعود ، عدد السبت ، الموافق ١ / ٨/ ١٤٠٨هـ .

ولاننسى من جهة أُخرى أن المسلم يستحضر على الدوام المعاني الرمزية الخالده الكامنة وراء آخر رحلة قام بها الرسول صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع) [١] .

وظل الوصف هو الأسلوب الأسمى الذي استفاد منه الكثير من المؤرخين والأدباء « فأدب الرحله هو النمط الأدبي الوحيد الذي له علاقة وطيدة بجميع العلوم الآجتماعية تقريباً . وقد استفاد من هذا النمط الأدبي المؤرخون كتاب السير وعلماء الجغرافيا إفاده كبيرة »[٢] .

وأدب الرحلات فن من فنون القول العربي يصف مجالات الحياة المتعددة للرحالة الذي سجل رحلته أو حكاها لغيره ثم سجلها ، وهي منابع ثرية بمختلف مظاهر الحياه ، ومفاهيم اهلها على مر العصور . فالرحالة وهو يطوي الأرض في أثناء رحلته يغطي في نفس الوقت ملاحظة مظاهر مختلفة في الحياة يشاهدها أو يسمعها أحياناً وينقلها في رحلته ولاشك أن الرحالين يختلفون فيما بينهم في دقة ملاحظتهم وفي درجة اهتمامهم ، كما يختلفون في تنوع فهمهم للأمور تحت الظروف المتغايرة التي يخضعون لها لذلك كان للوصف أهميته الأدبية للرحالة ومايدونه ، من جراء الاتصال المباشر

---

(١) (الرحلة المغربية والرحلة الأوروبية تعبير عن الذات واختلاف في المنطق د . عبدالمجيد القدوري (كلية الآداب الرباط) مقال كتاب متنوعات محمد حجي نشرت بمناسبة صدور موسوعة أعلام المغرب ص ٣٥٠ .

(٢) الجزيرة في أدب الرحلات الأردي ، د . سمير عبدالحميد نوح ، ص ١٤ .

بالطبيعة والناس والحياة خلال رحلته التي يقوم بستجيل الظواهر المختلفة فإن الرحالة يمثل دور الناقل لهذه الظاهرات ليضعها بين أيدي قراء الرحلة سواء كانوا أدباء أو جغرافيين أو مؤرخين ، كل بحسب اختصاصه يقرب من أحدهم بمقدار مايلجأ إلى دراسة ظاهرات اختصاصه وتفسيرها . فإن كان علم الجغرافيا مثلاً يدرس ظواهر سطح الأرض والطبيعة البشرية ويقوم منهجه على تسجيل هذه الظاهرات أو تفسيرها فهو يعمل في خدمه هذا العلم من هذه الناحية الأقل .

فهو يصف الممالك والبلدان والأقاليم والمدن ليتحدث عن الطبيعة ويعتبر ذلك مرجعاً اساسياً للعالم الجغرافي ، ومثل ذلك يمكن أن يقال في الرحلة بالنسبة لباقي العلوم التي يتعرض لمجال درسها .

ومن المتفق عليه أن الرحاليين العرب قدموا على مر العصور خدمات جليلة في دراسة أحوال بلادنا الإسلامية في مختلف النواحي ، ولم تقتصر إفادتهم في ميدانهم على البلاد الإسلامية وحدها بل تعددها في رحلاتهم وأخبارهم إلى بلاد أجنبية أخرى في وسط أفريقيا في أوربا فيما بعد ولم يكن وصلها الإسلام فأمدونا عنها بمعلومات أدبية ، خصوصاً إذا قورنت هذه المعلومات بما كان العالم يعرفه عنها في القرون الوسطى حتى الكشوف الجغرافية المتأخرة عند الأوربيين ، لذلك تتجلى القيمة الأدبية للرحلات فيما تعرض فيه موادها من أساليب ترتفع بها إلى عالم الأدب ، وترقى بها إلى مستوى الخيال الفني . وبرغم مايتسم به أدب الرحلات من تنوع في الأسلوب من السرد القصص

إلى الحوار إلى الوصف وغيره فإن أبرز مايميزه أسلوب الكتابة القصصي المعتمد على السرد المشوق بما يقدمه من منفعة ذهنية كبرى مما حدا د. شوقي ضيف إلى اعتبار أدب الرحلة عند العرب خير رد على التهمة التي طالما اتهم بها الأدب العربي ، تهمة قصوره في فن القصة ، ومن غير شك فإن من يتهمونه هذه التهمة لم يقروا ماتقدمه كتب الرحلات من قصص .. مما يصور الحقيقة حيناً ويرتفع بناء إلى عالم خيالي آخر ، ومن أهم مميزات هذا الأدب تنوع مادته وغناها وهو يتراوح بين العلمية والواقعية وتكمن فيه المتعة كما تكمن فيه الفائدة وبذلك يمكن اعتبار أدب الرحلات العربي نمطاً من أنماط الأدب وفناً من فنون القول الأدبي وتتجمع فيه أساليب القصة والمسرحية والمقاله الأدبية [١] .

---

(١) الرحلات ، شوقي ضيف ، ص ٦ .

براعة الوصف ودقة التشخيص :

إن براعة الوصف تكمن في الصورة في دقه تشخيصها ، لاترد على نمط واحد بل يبدو فيها الازدواجية بين البساطة والتركيب ، فهي بسيطة تعتمد على الوصف المباشر أو العلاقات المجازية من تشبيه بليغ أضيف فيه المشبه به إلى المشبه أو استعاره ، وهي في حالة ثانية تشخيص مركب .

فنجد الوصف عن البلوي يتمثل في قوله : (وركب السلطان إثر صلاة العصر ثاني يوم عيد الفطر في جيشه اللهام، ذي العدد القمقام ، فركبت أنا وصاحبي في موكبه ، وركنت إلى جميل مواخاته، وكريم مذهبه ، وسرنا وسار الركب السعيد يحمل جواده الكريم عن المقام الكريم ، طود حلم ، واسجاح وليث بسالة وكفاح ، وبحر جود وسماح ، وبدر دجنه تسر بل ثوب صباح رأيه الرشيد ، وعزمه المنصور وسيفه السفاح [١] .

وإذا تتبعنا براعة الوصف وأبعاده طالعنا في وصف لحال الفراق بما جره عليه من أحزان حيث يقول ابو سعيد الأندلسي :

إن يوم الفراق بدد شملي   طائر أليته بغير جناح
حالك اللون شبه لونك فاعرف   عن عياني ياشبه طير النزاح [٢]

أو حين تتابع الصور الوصفية مكونة الصورة التجسيديه عند البلوي يقول : «والماء يقهقه في خريره ، والقري يقرقر في هديره ، والنسيم يعبق من المسك الذكي والجو مضمخ بزعفران العشي واصفاً :

تشدو بعيدان الأراك حمامة   شدو القيان عزفن بالأعواد

---

(١) تاج المفرق ، البلوى ، الجزء الثاني ، ص ١١٨ .

(٢) النزاع : البعد والفراق .

مال النسيم بقضبـــــة فتمايلت　　　مهتـــــزة الأعـــطاف والاجياد
هذي تــــودع تلك توديع التي　　　قد أيقنــت منهـــا بـــوشك بعاد
واستعبرت لفراقها عـــين الندا　　　فابتل مبـــرز غصنـــها المياد [1]

ومن الوصف قوله : (فعندها نادم الروض فغنى وسقى ، فتنفست الأرض عن نكهه العروس وتبرجت في حلية الطاووس) [2] وهكذا حاول الرحالة الأندلسيون أن يوظفوا قدراتهم الكتابية فلم يدعوا وسيلة مايجسمون بها معانيهم في نفس القارئ ، ولم يتركوا طريقة تجديهم في هذه الغاية إلا استخدموها فإذا بالمعاني تنهال في تتابع وانسياب وتدفع مكونة الصورة التي إليها قصد كل كاتب .

انستطيع أن أقول إن بعض كتابات الرحالة في القرن السادس الهجري قد شهدت تأصيل روافد الصورة التجسيدية ، تلك القنوات التي تمثلت في الإيجاز وتكثيف المعاني ، بل والإلحاح على المعاني وتأديتها بعدة أساليب توهم التكرار للنظرة المتعجلة والحق إنه ليس تكراراً .

كذلك كان الأمر في براعة الوصف ودقة التشخيص فكانت تلك الأوصاف التي لم تتكرر على الأسماع وتنوعت بين المشاهدات أو لتحديد لماديات الحياة عامة أو روعه الاستقصاء للصفات في أسلوب قصصي متمتع وتركيب وصفي أخاذ .

---

(١) تاج المفرق ، البلوي ، الجزء الثاني ، ص ١٤٩ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٤٩ .

الملامح الفنية للشعوب في ظل أدب الرحلات :

يعتبر أدب الرحلات مادة خصبه للكشف عن صور البلدان والشعوب الإسلامية والأجنبية ، اذ هو المعين الذي يستقي منه ايه أمه معلوماتها عن الأمم الأخرى . ومن المعلوم أن هذه الصور حقيقية كانت أو غير حقيقة تعكس في قصص الرحالة وتتعدى ذلك إلى القارئ وقد تحدث الرحالة وعن الصور التي رسموها ، ذلك حسب تكوينهم الثقافي . وإذا كان للرحالين دور في تكوين آراء عن الأقطار التي زاروها بتصوير ماشهدوه ، فلا يغيب عن الأذهان أن مشاهداتهم كثيرا ماتكيف حسب ميولهم وحسب أحوالهم النفسية ، إنها الصورة الجديدة للشرقي في أدب الرحلات ، صاحب الخيال الخصب ، الحميد الصفات ، يمتزج طموحه بالخلق الطيب العشرة ، الكريم الضيافة ، المتسامح غير المتعصب ، المحترم لحرية الآخرين .

فمن الواضح أن العناصر النفسية والاجتماعية لعبت دورا مهما في تكوين هذه الشخصية ، فالمؤثرات التي تحيط بالإنسان ليست هي السبب المباشر في الاستجابه للبيئة . ولكن معنى هذه المؤثرات أو صورتها في ذهن الإنسان هي التي تحدث الاستجابة لما كانت البيئة الموضوعية أعظم وأعمق من أن تفهم فهما مباشرا ، فلا بد للإنسان أن يبسطها ويختصرها في شكل صور أورموز يستجيب لها في بساطه ويسر .

وهنا يتكون للفرد عالم خاص ، كما يتكون للشعوب عالم خاص بها ولاشك أن الاتصال هو الذي يؤدي أهم الأدوار في تكوين هذه البيئة الثقافية ،

التي تتكون من مجموع المفاهيم والصور والأخيلة ، وتأسيسها على هذا الفهم نذهب في تفسير أدب الرحلات ، مذهب التفسير الإعلامي ، ذلك أن الأدب يحقق مفهوم الاتصال الفكري بين الشعوب . والأديب هنا يطور افكاراً ، خارجية وداخلية ويغلف نفسه بغلاف من الصور الفنية والرموز . وعلى ضوء هذا المفهوم يمكن النظر إلى أدب الرحلات بعامة على أنه يبدع نوعاً من البيئة الصورية عند الأنسان عن العالم الموضوعي . ولذلك ينظر إلى أدب الرحلات على أنه يغلف الانسان بنوع من الواقع البديل وعلى هذا يكون الاتصال بين الشعوب هو أروع الأمور جميعاً .

ويعتمد التفسير الإعلامي لأدب الرحلات على (مفهوم الصورة الذهنية) إذا إنها مفهوم عقلي شائع بين أفراد جماعة معينة ، يشير إلى اتجاه هذه الجماعة الأساسي نحو مجتمع معين والصوره الذهنية بهذا المفهوم يمكن التعرف عليها ، كانت الصورة الفنية للشعوب من خلال أدب الرحلة تجربة جديدة تجد مكانها في هذا الأدب بحيث يسهم في دعم نتائج الرحلة في تصوره وإذا نظرنا إلى الرحالة فإننا نجد معظم الرحالين خرجوا من أمم تعود ابناؤها الرحلة ، وأكثر الرحالين الكبار ينسب لهم الفضل في الكشوف الجغرافية المتعلقة بالأماكن والشعوب ، وأدب الرحلات يشرح ويفسر ويعلق ويبين الأسباب النفسيه والعوامل الاجتماعية والخلقية والمادية لمشاهداته وانطباعاته وتصوراته ، ومن هنا فإن المؤلف في هذا السن الأدبي ينقب عن المعلومات التي يمكن أن تسهم في صنع الصورة الذهنية المنشودة ثم يخضع

هذه المعلومات والوقائع ليدعم كتاباته .

ويلاحظ القراء في كتب الرحلات ، كيف يحرص المؤلف على أن يشفع تقريراً حول ملحوظاته ليشعرك أيها القارئ بأن الكاتب هو العين التي تبصر والأذن التي تسمح والحواس التي تحس بها ، وهو معروف أن عليه ككاتب ان ينقل إلى القارئ جميع الأحاسيس في شعوره وإدراكه لها . وتكوين الصور الذهنية ، لذلك نجد أدب الرحلات يحتوي على فن تصويري وتجسيد للمعاني ، وتبسيط للحقائق مع تيسير فهم الصورة الذهنية لذلك تحفل كتب الرحلات بالمعلومات الدقيقة عن المناطق والشعوب التي زاروها « ولايزال ادب الرحلات يؤلف فرعاً من أهم فروع الكتابه في الآداب الغربية »[1] .

(١) أدب الرحلات ، مقال د. عبدالعزيز شرف ، مجلة المنهل (للآداب والعلوم والثقافة). العدد (٥٠٥) ، ١٤١٢ص ٧٨ .

الفصل الثاني

أدب الرحلة فن متميز

أدب الرحلة فن متميز

يتساءل الكثير من الباحثين عن أدب الرحلات ودوره في الأدب العربي. والواقع أن أدب الرحلات استأثر بالاهتمام وعنى به اعلام بارزون عبر مراحل التاريخ ، تحدثوا فيه عن مشاهداتهم والأماكن التي مروابها وزيارتهم المعالم والأثار . فهو بحق معلم بارز وحيوي في معالم الثقافة الإسلامية يتطلب ذوقاً وحساً فالقارئ بلا شك يطل من خلاله على أنماط مختلفة وصور من صور الحياة وأشكالها ويرى عوالم واسعه حوله ، وما أعظم ان يتدبر قول الله سبحانه وتعالى ﴿ **أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم** ﴾[١] ولقد جاب اسلافنا الأرض شرقا ومغرباً في سبيل هذا الفن امثال ابن جبير ، والبلوى ، وابن العربي وغيرهم ولقد حفل الشعر العربي بالكثير من القصائد التي تحث على الأسفار والرحلات لاحاجة إلى ذكرهم الآن ، وما أجمل وصية أعرابية ابنها في سفر فقالت : «يابني إنك تجاوز الغرباء وترحل عن الأصدقاء ، ولعلك لاتلقى غير الأعداء فخالط الناس بجميل البشر واتق الله في العلانية والسر » .

إن فن الرحلة والتأليف فيه عربي قح لم يكن للأمم السابقه أو المعاصره للأمه الإسلاميه إبان ازدهار حضارتها نظيراً له ، قال

---

(١) سورة غافر آية ٢٠ .

كراتشكوفسكي :«ولقد أثار هذا الأدب اهتماماً بالغاً بسبب تنوعه وغنى مادته ، فهو تارة علمي، وتاره شعبي ، وهو طورا واقعي .. فهو يقدم لنا مادة دسمة متعددة الجوانب لايوجد مثيل لها في أدب أي شعب معاصر للعرب»[1] ويعرف د . أحمد حدادي هذا الأدب بقوله « الأدب بأوسع معانيه وهو يشتمل عليه من الشعر والنثر والبيان والقصة واللغة والتاريخ والخيال والتصوير والإبداع وغير ذلك مما هو محدد في التعريفات العامة لهذه الفنون العلمية »[2] .

وقد لاحظ بعضهم أن هذه التسمية التي أطلقها كراتشكوفسكي غير دقيقة ، لأنها لاتعبر عن المضمون الحقيقي الواسع لتلك الكتب التي أدخلها رغم تنوعها في خانة واحدة ، وقبل هذا اصطلح العرب قديماً على تلك المصنفات والمواضيع بكتب الأدب » فستشف هذا من قول د . أحمد حدادي السابق الذكر « والأدب الجغرافي كما يظهر من ضيغته نعنى به الأدب بأوسع معانيه » ونجده بوضوح عند ابن خلدون في مقدمته الشهيرة [3] ، ففي الفصل الذي عقده حول « علوم اللسان العربي ، تكلم عن علوم النحو واللغة

---

(١) تاريخ الأدب الجغرافي العربي ، كراتشكوفسكي ، ترجمة صلاح الدين ١ / ٢٥ .

(٢) خصائص الأدب الجغرافي في المغرب ، د . أحمد حدادي ، ص ٣٨٥ - ٣٨٦ من كتاب الندوة حول جوانب من الأدب في المغرب الأقصى ، جامعة محمد الأول ، منشورات كلية الأداب ، ١٩٨٦ .

(٣) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٥٥٣ - ٥٥٤ .

والبيان ، ثم أنهى فصله بالبحث في (علم الأدب) ومن خلال حديثة عن هذا (العلم) ندرك مدى التطور الذي عرفه هذا المصطلح (مصطلح أدب) عبر التاريخ حتى عصره فقد أصبح يشمل « متقطفات » من مختلف المعارف الإسلامية وقد عبر عن فن الرحلة (بعلم البلدان) وقد أطلق بعض المستشرقين كما أوردته المستشرقة الروسية كرافولسكي في مقدمة تحقيقها لجزء من موسوعة العمري « مسالك الأبصار » وأردفته بقولها : « إنه لايمكن أن يعطي وصفاً موضوعياً ، وحقيقياً لبلد مابدون اعتبار للإمكانيه البشرية الفاعلة من النواحي الثقافية والسياسية والاقتصادية [1] .

وهنا يظهر أن هذا المصطلح أوسع دلالة من مصطلح كراتشكوفسكي وأكثر تعبيراً عن مضامين تلك الكتب وهي تضم عدداً متنوعاً من التآليف من معاجم البلدان والمسالك والممالك والرحلات ، فإن اختلفت اهتماماتها وأهدافها فإنها تلتقي في كثيرمن النقاط وصف المعالم الجغرافية للبلدان ، والترجمة بأعلامها ووصف عادات أهلها ، إلا أن د . سيد النساج الذي رأى أنه « عندما نتعامل مع هذا الأدب باعتباره (شكلاً) فنياً خاصاً ، خير ألف مرة من التعامل معه باعتباره تسجيلاً جغرافياً ، مما يخرجه من دائرة الأدب » [2] لأن الرحلة تتميزبصفات نجده مايعرض في موادها من أساليب

---

(١) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، كرافولسكي ، ص ٧ .

(٢) مجلة العربي الكويتية ، عدد ٣٣٨ سنة ١٩٨٧ مقال (أدب الرحلات حياتنا الثقافية) د . سيد حامد النساج ، ص ١٣٥ .

ترتفع بناء إلى عالم الأدب والخيال الفني والنفسي للرحاله عموماً ، بأسلوب قصصي أو حوار إلى وصف المناظر الاجتماعية بأسلوب مشوب بمشاعره وأحاسيسه ، يسمو بها إلى مراتب الأدب من قطع شعرية وقصائد مدرجة في أعطاف الرحلة وهي من إبداع الرحالة نفسه ، وبهذا المعنى والمضمون والتنوع في الأساليب ، يحق للدكتور النساج أن يدعو لدراسة الرحلة كشكل خاص بعيد عن الأطار الشامل الذي يدعى بالأدب الجغرافي لأنها من خلال ما أثرنا إليه من صفات وميزات تمتزج فيها أحاسيس الكاتب الرحالة وخياله بعقله وموازاة مع ذلك تغذي عقل القارئ وتشبع ذوقه الفني .

وهذه الميزات والخصائص نفسها هي التي دفعت د . شوقي ضيف في كتيبه « الرحلات » إلى القول بأن الرحله خير رد على التهمة التي طالما اتهم بها الأدب العربي ، تهمة قصوره في فن القصة » [1] .

وقد نادى د . النساج (إلى أن وجوب الاعتناء بهذا الفن العربي الخالص القديم والحديث منه ، ودراستة دراسة أدبية معمقه ، وعدم الاعتناء برحلة ابن بطوطة التي لاحظ الدارس أن معظم الذين كتبوا حول الرحلة اقتصروا عليها أو لم يتعدوها إلا قليلا) [2] .

---

(١) الرحلات (شوقي ضيف ، المقدمة .

(٢) مجلة الفيصل العدد ١٨٦ ، مقال د . النساج بعنوان (دعوة لدراسة أدب الرحلات في تراثنا العربي) .

الفصل الثالث

الصورة الشعرية

الصورة الشعرية

رسم المرتحلون الصور الشعرية في قصائدهم ، فجاءت تعبيراً عما يختلج في نفوسهم ، مما ولد فيها جمالا تلقائياً ، يدركه الذوق وتكمن قيمة الصوره الشعرية في انها تحكى ماوراء السطور، ومالم يريد الشعراء قوله مباشره لأن « في الخيال الراقي روعه من نسمات الحقيقة ولو قيلت الحقائق جافه من غير أن يعمد الشاعر إلى الخيال في تشبيهاته لما كان لقوله التأثير ... فهذا الشعر يعبر عن حقائق نفسيه ، هي في نفسها جمال »[(1)] .

لقد اعتنى الشعراء المرتحلون بالصوره ، اهتماماً بالغاً وتنوعت صورهم وجاء في شعرهم صور تقليدية كثيره حيث سبهت العيون الجميلة بعيون المها (وبياض الوجه بالصبح) ، والليل بالبحر وحشدوا الصور في شعرهم باعتبار ذلك شكلاً من أشكال الإجادة ومقياساً للقدرة الفنية لديهم ، ورسم المرتحلون صوراً كثيرة ومتنوعة للطبيعة في شعرهم اتسمت بالدقة ، وقد ربطوا بين هذه الصور ومقطوعاتهم الشعرية في وصف الطبيعة ورسم صورها كامله . فابن سعيد يرسم لوحه متكاملة العناصر للروض وقد طرز الندى عليه حباتة ، والنهر قد هزته ريح الصبا ، وكتبت على صفحة الماء ، ثم جاءت الشمس وألقت عليه رداءها ، يقول :

الروض بـــرد بالنـــدى مطروز   والنهر سيـــف بالصبا مهـــزوز

---

(١) ابن سعيد المغربي ، المرقصات والمطربات ، ص : ٢١١ .

كتبت به خـــوف النواظر اسطر فعليه من حـــظ النسيـــم حرور
والغصن إن ركـــد النسيم كأنه الـــف بهمزه طيـــره مهموز
وكأنما الأزهـــار فيـــه قلائد وكأنمـــا الأوراق فيـــه خـــزور

ونجد هنا صوره حركة النسيم وركوده حركته الخفيفة التي تؤثر على المشهد من تلوين ، واثرت مشاهد الطبيعة في صور واحاسيس المرتحلين .

يقول البلوي : (وقد اشرق ذلك اليوم باشراق غرته ، وتبلج صباحه من تبليج أسرته ، ولاح الصبحان فكان الفضل لنور جبينه ، وغسق طرته ، فبهر كحالة وتجملت حاله ، ورزق في اعين الناس قبولا ، واستبانوا منه على علو صيته ذكاء) [1] .

فهذا الوصف الأدبي الجميل الذي يصف به البلـــوي السلطان من معاني الطبيعة .

وبعد فإن هذه الفقرات المدونة آنفاً يحق لها أن تنظم لنفسها في صوره مترابطة تدل على عيون الوصف الأدبي الراقي في وصف الأهرام ، يصفها كالثوب الذي يحدد أجزاء جسم مرتديه لدقة تفصيله وانسجامه مع جسمه هذا الوصف الذي كتبه ابن جبير للتعريف بما هي الأهرام (وأبي الهول) يقوم أولا في التعريف الأهرام : « بمقربة من هذه القنطرة المحدثة الأهرام ، كأنها القباب المضروبة قد قامت في جو السماء ، ولاسيما الآثنان منها فإنهما يغص الجو بها سموا .. قد أقيمت من الصخور العظام المنحوته ، وركبت تركيباً هائلاً ، بديع الالتصاق ، دون أن يتخللها مايعين على

---

(١) تاج المفرق ، البلوي ص ١١٧ .

إلصاقها ، محددة الأطراف في رأي العين ، وربما أمكن الصعود إليها على خطر ومشقة ، فتلفى ، أطرافها المحدده كأوسع مايكون من الرحاب .. لو رام أهل الأرض نقض بنائها لأعجزهم ذلك » [1] .

ذلك كان وصفه الفني للأهرام الشامخة ، أما وصفه لزميلاها الجاثم بمقر منها ، فإنه لايقل روعة عن وصفه للأهرام .

وعلى مقربه من هذه الأهرام صوره غريبه من حجر ، قد قامت كالصومعه على صفه آدمي هائل المنظر ، وجهة إلى الأهرام وظهره إلى القبله مهبط النيل تعرف بأبي الأهوال » [2] .

وكلمة (غريبة) التي وصف بها كلمة (صورة) التي وصف بها (أبا الهول) قامت مقام (الصورة الفنية) التي تغنى عن كثير من الكلام والتي يرسمها عادة أهل الفن للتعبير بها في أوجز إيجازمنظور عن كثير من الصفات .

وفي صورة أخرى تشع بالحركة واللون نلاحظ ابن سعيد الأندلسي يرسم مشهد عرس الأفق الذي يحيه البرق والمطر يقول لي :

أدر كؤوسك إن الأفق في عرس وحسبنا أنت ترعى حسنك المقل

(١) المصدر السابق، ص ٢٨ .

(٢) رحلة ابن جبير ، ٢٩ .

البرق كف خضيب والحيـــا درر والأفق يجلى وطرف الصبح مكتحل [1]

فمعاني الفراق والرحيل ماثله في أذهان المرتحلين ، ونفوسهم تبرز في صورهم لأنها تحاكي رحيلهم المؤلم عن أرض الأندلس وتزداد صورة الحنين في شعرهم وضوحاً لنجد ابن سعيد الأندلسي يذهب إلى مالقه فيضحى أسير الشوق ، باحثاً عن أترابه متشوقا إلى الجزيرة الخضراء الأشبيلية :

يانسيماً من نحـــو تلك النــواحي كيف بالله نـــــور تلك البـطاح
يازمانـــــي بالحـــاجبـــة إنـي لست من سكر مالقيت بصـــاحي
آه مما لقيـــــت بعــــدك مــــن هم وشوق وغربة وانتــــــزاح
أين قــــوم الفتـــهم فيـــك لما قرب الدهر آذنـــــوا بالـرواح
تركوني أسيـــــر وجـــــد وشوق مالقلبي من الجـــوى من سراح
أسهر الليل لســــت أغفى لصبـح أترى النوم ذاهـــــباً بالصباح
إن يوم الفــراق بدد شمـــــــلي طائراً ليتــه بغـــــير جناح [2]

وقد اختار المرتحلون من صور الطبيعة وحالات عناصرها ، مايريدون التعبير عنه في دواخلهم في حالي السرور او الحزن من الليل والنسيم والصباح والطيور ، وقد عد حازم القرطاجني وغيره هذه المتصورات التي تجد لهافرحاً أو ترحاً في النفس متصورات أصيله [3] .

ويصف البلوي الصورة عند سفرهم قال « وأدلجنا مسافرين ، وأفضى بنا الركب إلى ملة بيضاء مفضية إلى قراءة خضراء تتفجر فيها عين كمقلة ورقاء ماؤها صفاء انسانها واحدق بها النبت كهدب اجفانها فنهلنا في غيرها وكر عنا في غديرها ، وركزها رماح الخط فوق رياض القصب وافترشنا مطارق

(١-) الرايات ، ص ١٨٠ .

(١) نفح الطيب ، ٢ / ٢٩٨ .

(٣) منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، القرطاجني ، ص ٢٢ .

الوشي .. واستوى البناء والماء يقهقه في خريره والقمرى يقرقر في هديره .. ويقول :

تشدو بعيـــــد ان الاراك حمــامة ... شدو القيـــــان عزفن بالأعواد
مال النسيـــــم بقصبــه فتمايلت ... مهتـــــــزة الاعطاف والأجياد
هــذي تودع تلك تـــوديع التي ... قد أيقنت منهـــا بوشـــك بعاد
واستعبـــرت لفـــراقهاعين النـــدا ... فابتل مبـــرز غصنـــها المياد[1]

ولم تنفصل عناصر الطبيعة عن الرحالة فقد تداخلت فيها مع لحظة سفر البلوي ، وعبرت الصورة الشعرية عن انفعالات الشعراء وعواطفهم فحملت عناصرها إيقاعات نفوسهم رقيقة لطيفة أوغاضبة ساخره ، فها هي الأشجار تحن عشقاً لخدرها الرقباء .

(١) تاج المفرق ، البلوي الجزء الثاني ، ص ١٤٩ .

وأرى أن من أهم مايميز الرحلة الأندلسية هي تصوير المشاعر عن طريق تحليل الظواهر الطبيعية لوصف الطبيعية وذلك من الرحلة تتصل بالأنسان ويجد فيها الأنسان نفسه وينطلق الرحالة دائماً من احداث رحلته ومشاهداته وحكاياته ، وبواسطتها يطرح القضايا للمناقشة ، ويرتفع في تأصيل قضاياه على فتوى الإنسان ومن هنا يطغى جانب الفكر في ظاهر النص رغم احتوائه على العاطفة الشخصية .

وبلغ من رهافة حس المرتحلين الأندلسيين ورقة افئذتهم أنهم من فرط معاشرتهم للأزاهر والورود باتوا يرون فيها مدلولات أورموزا بعينها يعبرون من خلالها بأسلوب غير مباشر عما تنطوى عليه نفهوسهم من معان وأفكار إلى مثل ذلك جنح ابن جبير حين عبر عن المودة العابرة برونق الورد الذي يسرع إليه الذبول ومن ناحية أخرى غدا من موضوعات الصورة الشعرية لديهم ازداد اهتمامهم في وصف انواع من الثمار ، وعلى غرار احتفائهم بأصناف الورد والزهر الذي كان له أثره البارز في شعرهم في تصوير القائم على التزين والتلوين ، جرياً على ماعرف به الأندلسيون في ميل إلى الزخرفة والزينة ، ويرى د . عمر الدقاق « أن هذا المنحنى بلغ ذروته بعد ذلك في فن التوشيح الذي قام أصلاً على أعمدة التزيين والتلوين »(١) .

لذلك دأب شعر المرتحلين على إيثار هذا المنحنى الفني وجنحوا إلى حشد

---

(١) ملامح الشعر الأندلسي ، د . عمر الدقاق ، ص : ٢٥٩

ماوسعهم حشده من الصور في مقطعاتهم الوصفية .

وهكذا فإن سعي الشعراء المرتحلين وراء الصور بقوة ليس في حقيقته سوى سمة تزيد من قسمات شعرهم الأندلسي بروزاً وملامحه تميزاً . اما وقد بلغ شغفهم بالتصوير في شعر الطبيعة هذا المدى فلابد من تحرى الطابع الذي آثروه من خلال إطارهم النفسي الذي أنعكس جلياً في شعرهم .

مع ماوجدناه من معاناتهم في رحلاتهم ، لكن ذلك لايمنع من وجود هذا الفن لديهم ، وكانت الصورة الأدبية وسيله لديهم من وسائل التعبير عن تجربتهم الشعرية التي تتطلب تآلف الصور الجزئية في القصيدة فيما بينها لتكوين الصورة الكلية التي هي الصورة الشعرية .

« والصور يؤدي بعضها إلى بعض ويحقق كل منها مع ذلك وجوده المستقل وفي هذه الحالة ذروة استقلال الصورة وخضوعها وتبعيتها معا »[١] .

فلا يجوز ان ينظر إلى الصور في القصيدة على أنها وحدات منفصله منعزله ، وان نهمل العلاقات القائمة فيما بينها ، وأن لانجزأ الصور وان تكون الصور تتجه بالقصيدة اتجاها مترابطاً حتى يكتمل المعنى الجمالي لها .

فالصورة الشعرية تتضامن مع العاطفة والخيال كذلك لتحقيق غايتها في نقل التجربة ولايمكن تصورها منفصلة عنه وإلا فقدت روحها وقوتها في التأثير ، ويرى أحمد الشايب « أن ومقياس الصوره الأدبية هو قدرتها على نقل الفكرة » [٢] ولان الصورة الشعرية هي التي تثير انفعالاً وتحرك فكر القارئ ، فلابد للصورة الشعرية من اسنجامها وترابطها مع عناصر الأدب من عاطفة وخيال وفكره وكان للرحالة الأندلسيين دورهم في ابراز الصور في أشعارهم كما وجدنا ، غير ان الشعر العربي عامة كان يعني بالبيت ويحرص

---

(١) الصورة الأدبية ، د . مصطفى ناصف ، ص ٢٤٦ .

(٢)أصول النقد الأدبي ، أحمد الشايب ، ص ٢٤٨ .

على استقلاله ووحدته ، وهي خاصية طبعت شعر الرحالة الأندلسيين بطابعها وهذه هي العناوية بالبيت والحرص على استقلاله ووحدته وقد نجد في بعض اشعارهم الصور المتجاورة غير المتداخلة وقد يقع التنافر أو عدم الأنسجام فيما بينها وهذا ليس دائماً ولكن يتحقق عند بعضهم .

ولا أبالغ إذا قلت ان التعبير بالصورة الشعرية مظهر فني قديم لجأ إليه كل الشعراء واعتمدوه في ادائهم الشعري الذي يقتضى جانبا من الصنعه الشكلية ، فكان الركون إليها ضروريا باعتبار ان الشعر جنس من التصوير [1] على حد قول الجاحظ ، فبواسطة الصوره يتم فهم الشعر واستيعابه وادراكه مايكتنفه من سحر وجمال غير أن قدرات الشعراء كما قلت تظل متفاوته في رسم الصوره الواحدة ولهذا اعتبرت الصورة الشعرية محكاً حقيقيا لقدرة الشاعر على صوغ افكاره واحاسيسه .

---

(١) كتاب الحيوان ، للجاحظ ، ج٣ ، ص ١٣١ .

الفصل الرابع

البنية اللغوية

البنية اللغوية

تختلف اللغة التعبيرية لدى الرحالة الأندلسيين نظم قصائد نستشف منها أنها عربية تقليدية ، اعتمد وافيها على معجم لغوي قريباً من الأفهام ، فمن حيث الألفاظ فقد جاءت سهلة المخارج مألوفه سلسة ، عذبة ، ذوات أجراس وإيقاعات ملائمة لما تحمله من دلالات .

أما عن التراكيب الكلمات فقد اختلفت طولا وقصراً باختلاف درجة المعنى المراد التعبير عنه فتارة تكون طويله لايتم معناها إلا بتمام البيت الشعري ، وتاره اخرى تأخذ على شكل فواصل سجعيه لكل منها مغزى معينا ومعنى مستقلا وهذا مانراه عند ابن رشيد وكيف قد تأثر بالعبدري في قوله :

بدر الدجى ، بحر الندى ، فخر الورى مأوى الضعيف وملجأ المستنجد[1]

وقد يلجأ في مرات اخرى إلى التضمين ، حيث يكون البيت الثاني متماً لمعنى البيت الأول ، كما هو الحال في قوله :

أبَعْدَ سطوع الشيّب في لَيْلِ لمتّي ونأي خلالي بَعد فتّي ظِلالِ
أهم بدنيا لاتساوي قُلامة وأخضّع مرتاداً لنيل نوال[2]

وقول ابن رشيد التي يعبر فيها عن عاطفه الشوق إلى ابنائه بعد أن وافاهم

---

(١) قصيدته في المديح النبوي ضمن الرحلة : ص ٤٥٨ .

(٢) قصيدته في الرحلة ، ص ٦٣ .

الأجل بتونس كتابهم الذي بعثوه من سبته فأثار هذا الكتاب لديه كوامن الشوق وحرك تلك العاطفه الأبوية لدى ابن رشيد وكان قد مضى على رحيله وفراقه لأبنائه أكثر من ثلاث سنوات يقول :

أتاني كتاب فراخ صغار فعذب بالي وأتعب فكري
فكدت أطير اشتياقا ولكن عدتني عواد رمتني بنكر
فقصت جناحي وحصت رياشي فما استطيع نهوضا لوكر
وكيف السبيل للقياهم وعرب ببر وعجم ببحر
فبالله حسبي ونعم الوكيل ففي يده كل نفع وضر
رضيت بحالي فمالي اعتراض واسلمت وجهي وفوضت امري
إذا اشتد أمر تلاه انفراج فيسران لايغلبان بعسر
فيارب جمع بأهلي شملي وسهل علي بقرب ويسر[1]

ونجدها تميز اسلوب بالتنوع والتلوين بين الجمل الأخبارية والأنشائية .

(١) ادب الرحلة بالمغرب ، الحسن الشاهدي ، الجزء الثاني ، ص ٥٦٦ .

ونجد ابن جبير في قصيدته فيها تعبير عن الأبداع الفني في الشكل والمضمون في أكثر القطع التي نظمها ومافيها من ذكريات عزيزه تقترن بأهله الذين خلف فيهم الله سبحانه واستودعه اياهم وهو يودع أهله :

أقول وقد حان الوداع وأسلمت ... قلوب إلى حكم الأسى ومدامع
أيارب اهلي في يديك وديعة ... وماعدمت صوناً لديك الودائع

وهو يتشوق لأهله وخلانه في قطع أخرى فيكتب أبياتاً [1] يخاطب فيها البجائي وإلى قضاء سبته بلواعج شوقه وحبه لزوجه التي وسدها الثرى هناك :

فلو استطيع ركبت الهواء ... فزرت به الحي والميت

وبذلك نجد أن الفاظ الرحالة الأندلسيين رقيقة قريبة المعاني وأما معانيهم فإنها تصل إلى القلب بمجرد وصول اللفظ إلى السمع في نغمات حالمة وجرس ورنين ، وفي اساليبهم انسياب وتوافق وتآلف .

ومرد ذلك كله راجع إلى بيئة الأندلس وطبيعتها وما خصها الله به من مفاتن قال تعالى : ﴿ **وفي الأرض قطع متجورات وجنت من أعنب وزرع**

(١) نفح الطيب ، ٢ / ٤٨٥ .

ونخيل﴾ الأية [١] كان لها أثرها في تهذيب النفوس ومحاسن صقلت الأحاسيس ومباهج أرهفت المشاعر ، بالإضافة إلى ماعرف عن الأندلس من ثقافات انعكست آثارها على انتاج الرحالة فنياً ، وألتزم الرحالة هذه الأساليب مبتعدين عن خشونه الألفاظ وغريبها لأنها لاتناسب نفسيتهم وذوقها ومصدر ايحائه الأدبي وقد استعمل الرحالة الأندلسيون الفاظ المشارقة في التعبير عما أوحته إليهم حياتهم وحاجاتهم النفسية والعاطفية والفكرية فاختفت الألفاظ الخاشنة والغريبة التي كان قدماء الشعراء يستعملونها ، ويدرك الرحالة بعض الصفات النفسية في تفسير الألفاظ ، وان يكن من الألفاظ ماتزدوج معه المعاني من مثل مقامات التفجع والغزل لتقارب الفاظ الرثاء والغزل أو مخالطة ألفاظ النسيب والرثاء، فتوزع النفس وتتذبذب العاطفه .

أما الألفاظ والتراكيب فإنها تأتي عندهم تعبيراً عن الآراء عند بعضهم من يأتي بطائفة من الآيات القرآنية المتصلة بنبي من الأنبياء ويسرد قصة كما وردت في القرآن الكريم ولكنه في أثناء السرد القصصي يؤول الألفاظ والتراكيب بل ويشير إلى معان ودلالات بعيدة عن معناها المتعارف عليه لدى جمهور العلماء ، وقد يستند أثناء ذلك إلى الصلات اللفظية من اللفظية القرآني .

---

(١) سورة الرعد آية ٣ .

أما ابن جبير ، فنجد الغزاره في معانيه وازدحام الأفكار والتراكيب العربية التي تمر بذهنه وتتعلق بأفكاره التي تمر بذهنه وتعلق بذاكرته وقد وجدنا في أدبه المعنى الطريف واللفظ الرشيق ، ومنتخبات من أقوال غيره عند الرعيني ، والوادي أشي ، وصناعة سواهم من اهل عصرهم وعبارات المشايخ والادباء واساليب الكتاب البلغاء ونراهم يسيرون ولايخرجون عن المعنى الذي يريدون ، كما يأتون بالألفاظ الألفاظ اللائقة ويتقابل المعنى واللفظ في خاطرهم ، فهم يعبرون عن آرائهم الشخصية ، ولايجدون حاجزاً بينهم وبين العالم الخارجي فإذا تكلم أحدهم حدثك عن نفسه ، وإذا شكا فآلامه وإذا مدح للحصول على الخير ، وإذا ذم فلوقوعه في شر ، وإذا وصف وصف مايحيط به ويحصل كل ذلك انطلاقاً إلى المعاني الإنسانية العامة ، وتوكيدهم على التزام الألفاظ الفصيحة اشتقاقاً واستخداما .

وأخيراً فإن أسلوب الرحالة الأندلسيين يمتاز بالسهولة وجودة الأنتقاء ، والرقة والشفافية ، التي كانت مصدراً للإيحاء والرمز والتشخيص والخيال.

الفصل الخامس

الفنون البديعية

الفنون البديعية

مال الرحالة الأندلسيون إلى جانب الاعتدال في استخدام المحسنات البديعة خاصة السجع ، فلايسرفون مطلقاً في استخدامه ولايتعسفون في التقاطه واصطياده وهم بذلك يسيرون في هذا المجال مع مايتفق وطبعهم وتكوينهم الثقافي وقدرتهم على تحسين المعنى أو ابتكاره أو توليده في أثواب جديدة من الصياغة « على أن ورود السجع في اسلوب القول يضفى عليه نغمة زائدة في بنائه الموسيقي وهو ممدوح مادام محققاً لهذه الغاية مقتصداً في عدده ... وهو كريه إذاأضحى المقصود منه الاغراق في التلاعب اللفظي وبيان مقدرة على الحشد البديعي [١] .

فقد ظهر فن البديع منذ القدم وشهد تطوراً على يد مسلم بن الوليد وابي تمام ، وزاد الأهتمام بهذا الفن في القرنين السادس والسابع الهجريين ووضع اسامه بن منقذ كتابه البديع في نقد الشعر الذي اشتمل على أبواب عديدة في ضروب البديع [٢] وقد عمد الشعراء إلى إثقال الشعر به حتى حجب بعض محاسنه ، فما عاد حلية تجمل الأدب ، بل أصبح زخرفاً متكلفاً زائداً ، وغاية في ذاته يستر محاسن الشعر ، ويخفى جمالياته الداخلية ، لأن الشعراء ماعادوا يبحثون عن المعنى بقدر بحثهم عن اللفظ مستخدمين

---

(١) الذخيرة ، م ١ ص ٣٢٠ .

(٢) البديع في نقد الشعر ، تحقيق علي مهنا ، ص ٩ - ١١ .

خصائصه الصوتية والمعنوية ، مفرداً ومنظوماً ومركباً [١] وبذلك اصبحوا يجمعون بين اكثر من فن بديعي في مقطوعة واحدة ، وفي الصور التي رسمها ابن سعيد للحصان والتي تبين مدى قدرته على رسم الصورة وماتحتويه من الزخرفة بألوان البديع من ذلك بمجانسة ابن سعيد بين (أثرت) (والثرى) والطبقات بين (ذي عشق) « ومعشق » وبين « ظلام » « وصباح » وتوريته في لفظ (الأصيل) بين معنى أصاله الحصان وبين لونه الذي يشبه الأصيل باصفراره ولعل صوره ابن سعيد في هذه المقطوعة على عذابتها ودقتها تحولت من حيوية الحركة إلى جمود مزخرفة ساكن يدلك أن البيان والبديع كان الهدف والغاية واختيرت لمناسبتها وقابليتها للبيان البديعي [٢] وقد أكثر الشعراء المرتحلون من استخدام الألوان البديع ، خاصة الجناس الذي استأثر بجانب كبير مثال قول البلوي في رحلته : « مامنهم إلا عالم أوحد ، ولايحد ، ولم بالدولة الحفصية سبق ذكر وحق لاينكر ، والقاضي أبو القاسم جدهم ، به سفر مجدهم وهو الذي عمر ربع الملك وأمر بالحياة والهلك . . »[٣] الجناس بين كلمة (جدهم) و(مجدهم) .

(وأقام من البراعة على منابر أنامله اظهاراً لمعجز البلاغة خطيباً . . وماشهدته من دوام ديمة فلا برحت مكارم الأخلاق واخلاق المكارم تشام من

---

(١) تاريخ النقد الأدبي ، محمد زغلول سلام ، ص ٢١٨ .

(٢) التفاعل الثقافي ، ص ٢٧٦ .

(٣) تاج المفرق في تحلية علماء المشرق ، البلوي ، تحقيق الحسن السائح ، ص ١٠٢ .

برق شيمة إصرار المحامد ومحامد الاصرار)[1] .

تجد التصوير البياني عند البلوي في (وأقام من البراعة على منابر أنامله اظهاراً) وبين (دوام) (وديمه) جناس (والمحامد) جناس معكوس وفي قوله (لما خيرته من انفسها)[2] جناس وتصوير بياني .

(فحكم من الأوامر والأمور اعاليها)[3] (الأمور) والأوامر جناس وتصوير (ثم أو مأ بحاجبه إلى الحاجب)[4] وجناس مقلوب بين (والحكم الأدبية والآداب الحكيمة) جناس مقلوب وكذلك (والكرم المفضل والفضائل الكريمة)[5] .

وقال ﴿ فنزلنا تلك الليلة على بعض قراها واستعملنا ماكنا استصحبنا من قراها ﴾[6] جناس بين (قراها) (قراها) .

وقوله (وناقل سديد ، وناقد شديد)[7] جناس وبين (عدالة الأصل وأصالة العدل)[8] جناس مقلوب .

---

(١) تارج المفرق ، البلوي ، ص ١٠٢ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٠٢ .

(٣) المصدر السابق ، الجزء الثاني ، ص ١٠٢ .

(٤) المصدر السابق ، ص ١١٣ .

(٥) المصدر السابق ، ص ١١٥ .

(٦) المصدر السابق ، ص ١٥١ .

(٧) المصدر السابق ، الجزء الأول ، ص ١٨٧ .

(٨) المصدر السابق ، الجزء الأول ، ص ٢٣٧ .

(الجناس هو نوعان لفظي ومعنوي فالأول ماتشابهت فيه الكلمتان لفظاً واختلفنا معنى ، وهو قسمان : تام وغير تام ، فالأول ما اتفق فيه اللفظان في انواع الحروف وأعدادها ، وترتيبها ، وغير اتمام ما اختلف فيه اللفظان في اعداد الحروف) [1] .

واختلفت نظرة البلاغيين إلى الجناس والسجع وبيان قيمته الفنية كأحد مقومات الفنون الأسلوبية فمنهم من ابدى إعجابه ، ومنهم من عده «من أبواب الفراغ وقلة الفائدة وهو مما لايشك في تكلفه » [2] .

لجأ ابن جبير الخباس والسبع في أسلوبه يمتاز بالحيوية وسهولة التعبير ويتجلى ذلك في وصفه لكارثة السفينة على سواحل صقلية حيث قال : (وجاءت الريح عاصفة فأخذت بناحية الشمال وأصبحنا يوم الأحد المذكور ، والحول يزيد والبحر قدهاج هائجه وماج مائجه ، وفرض بموج كالجبال يصدم المركب صدمات يتقلب لها على عظمة تقلب الغصن الرطب ، وكان كالسور علواً فيرتفع له الموج ارتفاعاً ، يرمي في وسطه بشآبيب كالوابل المنسكب ، فما جن الليل ، واشتد تلاطمه ، وصك الآذان غمامة ، عصوف الريح فحطمت الشروع واقتصر على الدلالين الصغار دون الصواري ، ووقع اليأس من الدنيا وودعنا الحياة بسلام ، وجاءنا الموج من كل مكان وظننا أنا قد أحيط بنا ، فيالها ليلة يشيب لها سود الذوائب ، مذكورة في ليالي الشوائب

---

(١) الإيضاح ، القزويني ، ١ / ٢٣٨ .

(٢) الخزانة ، ابن حجة ، ص ٤١ .

مقدمة في تعداد الحوادث والغوائب ونحن منه في مثل ليل حول طولاً ، فأصبحنا ولم تكد فكان من الاتفاقات الموحشة أن أبصرنا « أقريطش » على يسارنا ، وجباله قد قامت امامنا ، وكنا قد خلفناه عن يميننا فأسقطنا الريح عن حجرانا ، ونحن نظن أنا قد جزناه فسقط في أيدينا وخالفنا المجرى المعهود الميمون وهو ان يكون البحر المذكور منا يميننا في استقبال صقلية فاستسلمنا للقدر ، وتجرعنا غصص هذا الكدر ، وقلنا : «سيكون الذي قفى سخط العبد أو رضى » [١] .

وهنا نجد وصفاً مثيراً لما تعرض له ابن جبير في هذه الرحلة وهي تعتبر رواية إطارها العام يقوم على رحلة قام بها بطلها ابن جبير وفي أثناء زيارته للبلاد سجل ماشاهد فيها ، وقد استخدم ابن جبير السجع الذي عالجه بالكثير من المهارة دون مبالغة والمدهش أنه كلما تعرض لخطر اثناء رحلاته ، فإنه يقسم ألا يرحل مرة أخرى ويقول « الحذر الحذر ، من ركوب مثل هذا الخطر ، وإن كان المحذور لايغني عن المقدور » .

ولكن مايلبث ان يعاوده الحنين إلى الرحلة فيعاود الكرة مرة تلو المرة وهكذا « وقد سجل ابن جبير ساعات اليوم وشهور السنة وهو يصف ماشاهده من الأحداث والجماعات والأفراد ، ولاتفوته الملاحظة الدقيقة أو النقد لما يشاهده من أمور ووصف المدن التي شاهدها » [٢] وإذا إنتقلنا إلى

---

(١) رحلة ابن جبير ، ص ٣٥ .

(٢) الفن القصص العربي القديم ، من القرن الرابع إلى القرن السابع د . عزه الغنام ، ص١٨٧ .

المقطوعة الشعرية عند ابن جبير فنجد الإبداع الفني والبراعة اللغوية ، وقد قصد ابن جبير لتحقيق الجناس وفنون البديع الأخرى في مقطوعات كثيرة يقول منها :

سكان وادي العقيق شوقي إليكم في البعاد زادا
ونظرة منكم المنى لو اهديتموها إلى زاد
زادعهد لنا عندكم حميد ياليتة بالوصال عادا
صادق فيه الكرى جفوني وبعدكم للجفون عادي

فنجد التجنيس واضح بين (زادا) في البيتين الأولين (وعادا) في الآخرين ومثل ذلك بين لفظي (جدك) ولفظتي (الرشد) و(رشد) في قوله :

لم تلزم الرشد يا ابن رشد لما علا في الزمان جدك
وكنت في الدين ذا رياء ماهكذا كان فيه جدك

وتعلق ابن جبير بالجناس في منظومته يفضي به إلى (ان يأخذ الشاعر نفسه بالتزام حروف وحركات في القافية لاتتطلبها قواعد علم القافية ، زيادة في الإيقاع الموسيقي للقافية ونلقى ذلك في المقطوعات ففي المقطوعة الأولى الآنفة التزم حرف الروى والألف وفي المقطوعة الثانية التزم بحرف الدال والجيم ووصل بالكاف وتتجلى قابلية لذلك ابرع ماتكون في قوله :

إذا بلغ المـــــرء ارض الحجـــــاز فقـــــد نال أفضـــــل ما أمـله
وإن زار قبـــــر بنـــي الهـــــدى فقـد أكمـل الله مـا أم لـــــه[1]

وقوله :

هنيئاً لمن حـــــج بيـــــت الهدى وحط عـــن النفـــس أوزارها
وإن الســـعادة مضمـــــونة لمن حـــل طيبـــة أوزارهـــــا

ومن الفنون البديعية الاخرى التي التزمها فضلا عن الجناس حسن التعليل والتورية وقد عرف القزويني حسن التعليل بقوله : « هو ان يدعى لوصف عله مناسبه له باعتبار لطيف غير حقيقي »[2] وهو « اجمل المحسنات البديعية فيه حسن وابتكار إذ يكشف عن طبع شاعري أصيل وروح شاعرية مبدعه وذوق فني رفيع »[3] .

يقول ابن جبير :

أخـــــلاء هـــــذا الزمان الخوؤن توالت عليـــــهم حـــروف العلل
تغير اخوان هـــــذا الزمـــــان وكل صـــديق عـــــراه الخلل
وكانوا قديمـــاً علـــى صحـــــة فقد داخلتـــــهم حـــروف العلل
قضيت التعجـــــب من شـــــأنهم فصـــرت أطـــــالع باب البدل[4]

فلفظنا (العلل والبدل) فيهما مدلول اصطلاحي في علم النحو .. وهو

---

(١) نفح الطيب ، ٢ ٤٤٨ / والإحاطة ٢ / ٢٣٧ .

(٢) الإيضاح ، القزويني ١ / ١٦٩ .

(٣) الأدب في بلاد الشام عصور الزنكيين والأيوبيين والمماليك ، د . عمر موسى باشا ص ٦٨٤ .

(٤) نفح الطيب ، ٢ / ٤٩٠ ، ٤٩١ .

يريد بهما المعنى الآخر التوريه ، فأورد (العلل) مرتين في معنى واحد ، واستخدامه لاسلوب السخرية والتهكم ان يجسد لنا صورة ذات مدلول بليغ لتغير الناس وتقبلهم مع الأسف .

الاقتباس : وهب الرحالة الأندلسيون في حسن التصرف على هيئات مختلفة تجلب في صور الاقتباس والتضمين من آيات الكتاب الكريم والحديث الشريف ، والأمثال ، وكانوا ينشرونه من أشعار في كتابتهم ومايتمثلون به من أساليب المشارقه ويخرجونه في ثوب أندلسي ، ولقد احسنوا ضرب الخواطر والمعاني القديمة او الموروثة أو المستقاة من بيئتهم فيها جمال الفن ودقة الرسم وروعة التصوير ومايفصح عن أصالتهم الخام وشخصيتهم المتفرده ونستبين الاقتباس من القرآن الكريم عند ابن بسام حين يصف تغير الأحوال على أهله وذويه بعد تبدل الأدوار ، وكأنك تطالع لوحة فنية أبدع صانعها في تصويرها وقد اتخذ من عصارة أفكاره متعة في ومرة أحوالهم عندما تقلبت بهم الأيام إلى الشقوة والبؤس بعد أن كانوا يحيون في رخاء وسرة وزين ذلك كله بأضواء الاقتباس الذي أصاب غرضه والذي لو لم يكن في مكانه او عدل عنه إلى غيره ماكان هذا السحر الحلال وذلك حين يقول :

واتخذوا بنات أفكارهم ولدانا وحورا ، وركبوا الحدثان صعبا وذلولاً وعاهدوا الحرمان ليبلنه صبراً جميلاً ، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ومابدلوا تبديلا)[1] ويواصل عباراته حتى نفروا (خفافاً

---

(١) سورة الأحزاب آية ٢٣ .

وثقـــالاً) [1] .. وقد كانوا يئسوا من هذا النشور (كما يئس الكفار من أصحاب القبور) [2] وقد نقل لنا د . مصطفى السيوفي اللوحة الفنية التي رسمها ابن بسام والاقتباسات من الآيات الكريمات كذلك نجد ان جبير اقتبس من القرآن الكريم والحديث الشريف والأمثال العربية المأثورة مكرراً ذلك في قصائد ومطبوعات كثيرة لاتخفى على المتأمل وهو بذلك يعكس لنا وجهاً آخر عن أوجه ثقافية ويحاول أن يبسطها للسامعين من ذلك قوله :

« وكن بحبل الله معتصماً [3] « وإذ هب الرجس عنهم » [4] (وجاهدوا في الله حق جهاده) [5] (و (ان قارون كان من قوم موسى) [6] أو يأتون الصلاة وهم كسالى » [7] .

وفي اقتباسه من الحديث الشريف قوله (فإن زناء العيون النظر) [8] (وجنودك بالرعب منصوره) [9] ومن اقتباساته من الأمثال (فعند جهينة الخبر) (وإن البلاء موكل بالمنطقة) وفي كثير من اقتباساته يغير بزيادة أو نقصان أو إبدال .

واستطاع ابن جبير أن يسمو في بعض أشعاره إلى درجة الجودة لاسيما

---

(١) سورة التوبة آية ٤١ .

(٢) سورة الممتحنة آية ١٣ ، ملامح التجديد في النثر الأندلسي خلال القرن الخامس الهجري ، د . مصطفى محمد السيوفي ص ٥٦٥ .

(٣) اقتباس من قوله تعالى : (واعتصموا بحبل الله جميعاً) آل عمران آية ١٠٣ سورة الأحزاب آية ٣٣ .

(٤) اقتباس من قوله تعالى : (ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيراً) سورة الأحزاب آيـــــة (٣٣) .

(٥) سورة الحج آية ٧٧ .

(٦) سورة القصص آية ٧٥ .

(٧) سورة التوبة آية ٧٥ .

(٨) اقتباس من الحديث الشريف (إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا) .

(٩) اقتباس من الحديث الشريف (نصرت بالرعب سيرة شهر) .

تلك التي يصدر عن عاطفه غزيرة ، وصور فنية رائعة ، لاسيما في اشعار الشوق والحنين ، لاينفي ذلك هبوط المستوى الفني إلى درجة النثرية حين تتمكن من الفكرة فيجري لأدائها ، ويتخلف في البراعة الفنية ، وليس من الإنصاف أن ننتهي إلى الحكم بأن شعره شعر علماء وفقهاء ليس بذي قيمة»[1] كما رأى بعض الدارسين مع الأسف .

ونجد القلصادي في رحلته يستشهد بالقرآن الكريم في مقدمة رحلته « الحمد لله الذي جعل طلب العلم واجباً على البعض من المسلمين ، فقال : تعالى وهو أصدق القائلين : « فلولا نفر من كل فرقه منهم طائفة ليتفقهوا في الدين » [2] وفرض الحج على المستطيع من المؤمنين ، وألزمهم التكاليف حجة عليهم ودليلاً ، فقال سبحانه وتعالى : « ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا [3] ثم سنن العمرة .. » [4] ويقول في موضع آخر «وصلى الله على سيدنا محمد الرؤوف الرحيم [5] ، ذي الخلق العظيم [6] المبعوث رحمة للعالمين [7] بلسان عربي مبين [8] .

---

(١) الذيل والتكملة ٦ / ٣١ .

(٢) سورة التوبة آية ١٢٢ ونص الآية كاملاً وهو : « وما كان المؤمنون لينفروا كافة ، فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون » .

(٣) سورة آل عمران آية ٩٧ .

(٤) رحلة القلصادي ، ص ٨١ .

(٥) اقتباس من الآية الكريمة قوله تعالى : « لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم » سورة التوبة آية ١٢٨ .

(٦) اقتباس من الآية الكريمة : « وانك لعلى خلق عظيم » سورة القلم : آية ٤ .

(٧) أقتباس من الآية الكريمة : « وما أرسلناك إلارحمة للعالمين) سورة الأنبياء ١٠٧ .

(٨) اقتباس من الآية الكريمة « نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين) الشعراء : ١٩٥ .

ويقول في رحلته إلى مناسك الحج :

« وفي اثناء تلك الأيام ذهبنا إلى زيارة جبل ثور ، وفيه الغار الذي قال فيه المولى سبحانه وتعالى : « ثاني اثنين إذ هما في الغار » [١] ويواصل القلصادي زياراته يقوله : « وبسطح الجبل الموضع الذي شق [٢] فيه عن صدره صلى الله عليه وسلم وبعده من البلد نحو الثلاثة أميال » [٣] .

أما الوادي آشي في كتابه يقول :

(فأرسلت عليه سيلا عرماً) [٤] اقتباس من قوله تعالى (فأرسلنا عليهم سيل العرم) [٥] وقوله (وهمت معه في الأدب في كل واد) اقتباس من قوله تعالى : ﴿ **الم ترأنهم في كل واد يهمون وانهم يقولون مالايفعلون** ﴾[١] وفي عبارة أخرى له يقول : ﴿ واستحثوا فلبوا مسرعين ،

---

(١) استشهاد في الآية الكريمة : « ولاتنصروه فقد نصره الله إذا اخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لاتحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم) سورة التوبة آية ٤٠ .

(٢) حديث شق الصدر يروي البخاري حديثاً فيه أن شق الصدر كان عند بئر زمزم - صحيح البخاري ٩ / ١٨٢ .

(٣) رحلة القلصادي ص ٣٧ .

(٤) سورة الأعراف آية ٨٥ ، برنامج الوادي آشي ، تحقيق محمد محفوظ ، ص ١٨٩ .

(٥) سورة سبأ آية ١٥ .

وأسرعوا مهطعين ، وأقبلوا ينغضون ، كأنهم إلى نصب يوفضون ، اقتباس من الآية « إلى نصب يوفضون خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة ﴾ [1] أما من الحديث الشريف فنجده في قوله : « وصحبنا من الصافنات الجياد ، التي لم يزل الخير منها في النواحي والأجياد » وهو يشير إلى حديث الرسول صلى الله عليه وسلم « الخيل معقود في نواحيها الخير » .

---

(١) سورة الشعراء آية ٢٢٤ .

(٢) سورة المعارج آية ٤٢ .

(الخاتمة - النتائج - التوصيات)

الخاتمة

آمل أن تكون هذه الدراسة قد قدمت تصوراً واضحاً عن أدب الرحلة الأندلسية إلى الحجاز من خلال تتبع أخبار الرحالة وتراجمهم واشعارهم التي قالوها وأثر الارتحال بصوره مباشره أو غير مباشره ، مع القاء الضوء على فن الرحلة لاعتقادي بأن هذا الفن يعكس البيئة بمختلف صورها وأشكالها وقد تناولت كتاب الرحلة الحجازية وأثارهم ، والقيمة والأدبية للرحلات الأندلسية ، والمحتوى الأدبي للرحلة الحجازية من شعر ونثر والبناء الفني للرحلة من مكونات البنية السردية ، والوصف ومكونات البناء الأسلوبي بالإضافة إلى دراسة نصوص هذه الرحلات والتعرف على أصحابها ، مع الأحالة على أهم مصادر ومراجع ترجمته متبع هذا بالقاء نظره على الرحلة ورسم خطوطها العريضة وتلخيص محتوها والنظر إلى الرحلات من حيث الشكل والمضمون فاستعرضت بعض ما استخلصت من مضامين اجتماعية وعلمية وعرض المضمون الأدبي سواء أكان شعراً ونثراً وتوقعت مع منهج الرحلات وأسلوبها وأنها لم تنسج على منوال واحد ولم تسلك طريقة واحده بل اختلفت منهجاً وأسلوباً .

لقد حظي الحجاز بالعديد من الدراسات في الآونة الأخيره لماله من منزلة عظيمة في نفوس المسلمين واستخدمت المصادر للإلمام بتاريخ هذه البقعة المهمة ولكن الاعتماد على كتب الرحالة الأندلسيين واظهار اهميتها

كمصدر من مصادر تاريخ الحجاز لم تحظ بالدراسة الكافية ، فلقد تهيأ لمكة المكرمة مالم يتهيأ لغيرها من مدن العالم الإسلامي فقد هفت إليها افئدة العلماء الذين ذاعت شهرتهم في علم من العلوم التي اختصوا بها إلى جانب العدد الكبير من أبنائها العلماء الذين كان لهم أثر كبير في رواج الحركة العلمية بها لتعدد الحلقات العلمية في المسجد الحرام والمدينة المنورة ، التي كان للرحالة الأندلسيين الدور الكبير في شد الرحال إليها .

وقد أدخلت الرحلة الأندلسية عناصر جديدة على جوهر العلم الجغرافي والتاريخ وأدخلت علوم الحياة بحيوانها ونباتها وأعطت الفقة والأدب واللغة واخبار العلماء حظها من العناية وحببت هذا النوع الأدبي إلى الناس بأن ميزته عن كتب الجغرافيا المحضة وعن كتب الفهارس بهذه المادة الشيقه الجديده من وصف طبائع الشعوب ونقل انماط سلوكهم ومعاملاتهم من خلال رواية الحوادث والمشاهدات المختلفة والامتزاج بالناس ونقل اخبارهم عن طريق الحكاية النادرة التي اضطلع فيها الرحالة الأندلسي بدور العالم الأديب والباحث في الطبيعة وعالم الاجتماع وتميز بالدقة والأمانة والصدق في الروايات ونقل الحقائق التاريخية التي يسردها مما جعل الرحلة متصلة بفكر وملتقى علم أصبح أثره ظاهراً في اكتساب العلوم وتقدم الثقافة .

تبقى الرحلة الأندلسية بفضل هذه المكانة وثيقة ذات قيمة عالية على مختلف المستويات ، فهي وثيقة جغرافية تاريخية لشاهد عيان امتاز بالدقة والصدق لتجرده عن المصلحة الذاتية وهي وثيقة ادبيه لما حظت به من فنون

الآداب والاهتمام بأخبار الكتب وتراجم العلماء فلكل رحله شخصيتها الخاصة ونستطيع في كل رحلة أن نلخص بحال اهتمام الرحالة .

والرحلة الأندلسية وثيقة حضارية وثقافية وأدبية كان لها دور في التقريب بين المشرق والمغرب عن طريق شكلها الفني الجذاب الذي رصد معالم الحضارة والثقافة في كل مكان .

- والرحالة الأندلسي في رحلاته ينقل ثقافة بلاده وينشرها حوله خاصة في الشرق حيث تتفاعل مع الثقافة المشرقية ، ويحصل التبادل والرحله سجل هذا التلاقي والعطاء الخصب ، وقد أفادت الرحلة ان كثيراً من علماء الأندلس كانوا يدرسون في المشرق ، وفتحت الرحلة الأندلسية عن علماء وحجاج يدرسون بالحرمين الشريفين في حجهم وزيارتهم الديار المقدسة لأداء مناسك الحج .

- اغترف الرحالة الأندلسيون من معين الحياة الواسع مادة لاقلامهم لخلق أدب حي ينمي المعارف على أختلاف أنواعها ولايتقيد بالصغائر التي هي قيود تكبل أجنحته دون التحليق والسمو دون ان تفتح لاحتضان الحياة بأسرها ومن هنا كان سر ذيوع الرحلة وتأثيرها في النفوس وهذا ، أبرزت رحلة بن جبير مدى اهتمام المشرق برحلات البلوي والقلصادي وحظيت رحلة بن جبير بالاهتمام والذيوع في المشرق حتى أصبحت مرجعاً مذكوراً في علوم شتى وهذا الذيوع وهذا الانتشار كان من نتائجه ان تأثر الرحالة الأندلسيون بعضهم ببعض وكثرت نقول بعضهم عن بعض ونقل العبدري بعض آراء ابن

جبير وكذلك البلوي من الجغرافيات والأدبيات « إذ لاخير أن يستفيد رحاله بما وصل إليه آخره ، ولاخيرأن تتشابه بعض الجزئيات في العمل الأدبي، ولا أرى انتقاصاً في ذلك لهذا الرحالة او ذاك مادامت المعالجة متغايرة»[١] ويرجع ذلك إلى المعاناة والظروف النفسية والحوادث التي لها تأثير كبير في انعكاس ذلك على حياته ، تبعاً لما تتميز به شخصية المؤلف فهي ترجمة نفسية وذاتية واخلاقية للرحالة من حيث يشعر أو من حيث لايشعر فالشخصية والمعاناة النفسية تظهر في كل صورة من صور الرحلة في الوصف .

---

(١) الرحلة في الأدب المغربي ، فاطمة خليل ، ص ٥٧٢ .

أهم نتائج هذه الدراسة :

١ - ظهـور أثر الغربـة في نفـوس الرحـالة الأنـدلسـيين من خـلال شـعـرهـم وجعلها مبرراً لكل مايلاقونه من مصاعب في ديار غربتهم وتأثيرها في التعصب لأندلسيتهم بصورة واضحة .

٢ - تعتبر الرحلات مصدراً فريداً لكثير من النصوص الأدبية شعراً أونثراً فلقد انفردت برواية كثير من النصوص ، وهكذا فأغلب الرحالين حرصوا على أن تضم رحلاتهم النوادر ، كما أدرجوا في رحلاتهم كثيراً من قصائدهم الشعرية ورسائلهم النثرية ، ولم تعرف لهم أشعار او كتابات إلا من خلال ماورد في رحلاتهم ومن اجل ذلك اعتبرنا الرحلات بمثابة دواوين لأصحابها ومجاميع ضمت ألواناً من إنتاج علماء العصر وأدبائه (١) .

٣ - تقوم علاقة الرحالة الأندلسيين مع السلاطين وكبار رجال الدولة من المشارقة في بعضها على التكسب وطلب الانضواء والحماية ، ولعل الظروف التي عاشوها ومافيها من مشقه أدت إلى توجيه علاقاتهم وشعرهم السياسي .

٤ - التفاعل بين الرحالة الأندلسيين والشعراء المشارقة في مجالسهم ومساجلاتهم وان اسلوب الرحالة اتسم في معظمة بوضوح الفكرة

---

(١) أدب الرحلة بالمغرب في العصر المريني ، الجزء الثاني ، الحسن الشاهدي ص ٦٦٠ .

وجمال التعبير وبساطه الجملة وسلامتها من التكلف والتصنع حتى في المستويات الأسلوبية الأخرى ومن الخطأ التسرع في الحكم بأن النثر الأندلسي صورة للنثر المشرقي ينحو نحوه ويحتذي حذوه فمثل هذا التعميم يجانب المنهج العلمي والبحث الرصين المتأني .

٥ - استطاعت ألفاظ الرحالة الأندلسيين وصورهم ومعانيهم ان تحمل رؤية واضحة إلى حد ما عن أوضاعهم ونفسياتهم وارتباطهم بذوق عصرهم ، واعطاء الشعر في المشرق صبغة خاصة ، كما تميزت صورهم بأعمال الفكر في بنائها وقدرتهم على البناء الأكثر تكاملاً ودقة وتفصيلاً وتفوقهم في ذلك على المشارقة .

٦ - لعبت الرحلة دورها في تراجم الاعلام الذين التقى بهم الرحالة وشاهدوا من خلاله ظروف حياتهم ، مما جعل لهذه التراجم خصوصية تختلف عما تضمنته كتب التراجم والطبقات ، إذ إن الرحالة يستقي معلوماته من الأتصال المباشر بالمترجم سواء في البيت أو في المسجد ولم تكن الترجمة مقتصره على الجانب العلمي وإنما يتعمق الشخصية فيستفاد منه في جوانب عقلية ونفسية .

٧ - يتفاوت إنتاج الرحالة الأندلسيين في قيمته الفنية وغزارته وكميته وهو اختلاف ناتج عن تفاوت قدراتهم وثقافاتهم ونوعية رحلاتهم .

٨ - اعتزاز الرحالة الأندلسيين بحضارتهم الإسلامية وثقتهم بها وبأصالتها وذكرهم مساوئ الحضارات الأخرى وهذا يميزهم بغلبة الحس الإسلامي .

٩ - « يعتبر أدب الرحلة الأندلسية جزءاً مهماً في معرفة ثقافة (الآخر) وحضارته « فإن ادباء الرحلة قد واجهوا هذه الحضارات وعايشوها فترات متفاوته ، سمحت لهم في كثير من الأحيان أن يصفوها وصفاً موضوعياً ، معتمداً على المشاهدة لبعض تفاصيل هذه الحضارات ، مع معرفة ودراية فكرية لأسبابها ونتائجها » [١] .

١٠ - استفاد الرحالة الأندلسيون من آليات الفن القصصي من حوار ، وسرد ، بالإضافة إلى « القصص الذي ترعرع في ظلال القرآن الكريم وكنفه ومما ورد من قصص ، أصطلح عليه تسميته بالقصص القرآني هو تنزيل سماوي من رب العالمين.. وما يؤكد ان القرآن الكريم استخدم القص كوسيلة من وسائل إبلاغ الدعوه ، وقد قام بتوظيف فن القص توظيفاً دينياً يتفق وغاياته السامية » [١] هذا وقد حوت رحلات الأندلسيين قصصاً مثل قصة موسى وعيسى وفرعون وغيرها من القصص في صوره جملية .

١١ - كشفت الدراسة عن تراجم لشعراء مرتحلين في بعض المصادر المخطوطة لم تذكرها المصادر المطبوعة بالإضافة إلى المخطوطات التي لم تحقق لترى النور التي تؤكد لنا وجود مادة كبيرة تحتاج إلى بحث وتقصى من المصادر

---

(١) أدب الرحلة في المملكة العربية السعودية ، عبدالله حامد ، ص ٢٠٧ .

(٢) التراث القصصي في الأدب العربي ، د . محمد رجب النجار ، ص ٣٨٤ .

المطبوعة التي تحتوي على تلك المادة الشعرية الفنية .

١٢ -« معظم الرحالة الأندلسيين كانوا يحملون كتب الرحالة السابقين عليهم للمقارنة واضفاء الجديد وتصحيح بعض الأخطاء التي وقع فيها من سبقهم وربماالنقل عنهم في بعض الأحيان للأمور التي لم يتسن لهم رؤيتها او لبعد العهد والنسيان» (١) .

١٣ - خروج الرحالة الأندلسيين أساساً للحج والزيارة وطلب العلم فلمعت اسماؤهم وذاع صيتهم بما نالوه من علم هناك ، إضافة إلى كتابتهم لرحلاتهم التي توضح نظرتهم للأمور وتحليلها وحكمهم على الأحداث التي نقلوها بكل امانة وصدق لبعدهم عن التميز لجانب دون آخر .

١٤ - الرحلة رسالة يشعر الأديب أنه يؤديها على وجه من الوجوه المحمودة، وهذه الرسالة مأخوذه من حياة المجتمع الصغير الذي يعيش فيه الرحالة ، ثم حياة الأمة التي ينتمي لها في خلق قنوات الأتصال المباشر وغير المباشر بين أوطان المدنيات المختلفة وتوسيع دائرة الرؤية واستشعار الرؤية المشتركة لحركة الحياة في إطار وحدة الأرض ووحدة الناس على الأرض.

---

(١) الرحلات المغربية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز (دراسة تحليلية مقارنه) عواطف محمد نواب ، ص ٤٣٨ .

التوصيات :

- هناك الكثير من المخطوطات التي تحتوي على رحلات تحتاج إلى بحث وتحقيق من مراكز المخطوطات في الوطن العربي لم تحقق ولم تر النور لاستفادة الباحثين في هذا الفن ،ويرجو الباحث التوسع في تحقيقها ونشرها .
- يدعو الباحث إلى إدخال مقرر (أدب الرحلة) عموماً إلى المقرارات الدراسية في المدارس والجامعات وذلك للاطلاع والتعرف على هذا الفن الأدبي الذي يحمل خصائص فنية شيقة في تشويق الدارسين ومعرفة المشاق التي تكبدها أجدادنا الأوائل في سبيل تقديس العلم .
- ترجمة رحلات الأجانب التي كانت إلى الوطن العربي عامة وخاصة إلى الجزيرة العربية التي كانت طابعها التجسس ومقارنتها بالرحلات الأندلسية التي كان طابعها الأمانة والصدق والوفاء بالإضافة إلى فنونها الأدبية الأخرى .
- ان يخصص قسم خاص في المكتبات العربية للتأكد على التدقيق في تصنيف (أدب الرحلة) في قسم خاص به ليميزه عن كتب التاريخ والتراجم والمسالك والجغرافيا .

وفي الختام أسأل الله ان يكون قد حالفني التوفيق في ابراز أهم النتائج والتوصيات التي توصل إليها البحث ومحققة بذلك الهدف منه .

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين وشفيعنا النبي الأمين محمد بن عبدالله وعلى آله وصحبه أجمعين.

الفهارس الفنية

١ - فهرس الآيات القرآنية « مرتبة على حسب السور »

٢ - فهرس الأحاديث الشريفة مرتبة على حروف الهجاء .

٣ - فهرس الأشعار مرتبة على حسب القوافي .

٤ - فهرس المراجع والمصادر .

فهرس الآيات القرآنية الكريمة

فهرس
الأحاديث النبوية الشريفة

فهرس الأحاديث النبوية مرتبة على حروف الهجاء

فهرس الأشعار

فهرس الأشعار

أول البيت	القافية	القائل	عدد الأبيات	الصفحة
فـإنك شـمس	كـوكب	النـابغـة	١	٢٥١
بمـن يـشـق	صحـاب	ابوفـراس	٢	٢٥٢
عـرج	والأدب	ابن سـعيـد	٢	٢٤٠
يـزيـن	والأدب	عمران بن سعيد	٨	
إذا كـنـت	قـرب	الغـرناطي	٢	٢٣٥
	(التـاء)			
فلو اسـتطيع	الميـتـا	ابن جـبـير	١	١٨٢ / ٢٨٧
هذا مـقـام	والآيـات	لابن جابر الغساني	٤	٧٣
	(الحـاء)			
قـد احـدث	نـاصـح	ابن جـبـير	٢	١٧٦
ان يوم الفـراق	جـنـاح	ابن سـعـيـد	٢	٢٦٥
لـك يـاابـن	صـائح	ابن سـعـيـد	٤	١٦٦
مـانـيل	تلتـاح	ابن سـعـيـد	٣	٢٤٧

فهرس الأشعار

فهرس الأشعار

فهرس الأشعار

أول البيت	القافية	القائل	عدد الأبيات	الصفحة
	(السين)			
أيها المستطل	الرؤوسا	ابن جبير	٢	١٧٧
ياليت	المختلى	ابن جبير	٤	١٨١
ويأجو	الأندلس	ابن جبير	٤	٢٢٦
خليلي	القدس	البلوي	١٥	١٩٦
	(العين)			
أقول	مدامع	ابن جبير	٢	١٨٢
ضلت	الشريعة	ابن جبير	٢	٢٣٢
بعثت	يتضوع	البلوي	١٩	١٩٥
عجبت	بقطعة	ابن جبير	٦	١٧٩
على أن	شنيع	البلوي	٢	٢٠٨
	(الفاء)			
ياوحشة	بالسفه	ابن جبير	٤	١٨٩

فهرس الأشعار

فهرس الأشعار

فهرس المراجع

أولاً : المصادر والمراجع المطبوعة .

ثانياً : المراجع الأجنبية .

ثالثاً : الرسائل العلمية .

رابعاً : المجلات والدوريات .

خامساً : الابحاث والندوات .

سادساً : لقاءات .

سابعاً : الملاحق .

ثامناً : فهرس المحتويات .

أولاً : المصادر والمراجع المطبوعة :

١ - القرآن الكريم .

٢ - أبن بطوطة « الرجل والرحلة » أسماء ابوبكر محمد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ط ١ ، ١٩٩٢م .

٣- أتجاهات الرحالين الجزائريين في الرحلة العربية الحديثة ، د . عمر بن قينه ، دار المطبوعات الجامعة ، الجزائر ، ١٩٩٥م .

٤ - أحكام القرآن ، لابن عربي ، تحقيق محمد البجاوي .

٥ - أدب الرحلة ، د . حسن نصار ، الشركة المصرية العالمية ، لونجمان مكتب لبنان ط. ١ ، ١٩٩١ .

٦- أزهار الرياض في أخبار القاض عياض شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني جـ ١ ، ٢ ، طبع اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامي بين حكومة المغرب ودولة الأمارات العربية المتحدة ، الرباط ، ١٩٧٨م .

٧ - أختصار القدح المعلى في التاريخ المحلي أبن سعيد المغربي نشرته وزارة الثقافة ، بالقاهرة ، ١٩٥٩م .

٨ - أدب الرسائل في المغرب العربي في القرنين السابع والثامن ، الطاهر محمد توات . ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر .

٩ - الأدب في بلاد الشام عصور الزنكيين والأيوبيين والمماليك ، د. عمر موسى ط١ ، بيروت ١٩٨٩م .

١٠- المعجم في أصحاب أبي علي الصوفي ، أصدره بالاوفست عن طبعة كودميرا مدربة ، أبن الآبار محمد بن عبدالله القضاعي ت (٦٥٨) هـ.

١١ - أدب الرحلة بالمغرب ، الحسن الشاهدي (جزئين) مطابع عكاظ الرباط، المغرب ، ١٩٩٠ م .

١٢ - الأدب الأندلسي في عصر الموحدين ، د . حكمة على الأوسي / نشر جامعة من بغداد .

١٣ - أعلام الجغرافيين العرب ومقتطفات من آثارهم ، د . عبدالرحمن حميدة ، دار الفكر .

١٤ - أدب الرحلة عند العرب ، د . حسني محمود حسين ، دار الأندلس ، ط٢ بيروت ، ١٩٨٣م .

١٥ - أحكام القرآن ، لابن عربي ، تحقيق محمد البجاوي .

١٦- أصول النقد الأدبي ، أحمد الشايب ، مطبعة النهضة المصرية ، ط٧ ، ١٩٦٤م .

١٧ - بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، أحمد بن يحى بن أحمد بن عميرة المتوفي ٥٥٩هـ ، دار الكتاب العربي ، ١٩٦٧هـ .

١٨ - بغية الوعاة ، جلال الدين السيوطي ، تحقيق محمد ابو الفضل ، دار الفكر القاهرة ، ١٩٧٩م .

١٩ - برنامج التجيبي تحقيق عبدالحفيظ منصور ، ليبيا ، ١٩٨١م .

٢٠ - برنامج شيوخ الرعيني ، أبو الحسن علي بن محمد بن علي الرعيني الأشبيلي، حققه ابراهيم شبوح ، دمشق ، مطبوعات احياء التراث ، ١٩٦٢ .

٢١ - برنامج الوادي آشي ، تحقيق محمد محفوظ ط٣ ، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٨٢ .

٢٢ - البناء الفني للصورة الأدبية في الشعر ، د. علي صبح ، الناشر مكتبة الأزهرية ، القاهرة ، ط ١ ، ١٩٩٦م .

٢٣ - بحوث مشرقية ومغربية في التاريخ والحضارة ، د . سحر السيد عبدالعزيز الأسكندرية ط١ ، ١٩٩٧م .

٢٤ - تراجم إسلامية وأندلسية ، محمد عبدالله عنان ، ط ٢ ، مكتبة الخانجي ، القاهرة .

٢٥ - تاريخ الأدب ، بروكلمان ، ترجمة عبدالحليم النجار وآخرون ، دار المعارف .

٢٦ - تاريخ أبي زرعة الدمشقي ، أبوزرعة ، ج٢ ، تحقيق شاكر الله القوجاني.

٢٧ - تاريخ قضاة الأندلس ، لابي الحسن البناهي ، ط ١ ، بيروت .

٢٨ - ٣٣ - تاريخ الجامعات الإسلامية الكبرى ، محمد عبدالرحيم غنمة ، منشورات معهد الحسن ، تطوان ١٩٥٣ .

٢٩ - تلخيص الأبريز في تلخيص باريز - رفاعة الطهطاوي ، إصدار وزارة

الأرشاد ، مصر ، ١٩٥٨م .
٣٠ - تراجم مغربية من مصادر مشرقية جمعها ورتبها ، د . محمد بن شريفة ، ط١ ، ١٩٩٦م .
٣١ - تراجم رجال القرنين السادس والسابع المعروف بالذيل على الروضتين ، دار الجيل ، ١٩٧٤ .
٣٢ - تاج المفرق في تحلية علماء المشرق ، خالد البلوي تحقيق الحسن السائح ، طبع بأشراف اللجنة المشتركة بين حكومة المغرب والأمارات .
٣٣ - تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة ، قرطبة ، د. إحسان عباس
٣٤ - تاريخ كشف أفريقيا وأستعمارها د . شوقي الجمل القاهرة ، ١٩٧١م.
٣٥ - تاريخ الأدب العربي ، ج٥ ، الأدب في المغرب والأندلس عهد المرابطين والموحدين) عمر فروخ . دار العلم للملايين ، لبنان .
٣٦ - ترجمان الأشواق ، محي الدين بن العربي ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٦م .
٣٧ - تاريخ الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس ، جاسم القاسمي مؤسسة شباب الجامعة الأسكندرية .
٣٨ - تاريخ الأدب الجغرافي العربي ، لاغناطيوس ، كراتشكوفسكي ، ترجمة صلاح هاشم دار الغرب الإسلامي ، بيروت ١٩٧٨ .
٣٩ - تطور الشعر القصصي ، د . أحمد محمد النجار ، جامعة عين شمس، الدار الفنية للنشر ، القاهرة ، ١٩٩٠م .
٤٠ - تاريخ النقد الأدبي من القرن الخامس إلى القرن العاشر ، محمد زغلول

سلام ، مصر ، ١٩٦٠م .

٤١ - تاريخ آداب العربية ، ج٣ ، مصطفى صادق الرافعي ، الناشر دار الكتاب العربية ، بيروت ، ١٩٧٤م .

٤٢ - التعريف بأبن خلدون ورحلة غرباً وشرقاً ، تحقيق محمد الطنجي القاهرة ، ١٩٥١م .

٤٣ - التعريف بالقادري ابن سوده ، لابي عبدالله محمد بن الطالب بن الحاج المرداسي تحقيق جعفر ابن الحاج ، مطبعة الكتاب ، دمشق ، ١٩٩١م.

٤٤ - جامع بيان العلم وفضله ، ابن عبدالبر الجزء الأول .

٤٥ - جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس ، أبن عبدالله محمد أبن ابي نصر فتوح الأزدي الجزء ٣ ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٩٦م.

٤٦ - جزر الأندلس المنسية د . عصام سالم ، دارالعلم ، ط١٠ ، بيروت ١٩٨٤م .

٤٧ - جماليات الأسلوب الصورة الفنية في الأدب العربي ، د . فايز الداية ط٢ ، دار الفكر المعاصر ، لبنان ، ١٩٩٦ م .

٤٨ - الحجاز في صدر الاسلام ، د . صالح العلي .

٤٩ - حسن المحاضره في تاريخ مصر والقاهره ، لجلال السيوطي ، تحقيق محمد أبو الفضل ، القاهرة ، ١٩٦٧م .

٥٠ - حمد الجاسر ، جغرافية الجزيرة العربية ومؤرخها ، أحمد العلاونة ،

ط١ ، دار القلم ، دمشق .
٥١ - الحركة الفكرية في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي د . عبداللطيف حمزة الأول ، ط١ ، دار الفكر العربي .
٥٢ - خلاصة تاريخ الأندلس ، شكيب أرسلان ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٨٣م .
٥٣ - الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، تحقيق محمد سعيد جاد ، دار الكتاب الحديث القاهرة ، ١٩٦٦م .
٥٤ - دائرة المعارف (قاموس عام لكل فن ومطلب) ، بطرس البستاني ج١ ، دار المعرفة ، لبنان .
٥٥ - دراسة في مصادر الأدب ، د . الطاهر أحمد مكي ، ط السابعة ، دار المعارف ، ١٩٩٣ م .
٥٦ - دائرة المعارف الإسلامية ، نقلها إلى العربية ، محمد ثابت الفندي ، ج١ ، ١٩٣٣م .
٥٧ - دولة المرابطين في عهد بن يوسف بن تاشفين دراسة سياسية / سلامه الهرفي المكتبة الفيصية ، مكة ، ١٩٨٥م .
٥٨ - دراسات في نقد الرواية ، د . طه وادي ، دار المعارف ، ط٣ ، القاهرة،١٩٩٣م .
٥٩ - الدين والأخلاق في الشعر النظره الإسلامية والرؤية الجمالية ، د . محمد سعد قشوان ، الناشر مكتبة الكليات الأزهرية ، ط١ ،١٩٨٥م.
٦٠ - الرحلة في الإسلام ، أنواعها ، أدابها ، د . عبدالكريم الصعيدي ،

ط١ ، القاهرة ، ١٩٩٦م .

٦١ - رحلة القلصادي ، أبو الحسن علي بن محمد ، تحقيق محمد أبو الأجفان، تونس ، ١٩٨٧م .

٦٢- الرحالة المسلمون في العصور الوسطى ، د . زكي محمد حسن ، دار المعارف ، ١٩٤٥م .

٦٣ - الرحلة في الأدب العربي (حتى نهاية القرن الرابع الهجري ، د . ناصر الموافي ط١ ، القاهرة ، ١٤١٥هـ .

٦٤ - الرحلة عين الجغرافيا المبصره في الدراسة الميدانية ، القاهرة ، ١٩٨٢م.

٦٥- الرحلات د . شوقي ضيف ، طبعة دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٥٦م .

٦٦ - رايات المبرزين وغايات المميزين ، لابن سعيد الأندلسي ، تحقيق د . النعمان القاضي ، القاهرة ، ١٩٧٣ م .

٦٧ - الرحلة في طلب الحديث ، الخطيب البغدادي ، تحقيق نور الدين عتر البيان ، ١٩٧٥م .

٦٨ - الرحلات المغربية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز دراسة تحليلية مقارنة، عواطف محمد نواب ، ١٩٩٦م.

٦٩ - الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق ، د . إحسان عباس ، دار الكتاب بيروت ، ١٩٨٤ .

٧٠ - رحلة أبن جبير في مصر وبلاد العرب والعراق والشام عصر الحروب الصليبية ، د . حسن نصار ، دار مصر .

٧١ - رحلة ابن جبير ، أبو الحسين محمد ، دار صادر للطباعة ، بيروت ، ١٩٦٤م .

٧٢ - رحلة ابن معصوم المدني أو سلوة الغريب وأسوة الأريب ، تحقيق شاكر هادي ط١ ، لبنان ، ١٩٨٨ م .
٧٣ - رحلات الأمام محمد رشيد رضا ، ط١ ، لبنان ، ١٩٨٨م .
٧٤ - الرحلة عن الجغرافيا المبصره في الدراسة الميدانية ، القاهرة ، ١٩٨٢م.
٧٥ - زاد المسافر وغرة محيا الأدب السافر لابي صفوان التجيبي (أشعار الأندلسيين في عصر الدولة الموحدية) إعداد عبدالقادر محداد ، الناشر دار الرائد العربي ، بيروت ، ١٩٧٠م .
٧٦- السبطي آخر شعراء الأندلس ، د . محمد بن شريفة ، دار الغرب الإسلامي الجمعية المغربية للتأليف والترجمة ط ١ ، ١٩٨٥ م .
٧٧ - الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالأندلس ، د . محمد مجيد السعيد ، الدار العربية للموسوعات ، الطبعة الثانية ، بيروت ،١٩٨٥م .
٧٨ - الشعر الأندلسي غرسية غومس ، ترجمة د . حسين مؤنس .
٧٩ - الشعر الأندلسي في عصر الطوائف ، هزي برسي ، ترجمة د . الطاهر مكي .
٨٠ - الشعر الأندلسي في القرن التاسع الهجري (موضوعاته خصائصه ، قاسم الحسني الدار العالمية للكتاب ، الدار البيضاء ط ١٠ ، ١٩٨٦ م
٨١ - شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، لابن العماد الحنبلي ، بيروت .
٨٢ - شجرة النور الذكية في طبقات المالكية ، محمد بن محمد غلوف ، دار الكتاب العربي ، بيروت .

٨٣ - الشكل والصوره في الرحلة الجزائرية الحديثة ، د . عمر قينه ط١ ، شركة دار الأمة للطباعة ، الجزائر ، ١٩٥٥م .

٨٤ - الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، شمس الدين محمد بن عبدالرحمن السخاوي م ، ٧ ، ٨ بيروت ، ١٩٩٢م .

٨٥ - ضحي الاسلام ، أحمد امين .

٨٦ - عصر الدول والأمارات في الأندلس ، د . شوقي ضيف ، ط٢ ، القاهرة ، ١٩٩٤م .

٨٧ - الاعلام ، خير الدين الزركلي ، دار العلم بيروت، ١٩٩٠م .

٨٨ - الأعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ، لشمس الدين السخاوي ، تحقيق روز نتال ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

٨٩ - علماء النظاميات ومدارس المشرق الإسلامي د . ناجي معروف مطبعة الأرشاد ، بغداد ، ١٩٧٣م.

٩٠ - الغصون اليانعة في شعر المائة السابعة ،أبن سعيد المغربي ، ط١ ، مصر .

٩١ - فنون النثر الأدبي بالإندلس في ظل المرابطين ، د . مصطفى الزباخ الدار العالمية للكتاب ، الدار البيضاء ، المغرب .

٩٢ - الفن القصصي العربي القديم من القرن الرابع إلى القرن السابع ، د . عزة الغنام ، الدار الفنية للنشر والتوزيع .

٩٣ - فن الوصف ، وتطوره في الشعر العربي ، إيليا الحاوي ، دار الكتاب اللبناني ط ٣ ، ١٩٨٠م .

٩٤ - فوات الوفيات ، محمد بن أحمد أبن شاكر الكتبي ت ٧٦٤ هـ - ١٣٦٢م طبعة بولاق .
٩٥ - القصة العربية .. عصر الأبداع دراسة للسرد القصصي في القرن الرابع الهجري د . ناصر الموافي كلية الأداب ، جامعة القاهرة ، الطبعة الثانية ، دار النشر للجامعات ، ١٤١٦هـ
٩٦ - الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة لسان الدين بن الخطيب ، تحقيق د . احسان عباس توزيع دار الثقافة بيروت .
٩٧ - كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، حاجي خليفة ، طبعة بغداد .
٩٨ - لسان العرب ، أبن منظور ، تحقيق لجنة من دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٩م .
٩٩ - ليبيا في كتب الجغرافية والرحلات ، إختيار د. احسان عباس الناشر دار ليبيا للنشر والتوزيع ، بنغازي ، ليبيا .
١٠٠ - ملامح التجديد في النثر الأندلسي ، د . مصطفى محمد السيوفي ، ط١ ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٩٨٥ .
١٠١ - المصادر التاريخية العربية في الأندلس ، ك - يويكا نقله إلى العربية نايف أبوكرم ، منشورات دار علاء الدين ، الطبعة الأولى ، دمشق ، ١٩٩٩م .
١٠٢ - ملامح التجديد في النثر الأندلسي ، د . مصطفى السيوفي ، عالم الكتب ، الطبعة الأول ، ١٩٨٥ م .

١٠٣ - المختار من الشعر الأندلسي ، د . محمد رضوان الداية ، ط٣ ، دار الفكر ، دمشق ، ١٩٩٢م .

١٠٤ - المدائح النبوية حتى نهاية العصر المملوكي ، د . محمود سالم محمد، دمشق ط ١ ، ١٩٩٦ .

١٠٥ - ملامح الشعر الأندلسي ، د . عمر الدقاق ، دار الشرق العربي بيروت .

١٠٦ - متنوعات محمد حجي « نشرة بمناسبة صدور موسوعة إعلام المغرب» تقديم أحمد التوفيق ، دار الغرب الإسلامي .

١٠٧ - مقدمة أبن خلدون ، عبدالرحمن بن خلدون (تحقيق علي عبدالواحد وافي ، لجنة البيان العربي ، القاهرة ، ١٩٦٦ م .

١٠٨ - المعجم في أصحاب أبي علي الصوفي ، أصدره بالاوفست عن طبعة كودميرا مدربة ، ابن الآبار محمد بن عبدالله القضاعي ت (٦٥٨) .

١٠٩ - من أعلام الفكر والأداب في العصر المريني ،محمد بن عبدالعزيز الدباغ ، الدار البيضاء ، توزيع لكتبة الأمة ، المغرب .

١١٠ - محطات أندلسية ، محمد حسن قجة ، دراسات في التاريخ ، والأدب والفن الأندلسي ، الدار السعودية للنشر والتوزيع ط١ ، جدة ، ١٩٨٥ م .

١١١ - مل العيبة بماجمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكة وطيبة ، أبن رشيد السبتي ، الجزء الخامس ، تحقيق د . محمد الحبيب الخوجه ، ط ١ ، بيروت ، ١٩٨٨م .

١١٢ - منهاج البلغاء وسراج الأدباء - القرطاجي ، تحقيق محمد الحبيب بن خوجه ، دار الكتب ، تونس ، ١٩٩٦ م .
١١٣ - مستفاد الرحلة والأغتراب ، القاسم بن يوسف التجيبي السبتي ، تحقيق عبدالحفيظ منصور، الدار العربية للكتاب ، ليبيا ، ١٩٧٥م .
١١٤ - مشوار كتب الرحلة (قديماً وحديثاً) د . سيد حامد النساج ، مكتبة غريب ، القاهرة.
١١٥ - المرشد الأمين، رفاعة الطهطاوي الجزء الثاني .
١١٦ - مظاهر الثقافة المغربية من القرن الثاني عشر إلى القرن الخامس عشر د . محمد بن أحمد ابن شقرون - مطبعة الرسالة ، الرباط ، ١٩٨٢م.
١١٧ - معجم البلدان ، ياقوت الحموي ، بيروت ، ١٩٧٩م .
١١٨ - المغرب في حلي المغرب ، لابن سعيد المغربي ، حققه د . شوقي ضيف، طبع جامعة فؤاد ، القاهرة ، ١٩٥٣ م .
١١٩ - المعجب في تخليص اخبار المغرب ، لعبدالواحد الواحد المراكشي ، تحقيق سعد العريان ، الدار البيضاء ، ١٩٧٨م .
١٢٠ - الأندلس محاضرات في التاريخ والحضارة ، د . رضا هادي عباس ، منشورات مالطا ، ١٩٩٨م .
١٢١ - نهاية الأدب في فنون الأدب ، شهاب الدين أحمد النويري تحقيق د . حسين نصار ، الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة ، ١٩٣٠م .
١٢٢ - ناصر الدين علي القوم الكافيرين ، أحمد قاسم الجري الأندلسي

المعروف بأفوقاوي تحقيق محمد رزوق ، الدار البيضاء ، ١٩٧٨م .
١٢٣ - نظرية ريبيرا أو الرد عليها في الأدب الأندلسي د . أحمد هيكل .
١٢٤ - النجوم الزهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ابن تغري بردي ، دار الكتب ، القاهرة ، ١٩٤٢م .
١٢٥ - نفح الطيب ، أبي العباس المقري ، تحقيق د . إحسان عباس ، بيروت ،١٩٦٨م .
١٢٦ - هدية العارفين ، اسماعيل باشا البغدادي ، طبعة بغداد .
١٢٧ - الواقعي والمتخيل في الرحلة الأوربية إلى المغرب ، عبدرب النبي ذاكر الدار البيضاء ، المغرب ، ١٩٩٧م .
١٢٨ - الوافي بالوفيات - صلاح الدين الصفدي (٧٦٤هـ) نسخة صورتها الإدارة الثقافية في الجامعة العربية ، استانبول .

ثانياً: المراجع الأجنبية

129- Grolier Academic Encyclopedia .

130 - The Encyclopedia inter National Editon , Grolier in Corporated .

131 - The New Encyclopaedia Britannica Volume .

ثانياً: الرسائل العلمية :

١٣٢ - ابن الجياب الغرناطي حياته وشعره ، (أطروحه دكتوراه) د. علي محمد النقراط ، جامعة الفاتح ،.طرابلس (مطبوعة) .

١٣٣ - أبن سعيد الأندلسي حياته وتراثه الفكري ، إعداد محسن العيادي (تونس) رسالة ماجستير ، كلية الأداب ، ١٩٧٠م (مطبوع) .

١٣٤ - الأدب الأندلسي من مصادر المشارقة حتى ظهور الطباعة إعداد العربي سالم الشريف ، إشراف ، أ . د . الطاهر أحمد مكي (رسالة دكتوراه) ، جامعة القاهرة ، كلية دار العلوم قسم الدراسات الأدبية ، ١٩٩٦م (غير مطبوعة) .

١٣٥ - أدب الرحلات عند العرب في المشرق نشأته وتطوره حتى نهاية القرن الثامن الهجري ، إعداد علي محسن مال الله ، إشراف أ.دمصطفى الشكعة (رسالة ماجستير) كلية الأمام الأعظم ، بغداد ، ١٩٧٢ (رسالة مطبوعة) .

١٣٦ - أدب الرحلة إلى العالم الآخر دراسة مقارنة لرسالة الغفران لابي العلاء المعري ، إعداد ، منى محمد طلبة ، إشراف أ . د عبدالقادر القط ، أ . د جان باتريك جيوم ، جامعة عين شمس ، كلية الآداب ، قسم اللغة العربية وآدابها ، ١٩٩٧م (رسالة دكتوراه) (غير مطبوعة) .

١٣٧ - أدب الرحلة بالمغرب في العصر المريني - الحسن الشاهدي ، كلية الآداب والعلوم الانسانية - الرباط ، ١٩٨٥م (مطبوع) دبلوم

الدراسات العليا في الكتاب العربي .

١٣٨ - أدب الرحلة في بلاد شنقيط خلال القرنين ، ١٣ ، ١٤ جامعة محمد الخامس محمد أحمد المحبوبي اشراف د . محمد بن بن شريفة رسالة ماجستير ١٩٩٥م ، الرباط (غير مطبوعة) .

١٣٩ - أدب الرحلة في المملكة العربية السعودية ، عبدالله حامد رسالة ماجستير (جامعة أم القرى) أصدارات نادي أبها الأدبي ، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٠م رسالة ماجستير (مطبوع) .

١٤٠ - رحلة ابن رشيد السبتي رسالة دكتوراه أعداد نجاح صلاح الدين القابسي ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، (١٩٧٨) (غير مطبوع) .

١٤١ - الرحلة إلى الحجاز في الأدب المصري الحديث (رسالة ماجستير) جامعة الأزهر (تصوير ميكروفيلمية ، أحمد محمد على منظور رقم الفيلم ١ / ٨٢٠ / ٣ / (٢) مركز صالح كامل الاقتصادي .

١٤٢ - الرحلة العبدرية إلى الوجهه الحجازية ، لابي عبدالله محمد بن محمد بن علي العبدري المغربي (دراسة وقراءة وتحقيق) رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا في اللغة العربية وأدابها إعداد زين العابدين بن نخطاهر ، إشراف د . محمد مفتاع ، ١٩٩٣ ، جامعة سيد محمد بن عبدالله كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، فاس (غير مطبوع) .

١٤٣ - بناء القصيدة في الشعر الأندلسي ، د . قاسم الحسني ، أطروحة لينل (درجة الدكتوراه) ، كلية الآداب الرباط ، (مطبوعة) .

١٤٤ - الجزيرة العربية في أدب الرحلات الأردي ، تأليف د . سمير عبدالحميد نوح ط . الأولى ، أشرفت على طباعته ونشره الأدارة

العامة للثقافة والنشر ١٩٩٩م (مطبوع) .
١٤٥ - الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالأندلس ، (أطروحة دكتوراه) محمد مجيد السعيد ، جامعة القاهرة ، ١٩٨٥م (مطبوع) .
١٤٦ - شعر النازحين من الأندلس إلى مصر والشام في القرن السابع الهجري بين التأثير والتأثر ، إعداد آمنه سليمان البدوي ، إشراف أ . د . محمد ابراهيم (رسالة دكتوراه) الجامعة الأردنية ، كلية الدراسات العليا (غير مطبوع) .
١٤٧ - الكتابة التاريخية في الأندلس حتى نهاية القرن الرابع الهجري ، إعداد يوسف أحمد بن ياسين / إشراف أ . د . محمد عبده حتماله (رسالة ماجستير) قسم التاريخ ، الجامعة الأردنية ١٩٩٤ (غيرمطبوعة) .
١٤٨ - مستويات السرد في الرحلة المغربية خلال القرن ١٩ جامعة محمد الخامس ، كلية الآداب ، الرباط ، إعداد عبدالرحيم مودن ، المشرف ، د . أحمد الطريس (رسالة دكتوراه) ١٩٩٦ - الرباط .
١٤٩ - مصر في أدب الرحالة الإسلاميين ، ماجد مصطفى الصعيدي ، إشراف أ . د محمد عوني عبدالرؤف (رسالة ماجستير) جامعة عين شمس ، كلية الألسن ، قسم اللغة العربية ١٩٩١م ، (غير مطبوعة) .

رابعاً: المجلات والدوريات :

١٥٠ - حوليات الجامعة التونسية حوليات الجامعة التونسية ، العدد التاسع لسنة ١٩٧٢م ، مقال حول القلصادي عالم رياضي أندلسي ، بقلم محمد السويسي ، ص ٣٤ .

١٥١ - حوليات الجامعة التونسية ، كلية الأداب والعلوم الانسانية العدد ١٢٠ السنة ١٩٨١م .

١٥٢ - حوليات الجامعة التونسية ، العدد ١٠ سنة ١٩٧٣ مقال الترجمة الذاتية وفن الرحلة ، صالح المغيري ، ص ٧٣ .

١٥٣ - حوليات الجامعة التونسية العدد ٢٦ لسنة ١٩٨٧ مقال مواقف أبن جبير من خلال رحلته ، بقلم أحمد السنوسي ، ص ١٩١ .

١٥٤ - الحداثة (مجلة فصيلة ثقافية) المجلد الخامس ، العدد التاسع ١٩٩٥بيروت مقال في أدب الرحلات ، صالح غريب ص ٢٥٠ .

١٥٥ - دراسات أندلسية مقال (أهمية الرحلات العلمية بين المشرق والإندلس) د . عبدالواحد طه أستاذ التاريخ الأندلسي ، ١٩٨٦م .

١٥٦ - صحيفة مهد الدراسات الإسلامية في مدريد المجلد التاسع والعاشر ١٩٦٢ ، (رحلة العبدري) .

١٥٧ - مجلة بحوث جامعة حلب (مجلة دورية محكمة) العدد الرابع والعشرون ١٩٩٣ (مقال أثر الأدب المغربي الأندلسي في أدب المشرق العربي) د . مهجه الباشا ص ٧٧ .

١٥٨- مجلة التاريخية المغربية ، السنة الثالثة ، العدد ٤٣ نوفمبر ١٩٨٦م مقال حول (الهجرة جالية شرق الأندلس) ص ١١٢ .

١٥٩ – مجلة التربية ومنظمة الثقافة لدول الخليج مقال الرحلات في التاريخ الإسلامي ، د . عيسى فتوح ، ص ١٩٠ .
١٦٠ – مجلة الجامعة تصدرها جامعة الملك سعود عدد السبت الموافق ١/٨/١٤٠٨هـ ، مقال (بعنوان الكشوف الجغرافية وحقيقتها)
١٦١ – مجلة دراسات تاريخية (مجلة علمية فصلية محكمة تعني بتاريخ العرب تصدر عن لجنة كتابة تاريخ العرب ، جامعة دمشق السنة ١٧ ، العدد ٥٧ – ٥٨ مقال بعنوان (أعمال الرحلة من المشرق إلى المغرب والأندلس خلال العصور الوسطى د. عبدالكريم علي) .
١٦٢ – مجلة دعوة الحق(تعني بالدراسات الإسلامية تصدرها وزارة الاوقاف المملكة المغربية) العدد ٢٦١ مقال الرحلات المغربية كشف لأمجاد الجزيرة العربية ص ١١ عبدالعزيز بنعمة الله والعدد ٣٣٤ ، القسم التاسع والثلاثون مقال إشكالية التأثير والتأثر بين الأدبين الأندلسي والمغربي ، د . حسن جلاب .
١٦٣ – مجلة عالم المعرفة (أدب الرحلات دراسة تحليلة من منظور أنثروجرافي) يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت ١٩٨٩م د . حسين محمد فهيم رقم ١٣٨ .
١٦٤ – مجلة العربي الكويتية عدد ٣٣٨ سنة ١٩٨٧ مقال حول (أدب الرحلات في حياتنا الثقافية) د . سيد حامدالنساج .
١٦٥ – مجلة الفكر العربي (تصدر عن معهد الإنماء العربي بيروت) العدد التاسع والثمانون ، السنة الثامنة عشرة ، ١٩٩٧,(مقال الرحلة والشعر سؤال المكنون النوعي) ، د . رشيد يحياوي ص ٢٩ .

١٦٦ - مجلة الفيصل العدد ٨٨ ص ٧٢ مقال أدب الرحلات، د. نبيل راغب، العدد ١٨٦، ص ٩١ السنة ١٦، ١٩٩٢ والعدد ٨٤ السنة ١٤٠٤هـ

١٦٧ - مجلة كلية الآداب جامعة الأسكندرية مجلد الثامن، ١٩٥٤م مقال (مصر كما وصفها أصحاب كتب الرحلة ص ١٠٤).

١٦٨ - مجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط العدد ١٥ السنة ١٩٨٩ (مقال حول أوروبا من خلال ثلاث رحلات مغربية د. عبدالمجيد القدوري ص ٤٥).

١٦٩ - مجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية (بفاس) (مقال الرحلة المغربية صلة علم وحضارة)، عبدالقادر فرمانه العدد الثامن، ١٩٨٦

١٧٠ - مجلة دعوة الحق (تصدرها وزارة الأوقاف) المملكة المغربية مقال بعنوان (أثر الثقافة الدينية والأدبية في شعر الجراوري واشكالية التأثير) د. حسن جلاب. دونيو ١٩٧٠. ١٩٧٠م ص ٩٠.

١٧١ - مجلة دعوة الحق (المغربية) العدده السنة ٢٢، ١٩٨١م مقال«القدس الشريف وفلسطين في كتب الرحالين المغاربة محمد بن ابراهيم الكتاني، ص ٤٥.

١٧٢ - مجلة المناهل (تصدرها وزارة الشئون الثقافية) المغرب، العدد ٣١ السنة ١١، ١٩٨٤م (مقال العلاقات الثقافية بين الأندلس والبلاد العربية ص ١٤٨ د. محسن جمال الدين العدد ٢٢، السنة التاسع ١٩٨٢ مقال شيوخ العلم وكتب الدرس في سبته من خلال برنامج التجيبي د. حسن الوراكلي ص ٥٦٤).

١٧٣ - مجلة المنهل السعودية ، العدد ٥ ، ١٩٧٧م مقال بعنوان الجزيرة العربية في رحلة ابن جبير والعبدري ، عبدالقدوس الأنصاري ص ١١٠٠ .
١٧٤ - مجلة المناهل ، العدد الخامس والثلاثون السنة الثالثة عشرة ١٩٨٦م مقال بعنوان (المستشرق وليام رايت ومجهوده في تحقيق رحلة أبن جبير ، محمد عبدالله بن الدباغ) ص ٣٣٢ .
١٧٥ - مجلة المناهل العدد الثالث السنة الثانية ١٩٧٥م ، (مقال ملامح الشعوب في أدب الرحلات ، حبيبه البورقادية) .
١٧٦ - مجلة المناهل العدد الخامس السنة الثالثة ١٩٧٦ ، مقال أضواء على رحلة الثماني في البلاد التونسية واهميتها الأدبية د. شوقي عطا الله الجمل.
١٧٧ - مجلة الموسم الثقافي في كلية اللغة العربية ، جامعة أم القرى ١٤١٧هـ مقال (تراث المغاربة ، د . حسن الوراكلي) .
١٧٨ - المناهل العدد ٥٣ ، السنة ٢١ ، ١٩٩٦م .(مقال أثر مهاجري المغرب الإسلامي في الحياة العامة بالمشرق من خلال القرنين السادس والسابع الهجريين . عبدالمجيد بهيتي) .
١٧٩ - المناهل ، العدد ٣٥ ، السنة الثالثة عشرة ، ١٩٨٦ (مقال الاقليات الإسلامية في أسبانيا وجيوبها الأستعمارية د . حسن الوراكلي ص ١٥٨) .
١٨٠ - مجلة المنهل (تصدر في المملكة العربية السعودية عن دارة المنهل) للصحافة والنشر) العدد ٥٠٥ المجلد ٥٤ ، ١٤١٣هـ ، مثال نحو

تفسير جديد لأدب الرحلات ، د . عبدالعزيز شرف .

- العدد ١١ ، ١٤١٢هـ مقال بعنوان (أدب الرحلات فن متميز) عبدالله الحقيل . ص ٧٤ .

١٨١ - العدد ٥١٨ المجلد ٥٦ العام ١٤١٥هـ مقال بعنوان (الرحلات المغربية الحجازية ، محمد المنوني ، ص ١٦٠م)

١٨٢ - العدد ٥١٨ مجلد ٥٦ العام ١٤١٥هـ مقال فن أدب الرحلات - عبدالله الحقيل .

١٨٣ - مجلة المورد (مجلة تراثية فصلية) تصدرها وزارة الثقافة والإعلام - بغداد العدد الرابع ١٩٨٩م مجلد الثامن عشر مقال أبن جبير في رحلته قراءة في الجوانب الجغرافية للرحلة - د . فلاح شاكر ص ٧٢ .

- العدد ٣ - ٤ - ١٩٨٩ مقال أدب الرحلات عن العرب في المشرق أساليبه وصورته الفنية من القرن الثالث وفي نهاية القرن الثامن الهجري على محسن ص ١٠٣ .

خامساً: الأبحاث والندوات :

١٨٤ - الأبحاث التي نظمتها كلية الآداب ، جامعة الرياض لعام ١٩٧٩م مقال في مصادر تاريخ الجزيرة العربية ، الجزء الثاني مقال بعنوان (الرحلات الحجازية كشف لأمجاد الجزيرة العربية ، عبدالعزيز بن عبدالله . ص ٣٤٩) .

١٨٥ - (تراثنا الأندلسي الأدبي بين الأتباع والابتداع) ، نادي مكة الأدبي ١٤١٦هـ ، مكة المكرمة (وتراث المغرب الإسلامي في آثار الدارسين

السعوديين) محاضرة بنادي أبها الأدبي ٢٣ ذي القعدة ١٤١٧هـ ، أ.دحسن الوراكلي .
١٨٦ - سلسلة بحوث ودراسات منشورات كلية الأداب والعلوم الإنسانية الرباط رقم ١٢ السنة ١٩٩٥مقال (صورة الآخر في أدب الرحلة المغربية) سعيد بن سعيد العلوي ، ص ١١ .
١٨٧ - سلسلة ندوات « أدب الرحلة في التواصل الحضاري كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة المولى أسماعيل مكناس ، المغرب ١٩٩٣ رقم الندوة (٥) .
١٨٨ - ندوات مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية - ندوة عقدتها لجنة القيم الروحية والفكرية بعنوان « دواعي الهجره وأهدافها د . عبدالكريم غلاب ، ص ٤١ .
١٨٩ - ندوة الأندلس : (قرون من التقلبات والعطاءات) دعت إليها مكتبة الملك عبدالعزيز - الرياض ، ١٤١٧هـ ، نوقش فهيا نحو ثمانين بحثا في موضوعات مختلفة من تاريخ الأندلس وحضاراتها .
١٩٠ - ندوة ملتقيات ابن بطوطة الدولية للتواصل بين الثقافات طنجة ، ١٩٩٣ جامعة عبدالملك السعدي ، منشورات مدرسة الملك فهد العليا للترجمة - المغرب .

سادساً: القاءات:

١٩١ - الأستـاذ ابراهيم الشطي مستشار الشيخ جابر الأحمد أمير دولــــة الكويت .

١٩٢ - الأستاذ الدكتور أحمد صبحي فرات رئيس قسم اللغة العربية بجامعة أستطنبول - تركيا .

١٩٣ - الأستاذ الدكتور الأحمدي أبو النور وزير الأوقاف في جمهورية مصر العربية سابقاً ، ورئيس قسم الحديث في كلية الشريعة جامعة الكويت .

١٩٤ - الأستاذ جهاد الحادي الملحق الثقافي في سفارة الكويت ، الرباط .

١٩٥ - الأستـاذ الدكتور حسن الوراكلي أستاذ الأدب في جامعة أم القــــرى - السعودية .

١٩٦ - الأستاذ الدكتور صلاح جرار وكيل وزارة الثقافة في المملكة الأردنية الهاشمية (الأردن) تاريه ٩ / ٧ / ١٩٩٩م .

١٩٧ - الاستاذ الدكتور عبدالله الغنيم وزير التربية والتعليم العاليم بدولة الكويت سابقاً .

١٩٨ - الأستاذ الدكتور عبدالله الطيب رئيس مجمع اللغة العربيــــة فــــي السودان .

١٩٩ - الأستاذ عبدالرحمن الناصر مديرمكتبة مركز التوثيق والمعلومات التابعة للجنة الأستشارية العليا للديوان الأميري - الكويت .

٢٠٠ - الأستاذ الدكتور عبدالكريم خليفة ، رئيس مجمع اللغة العربية في

الأردن اثناء زيارتي له في الأردن ٨ / ٧ / ١٩٩٩م .

٢٠١ - الأستاذ محمد بن ابراهيم اليباني مدير عام مركز الوثائق والمخطوطات والتراث - الكويت .

٢٠١ - الأستاذ الدكتور محمد بن شريفة . أستاذ الأدب الأندلسي ، جامعة محمد الخامس ، الرباط .

٢٠٣ - الأستاذ الدكتور محمد مكي أستاذ الأدب الأندلسي . الأردن .

٢٠٤ - الأستاذ الدكتور هاني العمد أستاذ الأدب الأندلسي . الأردن .

٢٠٥ - الاستاذ الدكتور يوسف الحشاش أستاذ الأدب الأندلسي - جامعة الكويت .

سابعاً : الملاحق :

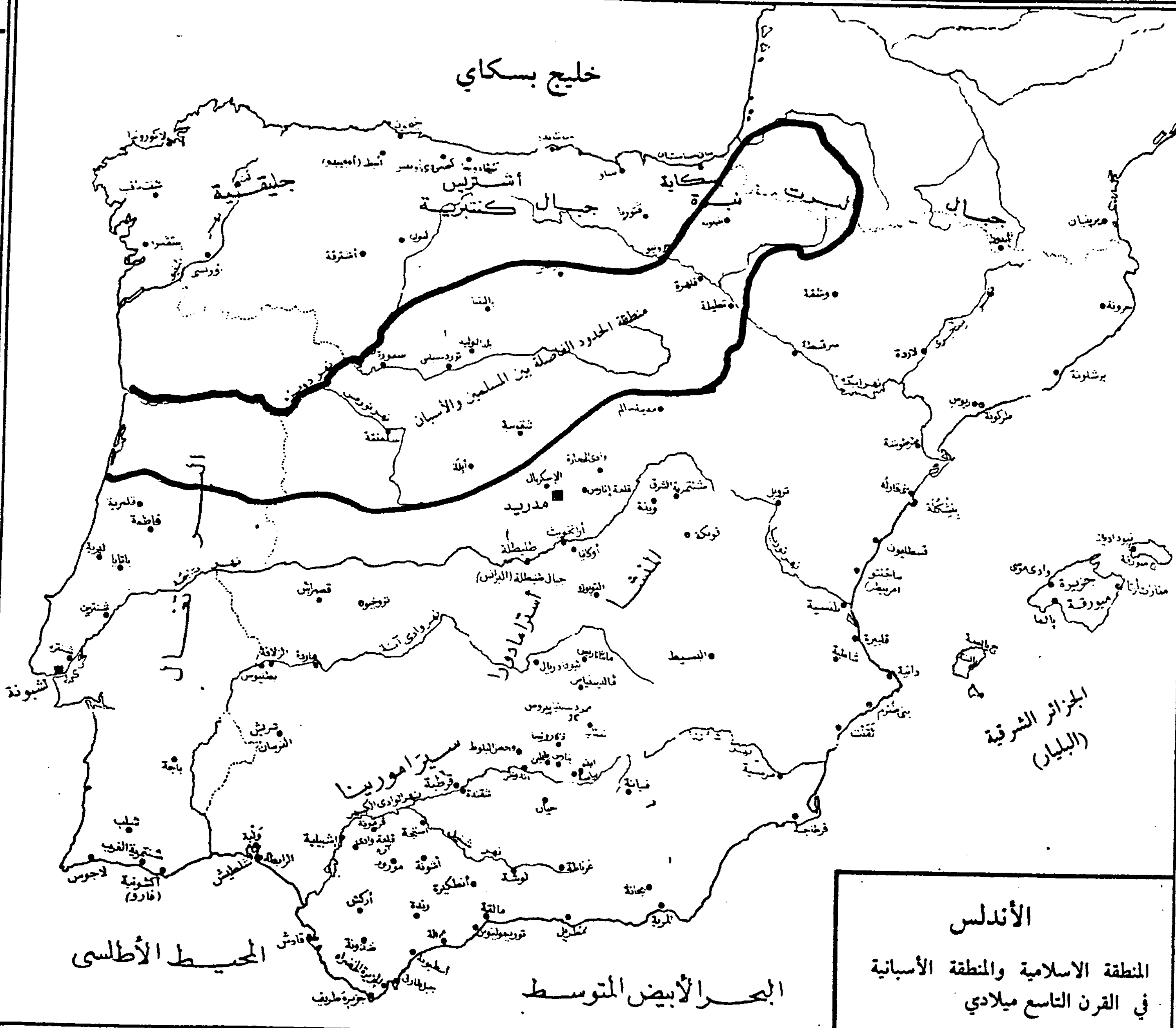
١ - صورة خريطة الأندلس المنطقة الإسلامية .

٢ - صورة الأندلس .

٣ - خريطة رحلة القلصادي (صورة) .

٤ - خريطة رحلة البلوي (صورة) .

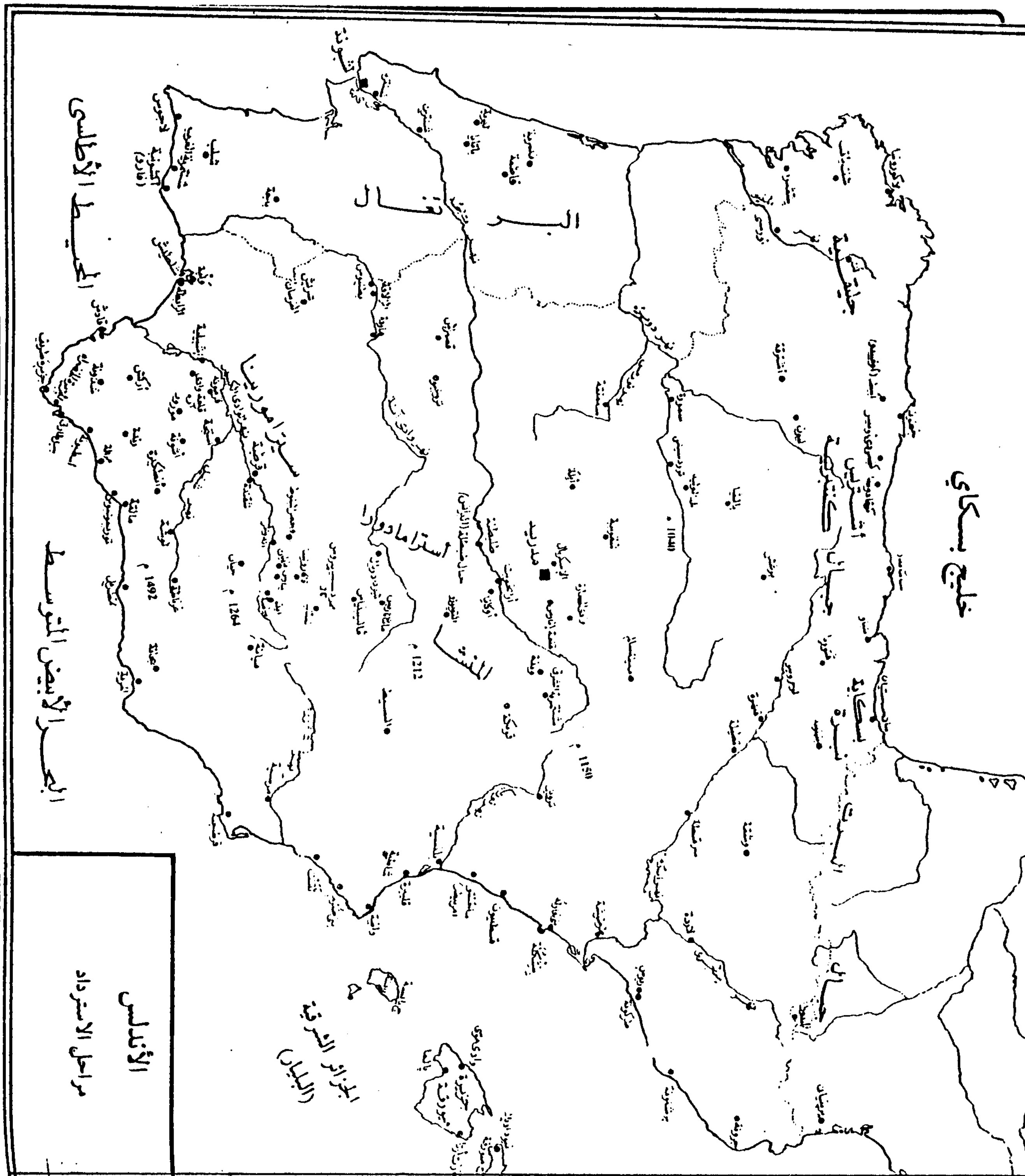
قائمة الملاحق



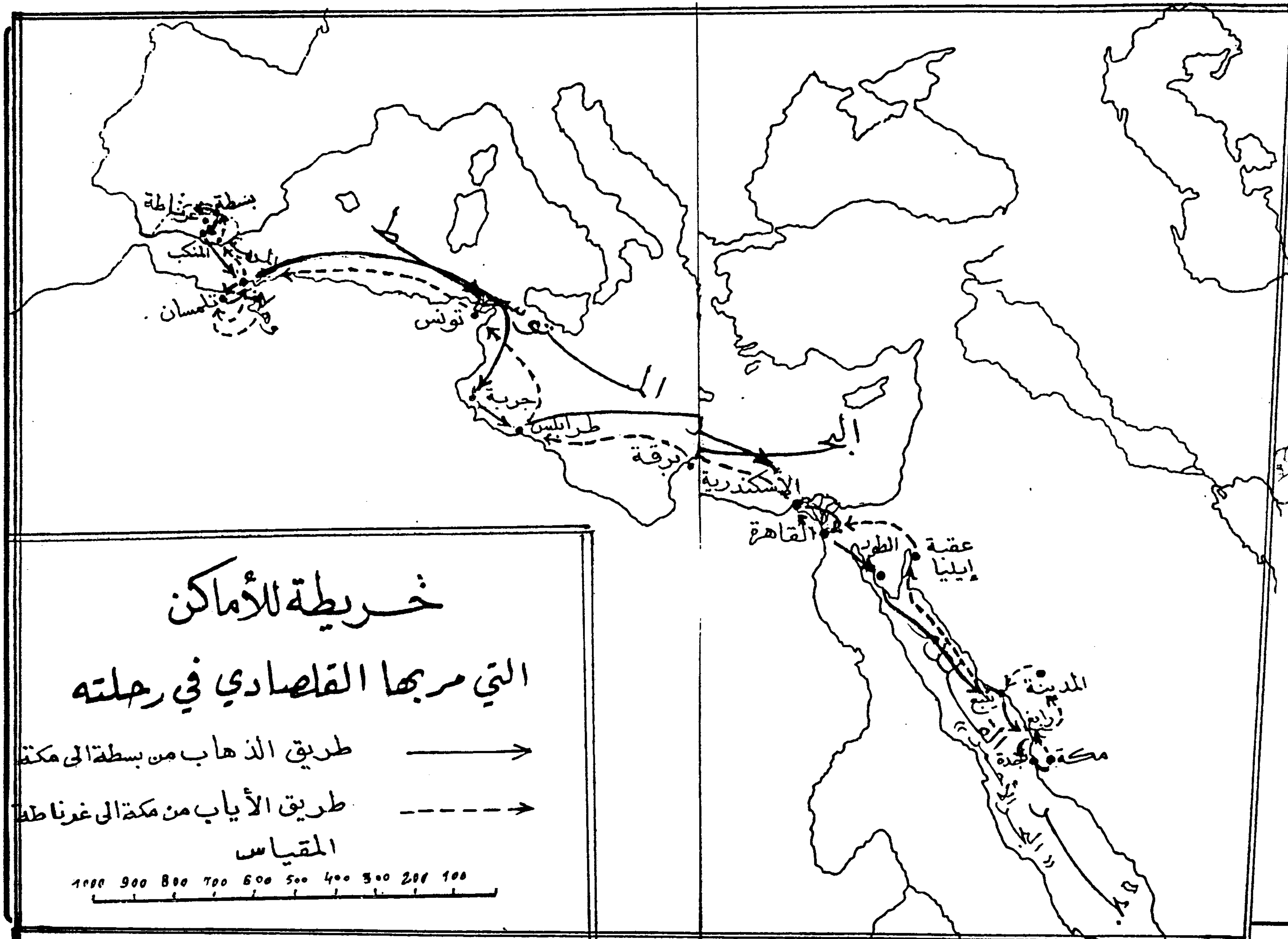
الأندلس

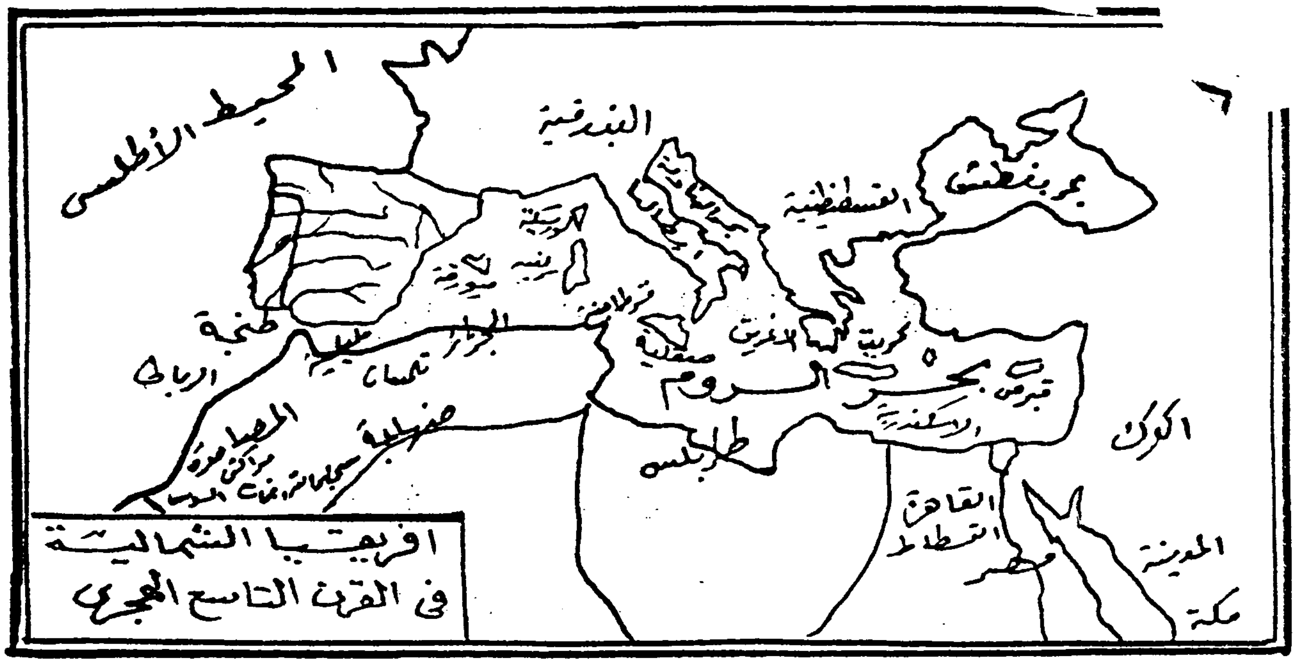
المنطقة الاسلامية والمنطقة الأسبانية
في القرن التاسع ميلادي

(١)


خليج بسكاي
المحيط الأطلسي
البحر الأبيض المتوسط
البرتغال
الأندلس
مراحل الاسترداد
الجزائر الشرقية
(البليار)

(٢)


خريطة للأماكن
التي مر بها القلصادي في رحلته
طريق الذهاب من بسطة الى مكة
طريق الأياب من مكة الى غرناطة
المقياس
1000 900 800 700 600 500 400 300 200 100
بسطة
غرناطة
المنكب
تلمسان
تونس
جربة
طرابلس
برقة
الإسكندرية
القاهرة
الطور
عقبة
إيليا
المدينة
رابغ
مكة
جدة



(ح) طريق رحلة البلوي

(٤)

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات